أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢م

هدية العدد: بوستر قواعد الإملاء

ملف العدد:
تغيير المنكر.. مسؤولية مشتركة

فلسفة العدل في التصور الإسلامي

التجربة الديموقراطية في الإسلام

قبرص التركية .. جنة بعبق ٩ آلاف عام

الحسبة في الكويت

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

ضجيج الحجيج

رسالة إلى قيادات الأمة لنفض الغبار عن كاهلها

مجلة

الوعي الإسلامي

تهديكم جديد إصداراتها

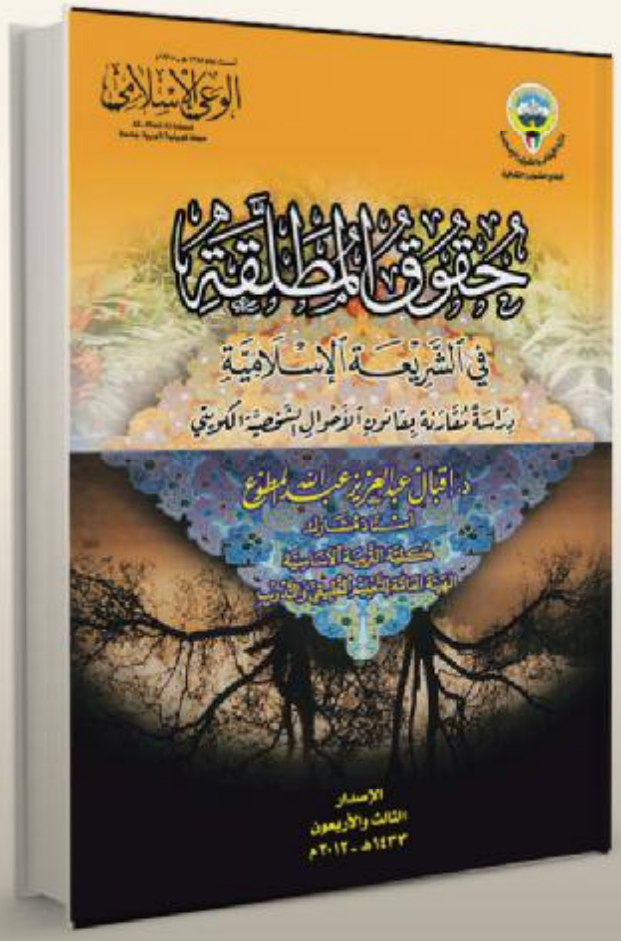

الإصدار
الثالث والأربعون
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الافتتاحية

الحسبة والإصلاح الاجتماعي

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

إن للحرية حدودًا لا يتجاوزها أحد، ولأجل ذلك قيّض الله للناس مرشدين من الأنبياء والمرسلين؛ ليكبتوا عبث الناس في تهافتهم على ابتغاء ما يصبون إليه، تجنبًا لما ينطوي عليه ذلك من أضرار، فسنوا لهم الشرائع والقوانين والنظم، وحملوهم على اتباعها؛ ليهنأ عيشهم، فطرأت من ذلك الشرائع والعوائد والآداب والأخلاق، وصارت الحريات محدودة بحسب الجمع بين مصالح الجماعات، وبألا يُلحِق المتصرف بتصرفه ضررًا بغيره، وألا يعود تصرّفه عليه بالمضرة والخيبة.

والإسلام دعا إلى صلاح البشرية من جميع النواحي، وبصلاح البشرية يستقيم نظام العالم؛ لأن الإنسان هو سلطانه، والإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى للإسلام؛ لأنه نابت على أعراق الفطرة، فكانت جامعته فطرية، مقبولة في النفوس، سهلة التسرب إلى القلوب النيرة؛ لأن مبناها على سهولة الحق ووضوحه وبساطته، كما أخبر القرآن عن ضد الإصلاح في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

إن مراعاة الأنظمة والقوانين والمحاسبة عليها من أهم العوامل التي تؤثر في استمرار بقاء المدنية، وواجب أن يراعى فيها دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق.

لأجل ذلك شرعت الحسبة، وهي وظيفة دينية اجتماعية، وهي من باب التعاون على البر والتقوى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والحسبة نظام رقابي تصحيحي، من شأنه الإشراف على المرافق العامة، وتنظيم عقاب المخالفين، وهو شامل لكل معروف في الأقوال والأفعال والهيئات، والنهي عن المنكرات، ويسمى صاحبها محتسبًا، ومن أبرز شروطه أن يكون عارفًا بالأحكام والأنظمة والقوانين، بدقة وتفصيل، مع العفة واللين، والرفق والرحمة والأمانة، وفي وقتنا الحاضر أجهزة الدولة هي التي تقوم بهذه الوظائف كلٌّ على حسب اختصاصه.. فأصبح نظامًا مدنيًا وأمميًا اجتمعت على استحسانه جميع الملل والنحل، ومن الخطأ البيّن الشائع أن يختزل هذا الإصلاح الاجتماعي في تغيير الفواحش وتقييد الحريات، فهو نظام عام، يحمل الناس على المصالح العامة، مثل المنع من المضايقة في الطرقات، وإزالة ما يتوقع ضرره، ومنع الغش والتدليس في المعايش وغيرها، وفي المكاييل والموازين ونحوها.

إن ترك مثل هذا النظام من أخطر عوامل الفوضى، فلابد من تحقيق المصالح ودفع المفاسد، كلٌّ بحسب اختصاصه، وعلى قدر طاقته، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦)

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في
دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٦٧
ذو القعدة ١٤٣٣ هـ
العام التاسع والأربعون
سبتمبر – أكتوبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية– ٤ش
الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو– الطابق ٦–
مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

إن نهضة الأمة من كبوتها يطلب منها أن تجسد هذه الدعوة الخالدة في كل مكان وفي كل ركن من أركان الحياة وفق معايير دقيقة ومقادير مضبوطة.

رحلة الحج.. دروس وعبر

التجربة الديموقراطية في الإسلام

أهمية سرد القصة للأطفال

مكتبة شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سبان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠درهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري
●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ الحسبة والإصلاح الاجتماعي	فيصل العلي
٦	مناسبات/ ضجيج الحجيج	د. محمد سعيد باه
١٠	مناسبات/ خصائص خطبة حجة الوداع	عبدالباقي يوسف
١٢	مناسبات/ رحلة الحج.. دروس وعبر	علي الخطيب
١٥	ثقافة/ التدين المغشوش .. الواقع والمأمول	عثمان إسماعيل
١٨	حوار/ الشيخ القارئ أحمد عامر	هالة عبدالحافظ
٢١	ملف العدد/ تغيير المنكر.. مسؤولية مشتركة	علاء عبدالفتاح
٢٢	ملف العدد/ تغيير المنكر.. أي تغيير؟ وأي منكر	السنوسي محمد
٢٦	ملف العدد/ الإعلام وتغيير المنكر	د. عبدالله بدران
٢٨	ملف العدد/ تغيير المنكر بين مسؤولية الفرد وسلطة الدولة	هاجر حسونة - محمد سعد
٣١	ملف العدد/ التغيير بالقلب..	السيد شعيب
٣٢	ملف العدد/ الحسبة في الكويت	التحرير
٣٤	ملف العدد/ رحلة الحسبة في حضارة الإسلام	محمد شعبان أيوب
٣٦	دراسات/ التجربة الديموقراطية في الإسلام	زبير سلطان
٤٢	دراسات/ عمر... حكمت فعدلت فأمنت فنمت	د. إيمان عزام
٤٦	دراسات/ مصطلحات علم الجرح والتعديل في العربية	د. خالد فهمي
٥٠	دراسات/ أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (٢)	محمد البهي
٥٣	تراث/ الزبدة من زبدة المناسك وعمدة الناسك بالمناسك	محمود الكبش
٦٠	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٣)	عبدالله آيت الأعشير
٦٢	لغة وأدب/ وعاد محمد	مياسة النخلاني
٦٤	لغة وأدب/ الأحرف والقراءات القرآنية	محمود الهايشة
٦٥	لغة وأدب/ يا غزوة الأحزاب	محسن عبدالمعطي
٦٦	لغة وأدب/ موريتانيا.. مواطن الشعر والفصاحة	جاك شماس
٦٨	تحقيق/ الاستثمار في الصحافة المطبوعة (٤/٣)	هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد
٧٠	حوار/ د. عبدالله الحسني	حسنى السيد
٧٢	أسرة/ كيف نربي أبناءنا على البحث العلمي والابتكار؟	محمد مسعد ياقوت
٧٤	أسرة/ أمي تعاملني بقسوة!	خالد الحارثي
٧٦	أسرة/ أهمية سرد القصة للأطفال	د. آندي حجازي
٧٩	رثاء/ الشيخ عمر سليمان الأشقر في ذمة الله	التحرير
٨٠	استطلاع/ قبرص التركية.. جنة بعبق ٩ آلاف عام	التحرير
٨٢	منارات/ مكتبة شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي	وائل الحنبلي
٨٧	خواطر / من مقارنات القرآن الكريم بين المؤمنين والمنافقين	عبدالعزيز العسكر
٨٨	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد محمد
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام/ فلسفة العدل في التصور الإسلامي	أ. د. أمان قحيف

كلمة العدد

اختلاف لا خلاف

يظن البعض أن الاختلاف ظاهرة سلبية بدأت تنتشر في جميع الأوساط المجتمعية بالآونة الاخيرة، ولكن حقيقة الأمر أن هناك فرق نوعي بين الاختلاف والخلاف، فالأول محمود والأخر مذموم.

الاختلاف أمر طبيعي ووارد لأن هناك تباين في الآراء والأطروحات، و يعبر على حوارات ونقاشات إذا لم يداخلها تعصب، ويكون ناتجًا عن تغاير في الألفاظ، أو تفاوت في وجهات النظر.

أما الخلاف فهو تباين حقيقي يؤدي إلى النزاع، والشقاق، والعدوان، ولا يستند إلى دليل، بمعنى أنه ناشئ عن الهوى.

الاختلاف يكون المقصود فيه واحدًا، وإن كان الطريق مختلفًا، أما الخلاف يكون المقصود فيه مختلفًا، وأيضًا الطريق مختلف.

الاختلاف سنة كونية، ولكن مشكلة البعض غياب العقلانية والحكمة في طريقة الاختلاف والحوار، وعدم الاهتمام والوعي بقيم التسامح والكلمة الطيبة والألفة وروح الأخوة والمودة في مناقشاتنا.

لقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم، وذهب كلا منهم لما يراه ولكن ظل الود بينهم والحب، وجاء من بعدهم آخرون فاختلفوا مع بقاء الألفة والمحبة بينهم.

يقول يونس الثقفي رحمه الله: ما أعقل الشافعي! ناظرته يومًا من الأيام، فلم نتفق يقول: فافترقنا، فلقيني يومًا من الأيام، فأمسك بيدي، فقال لي: يا أبا موسى! ألا يستقيم أن نكون إخوانًا ولو لم نتفق في مسألة.

ولابن القيم مقولة نفيسة تبين هذا الأمر: «وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه».

التحرير

الاشتراكات
- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

ضجيج الحجيج

رسالة إلى قيادات الأمة لنفض الغبار عن كاهلها

د. محمد سعيد باه- أستاذ جامعي- السنغال

لن أتفلسف عن الحج في السطور التالية ولن أنضد النصوص لأؤكد على معاني مألوفة أو أكرر ما هو متعارف عليه من مكاسب الحج في الأجساد والأرواح والأرزاق، لكني سأنشغل بتسجيل بعض الخلجات الدافقة التي تصطادها الأذن في حالة أن كانت واعية والتقاط اللوحات الزاهية التي تتناثر بين الجموع والتي تعكس كل واحدة منها حالة شعورية عميقة إذ تأتي أجواء الحج العبقة لتشكل محضناً دافئًا لتفجر تلك العواطف التي قد تظل مكبوتة ما لم تكن ثمة فرصة مواتية حين تشف الروح وترق ثم تطفق تبث أشواقها في عرس إيماني حاشد كلما كان فيه وهج وتدفق وبهجة.

كنت قد اعتدت في كل موسم يتزاحم فيه الحجاج للتنقل من شعيرة إلى أخرى، ولا يكتب لي الرحمن الحج إلي بيته، أن أرهف السمع لأتسمع لجؤارهم إلى ربهم وأشاطرهم ضراعاتهم الحانية، وكلي- مثل ملايين مملينة غيري في شتى بقاع جزيرة الأب آدم (على حد عبارة الفُلّان في تكنية الأرض)- تشوُّف إلى تلك البقاع التي باركتها يد الرحمن وسارت على أديمها خطا أبي الأنبياء قبل أن يخطر على أديمها حفيده الميمون

الذي سيأتي عندما تدلهم الخطوب وتنمحي المعالم ليختم الموكب السعيد ثم يفتح الباب لأمة التوحيد، وبذلك كان الفاتح الخاتم ﷺ ما حج حجيج وطاف مشتاق.

وفي عامنا هذا كتب الله لي أن أنخرط في الجموع التي ثابت إلى الحرم الآمن من كل فج عميق لشهود منافع الله لهم، جئت كما جاءوا، وقد لفحتني نيران البعاد عن رحاب مولاي، جئت وقد ضاقت بي الحيل وتقطعت بي السبل، جئت حاملا أوزاري وآلامي، جئت لأقرع باب الرجاء بأنامل الأمل بعد الجثو في محراب التبتل والأوبة إلى رحاب العفو والمغفرة حيث تطيب النجوى.

انخرطت في تلك الجموع الضارعة التي انصهرت في بوتقة العبودية المتجردة حيث تتساقط الشارات وتنمحي العلامات الفارقات: انخرطت وأنا أنقل الخطو تلو الخطو علّ حافرا يقع على حافر، كما يقول المتنبي، انخرطت وأنا ظامئ أنشد رشفا يبلل الروح بعد أن كاد اللهاث في بيداء التيه يفتتها تفتيتا.

الحاج الصغير

وأولى اللوحات في واحات الإيمان تلك كانت لقاء مع الحاج ذي الأشهر العشرة الآتي من «مالي» التي حملت يوما- وعن جدارة- نعت «الإسلامية»، شد إليه نظري بقوة بإحرامه المحكم وقد تسلق كتف والده وهو يشير بسباحته وسط تلك الجموع النافرة إلى عرفات الله حيث يصطاف الخيرون وقد تجاوبت أصداء حجاج الأرض بابتهالات جند السموات العلا.

سألت أباه عن قصتهما، ولمَ يقحم هذا البرعم الذي لما يحن بعد أوان تفتقه، في هذا الحشد.. ألا يخشى عليه من عدوى الجراثيم المتطايرة ومن دهم الحشد الحاشد؟ قال مبتسما وكأن السؤال قد راق له أو استفزه: هذه زيارته (أي الحاج الصغير) الثانية لبيت الله الحرام ولما يدر عليه العام بعدُ حيث كان قد اعتمر رمضان الفائت، وإني أحب أن يستنشق عبير الوحي ليخالط دمه فينجو من حبائل الشيطان ومكر أتباعه من الجان والإنس وأربط روحه مع أطياف أمته بمن حضر أو غبر بحبال المودة الصافية وأبث إليه أشواق إخوانه وأسمعه أجمل سيمفونية في الوجود: «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك».

وبعد أن شيعته، وهو على عرشه الذي يمشي على اثنين، بنظرات والهة وسط الموج الملبي وجدت نفسي أتمتم: أنبته الله نباتًا حسناً وبلغ أشده واستخرج كنزه، ثم أسرعت الخطى وأنا أستحضر موكب الملك الإفريقي الذي حج ومعه الآلاف من الموحدين والمثاقيل من خالص الذهب، ولما مر بمصر هبطت أسعار أسواق الذهب بما أنفق في سبيل الله حتى بالغ من سجل أحداث تلك الرحلة الميمونة فزعم أنه لم تدركه جمعة في مكان إلا وابتنى فيه مسجدًا يذكر فيه اسم الله!

الطابور النيجيري

قال: من هؤلاء؟ قيل له: هذا الطابور من نيجيريا حيث موطن عمالقة الشمال الذين تحدث عن مآثرهم الكيلاني؛ أتبعتهم بصري ووجدتهم شبابًا مُردًا، لكن بعزائم وثابة وإرادة فولاذية يمشون بخطوات متناسقة مضبوطة، راقبت شفاههم ووجدتهم يتمتمون بحمد ذي الملكوت، ما ذكرني بحكاية رواها إمام دعاة هذا العصر الشيخ محمد الغزالي السقا الذي راقب حشدًا من الشباب وقد كادت الطائرة التي تقلهم أن تهبط بقدرة الذي يمسك الطير في الأجواء صافات قابضات، وحين سمعهم يتمتمون بالمأثور من الأذكار علق الرجل المهموم بمستقبل الأمة: لن يضيعوا إن شاء الله.

نعم، إن هؤلاء أيضًا لن يضيعوا ولن يضلوا مادامت خطواتهم تقودهم إلى جنبات هذا البيت الذي باركه الله وأمّن من يثوب إليه.

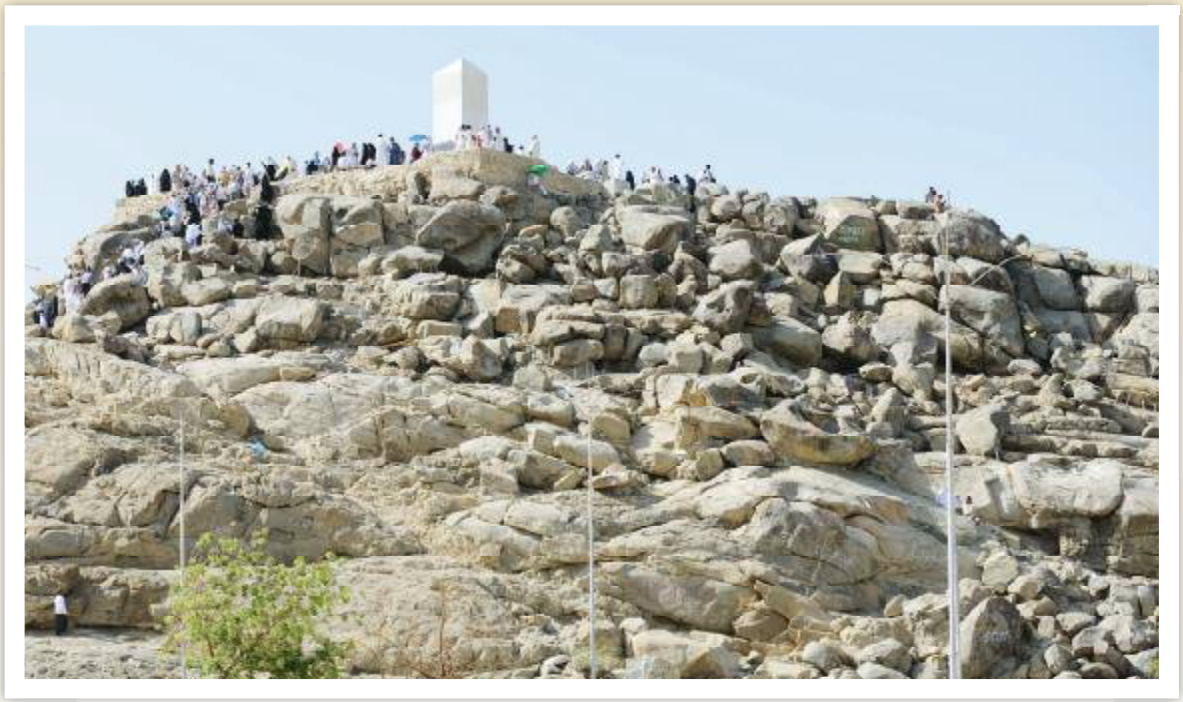

الصفوف الدوارة

حين صعدت إلى سطح المسجد وأخذني المشهد بروعته وبالأشعة المنبجسة منه، مشهد تراص الصفوف الدوارة حول هذا البيت العتيق وكأن سلكًا خفيًا يشد بعضها إلى بعض، رنّت في سمعي كلمات قالها السباعي: «لو كبّرت قلوب المسلمين كما تكبر ألسنتهم بالعيد لغيروا وجه التاريخ، ولو تصافحت نفوسهم كما تتصافح أيديهم لقضوا على عوامل الفرقة، ولو تبسمت أرواحهم كما تبتسم شفاههم لكانوا مع أهل السماء، ولو ضحوا بأنانيتهم كما يضحون بأنعامهم لكانت كل أيامهم أعيادا، ولو لبسوا أكمل الأخلاق كما يلبسون أفخر الثياب لكانوا أجمل أمة» .

«تعال يا أخي»!

سرت هذه العبارة اللطيفة الحانية والتي ملأناها حبًا وصدق عاطفة، سرت على مقربة مني، وأنا غير بعيد عن مدخل المسجد والجموع تزّاحم لتكون أكثر قربًا من الكعبة المشرفة، فما تمالكت أن التفت فوقع نظري على شابين يتخطيان الرقاب (ولا حرج هنا في هذا الزحام، كما قال لنا المعلم ﷺ، ما تدافع الحجيج) وسط هذا السيل الذي لا ينقطع من متبتل لله قانت ينشد رضوان مولاه في عليائه وقد تفتحت أبواب جوده للمتعرضين لنفحاته.

ولما تأملتهما وجدت أن أحدهما متفحم الجلد من آثار لفح شمس السافانا، كما قال ابن خلدون، في بلاد الأباطرة والملوك الحجاج، والآخر نبت في مكان ما من ضفاف المتوسط، ومن بعض العلامات الخاصة اكتشفت بسرعة أنهما ممن لفظتهم طاحونة الحضارة الغربية حيث يطوف الإنسان حول نفسه ويركع في محراب الفسق ثم يسجد لهواه، ولما ألقيا السمع بلغتهما دعوة إبراهيم فأسرعا الخطى كي لا يفوتهما قطار النجاة.

قلت إنهما ممن فر إلى الله وقد جاءاه يسعيان بل عجلا إليه ليرضى وعساه (جل وعز) أن يؤويهما، ثم دعوت الله أن يعودا سفيري خير وبر وبشر لهذا العرس الإيماني المتجدد وألا يكون كل بضاعتهما من الحج حزما من سواك الأراك لإحلاله محل الماركات الأخرى من الفرشاة.

أخي!

كم تمنيت- في هذه اللحظة الجميلة والتي بدا لي فيها أن عقارب الزمن قد تباطأت إلى أن كادت تقف- أن لو ذاقت البشرية المنهوكة طعم هذه الأخوة المنسوجة بخيوط المحبة والتي مزاجها قطرات الإيثار، ويومها تتبدل الحياة غير الحياة وتكتسي طابعا جديدا بتلك الألوان الزاهية حيث تذوب الفوارق وتختفي الأحقاد وتتحطم الحواجز العاليات كي تتداخل الصفوف، وفي نهاية عملية إعادة التركيب يولد الإنسان مجددا وهو يقطر طهرا ويفوح منه عطر الصلاح ويحمل عصا الإصلاح للذب عن حمى الفضيلة.

الغلام الرجل

مر بالقرب مني، وأنا مأخوذ بروعة المشهد العجيب، تأملت في قسماته فإذا هو غلام يافع يدفع عربة ارتفاعها أعلى من طوله وأوسع من عوده النحيف

ليطوف في الأدوار العليا امرأة مقعدة هدها مَرُّ السنين لكنها أبت إلا أن تقتحم العقبة وتدور مع عقارب أجرام الكون حول محور الوجود لتقتبس من مشعل التوحيد ما تنير به الدرب اللاحب ولو حبوًا.

طفقت أتأرجح بين تفسيرين لحالتي الصبي المطوف والمرأة المتربعة فوق العربة.

ألا يمكن أن يكون هذا الطفل- الرجل، الذي قد يظل مقعده في مصنع صناعة العقول وتكييف الشعور شاغرا، ضحية أخرى- وما أكثرهم!- لمجتمع عجز عن الأخذ بأيدي الجميع فلفظ بعضهم وتخلى عمن هم أحوج إلى الرعاية وأولى بالحدب عليهم، بسبب الاختلال في المفاهيم والشروخ في العلاقات الاجتماعية؛ تلك التي كانت يوما قوية الحبك وشديدة السمك؟

ثم ما المانع أن يكون هذا شبل من النوع النادر الذي يبارك بهم في أممهم فتشمخ بشموخهم وترتقي في إثر خطواتهم الواسعة درجات حتى تسمو بعلو كعبهم، وقد وصل به البر بالأم، وربما كانت جدة، أن قرر الدوران بها حول البيت ليذيقها لذة حرمتها منها قدماها؟!

وفي الحالتين فهو يسعى!

وكان سعيه مشكورا!

الحج انضباط في سلوك

خرجت من المطعم وأنا ألهج بدعاء حار للمُطعم المتفضل: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»، كدت أصطدم بهم لكني لم أسمع لهم ركزا، تشوفت إلى استكناه سرهم.. ما الذي جعلهم يبدون لحنا نشازا في هذا الهدير؟ همني الأمر حتى قدم لي صديق لي تفسيرا: إنهم في ماليزيا يدخلون معسكرات للتدريب العام لأسابيع قبل الوقوف على المواقيت فيخرجون منها بهذه اللياقة الروحية والجسدية فيحجون بلا رفث ولا فسوق ولا جدال ولا تدافع!

قلت يا ليت هذا الدرس التام يعمم على الأمة لنرى روح الانتظام حول البيت تسري من لحظة الوقوف عند الميقات حتى الشوط الأخير من الوداع الحار ثم يُكرر- بعد الأوبة إلى الديار وقد تساقطت الأدران وطهرت الأرواح- في المكاتب والمطاعم ومحطات الحافلات وعند الامتحانات ولدى دخول البنوك وحين دلوك الشمس إلى غسق الليل ولحظة أخذ المضاجع وساعة التقلب في الساجدين، وفي الطابور أمام المخبز!!

إن نهضة الأمة من كبوتها يطلب منها، بل يفرض عليها، أن تجسد هذه الدعوة الخالدة في كل مكان وفي كل ركن من أركان الحياة، ووفق معايير دقيقة ومقادير مضبوطة.

● إقامة الصلاة، أن تقيمها حبالا شديدة الفتل لا انفصام لها بينها وبين مولاها، أن تقيمها شعارا فارقا تتميز به بين الأنام التي نسيت الركوع والسجود للجبار.

● أن تقيمها برفع مناراتها، ولو كره الكافرون وهتف المتظاهرون، والترنم بندائها الخالد: «الله أكبر» بصوت يهز الأصنام المتربعة على القلوب وعلى الأفكار وعلى القيم وعلى السلوكات، أن تقيمها حصنًا حصيناً تحتمي به لتنجو من بطش الشيطان ومكر أعوانه.

● أن تشد أوتار القلوب إليها، لتملأ تلك الخاويات منها بنور من ربها، وأن تزيل منها ما عشش فيها من باطل الأفكار وهابط الأهواء، أن تشد القلوب إليها لتميل بها نحو تخوم البر والمحبة.

● أن تشد القلوب إليها لتملأها خيرا وجمالا وتفتحها على الأكوان وتتساق معها وراء الخلائق في تسبيحة مجلجة لواجب الوجود للتصالح مع عناصر الكون في إخباتها وإنابتها.

● أن تحذق فنون تلقيح الفسيلة: بأن تزرع كثيرًا لتحصد وفيرا فتطعم العالَم بدلا من استطعامه، بادئة بيتيم ومسكين في يوم ذي مسغبة.. أن تزرع كثيرا كي تمد يدًا بالعون وليس للاستجداء.. أن تزرع كثيرًا لتمتد يد متوضئة حاملة الزكوات إلى خارج ديار الأمة بعد تطهيرها من أدران العوز.. أن تزرع كثيرا لتحصد كثيرًا ثم تعيد الكرة تلو الكرة حتى تعيد أرض العرب والعجم مروجا خضراء وحدائق غلبًا تتجمل بها الحياة قبل أن تقوم الساعة وتحول بذلك النبوة الصادقة إلى حقيقة متجسدة.

● شكر المنعم المتفضل، أن نعلم البشرية العاقة جمعاء طريقتنا الخاصة في شكر المنعم على تتابع آلائه وتكرر عطاءاته، أن نقول لها، ونحن صادقون: بالحمد تدوم النعم وبالشكر تتهمر الرحمات، لكنه حمد العاملين وشكر المشمرين على إيقاع دعوات القائمين.

في انتظار الرجل الرشيد

طفقت أنصت وسط الجموع لعل همسًا ينبئني عن مكنون الأفئدة وأنا أحزم أمتعتي للرحيل نحو الغروب، وهنا خيل إلي أنني سمعت صوتا يقول:

هاهي الحشود وهاهم الأمم والشعوب قد حزمت أمرها وتصالحت مع حقائق دينها واتجهت مجددا بقلوبها صوب مطلع النور الساطع بعد أن انصرفت عن تلك البقاع البلقاء التي تهب منها زوابع الفتن ورياح الدمار العاتيات التي تكاد تقتلع خيام الخيرين من رُبَى الإنسانية.

وهذه دعوة تنطلق نحو آفاق السماء لعل ساعة الإجابة تكون قد أزفت فتتفتح أبواب السماء بالبركات وتتفجر الأرض بالخيرات وتعم المسرات ديار القوم المؤمنين.

وتلك يد لها تمتد في الظلام علها تعثر على الرجل الرشيد وتتمسك به بقوة ليأخذ بدفة السفينة التي أخذت تشق عباب الجاهلية الجديدة نحو الشطآن الآمنة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

في هذا المنحى ساق السديس موعظته في جمعة الحج حين هتف رافعا دعاءه الباكي مبتهلا إلى الله أن يبرم للأمة أمر رشد ويرزقها قيادة صالحة تأخذ بيدها في حنان ورفق..

ولما طويت سجادتي تمتمت وأنا أنهض نحو باب الملك: آمين يا مجيب المضطرين!.

خصائص خطبة حجة الوداع

عبد الباقي يوسف - كاتب سوري

تعتني خطبة حجة الوداع بختام ما أراد أن يقوله خاتم الأنبياء محمد ﷺ للناس، وهي خطبة تمتاز بأنها موجهة لإنسان كل زمان ومكان، إنسان كل لغة وقوم ولون.

تكاد خطبة حجة الوداع تلخص مسير رسالة النبي ﷺ في الناس، تتفوح بأريج المسك الأخير الذي ينثره حامل ختم النبوة ﷺ، ليبقى طيب ريحه أبد الدهر، إنه طيب ريح وداع هذا الرجل الأمين للعالم، وهي بمنزلة تحية سلام إنسانية أبدية إلى الناس ما بقيت الحياة.

مشكاة خطبة حجة الوداع

لذلك أقبل الناس من مشارق الأرض ومغاربها، وعبر مختلف الحقب الزمنية إلى الاستنارة بمشكاة هذه الخطبة الخاتمة، التي أراد أن يختتم بها خاتم الأنبياء والرسل ﷺ حديثه إلى الناس، فكان الاحتفاء الكبير بها من قبل كل اللغات التي ترجمت إليها في العالم، وتركت أثرها البالغ على كل قارئ لمعالم هذه الخطبة الخاتمة، التي استفتحها خطيبها الأمين بالذي هو خير.

إن خطبة حجة الوداع الثمينة التي غلبت عليها النزعة الإنسانية بامتياز، هي بمنزلة مرآة يرى الإنسان نفسه في ثنايا سطورها.. إنها ملخص عمر بأكمله من حياة محمد بن عبدالله ﷺ، هذا العمر الحافل والغني بكل مقومات الحياة بكل جوانبها.

إنه يتحدث وهو يقف في أعلى قمة النضوج الإنساني، يتحدّث بجواهر الكلم التي تنبّه الإنسان إلى أهمية تمسكه بمزايا إنسانيته، وترويضه السليم لمعالم النزوع الإنساني في فطرته، لأن النزعة الإنسانية تتقدم وتتفتح وتشرق كلما مارسها الإنسان وارتقى بها، وتصاب بالوهن والجمود والشلل إذا لبثت دون ترويض وممارسة، وعندها تستقوي النزعة العدوانية المقابلة لتمسي هي الطاغية بسبب ترويضها وممارستها، وكلما استقوت النزعة العدوانية وهنت النزعة الإنسانية، وكلما استقوت النزعة الإنسانية وهنت النزعة العدوانية.

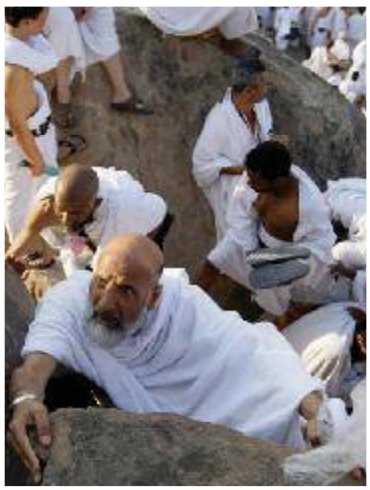

تبين لنا هذه الخطبة الجوهرة أن أفضل انتباه يكفل للإنسان التزامه بحدود الله، هو انتباهه إلى أهمية ممارسة مزايا إنسانيته، وفقط عندما يلتزم الإنسان بحدود إنسانيته، سيتولد من ذلك التزام بحدود النفس، حدود الآخرين، حدود الله، وعلى هذا فإن الذي يعتدي على حقوق نفسه، أو على حدود الآخرين فإنه مع ذات الخطوة يخرج عن إنسانيته، لأن الطبيعة الإنسانية لا تقبل أن يبقى الإنسان داخل منظومته الإنسانية وهو يعتدي على حياة أو أملاك أو أعراض إخوته، إنه في تلك اللحظات الاعتدائية الرهيبة يكون خارجًا عن إطاره الإنساني.

معالم النزوع الإنساني

تجلو النزعة الإنسانية في مستهل هذه الخطبة ببيان تحريم الاعتداء على حياة وممتلكات الآخرين، وللتحريم المباشر بصيغة الأمر وقعه الشديد في حفظ حق الإنسان وتمتعه بحياته وممتلكاته.

عندئذ يدعو النبي ﷺ عامة الناس بقوله: «أيها الناس»، الذي يتكرر دون

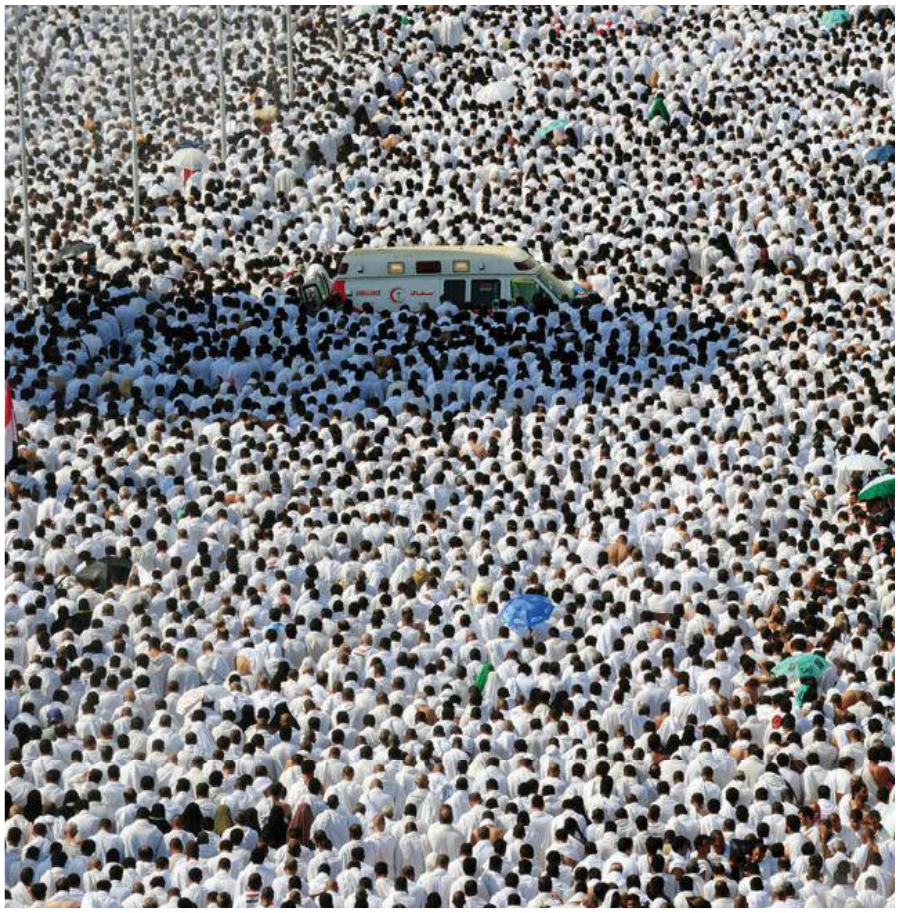

أن يقصر خطابه للمسلمين فقط، إنه خطاب عام للناس كافة من بعده؛ كي يؤدوا أماناتهم تجاه بعضهم بعضًا في عائلة إنسانية سمتها الأمانة، وينهى الإنسان أن يستغل حاجة وضعف الإنسان في عملية الربا، والاستبدال بالقرض الحسن، هذا القرض الذي هو في جوهره سلوك إنساني يعزز مشاعر المحبة والألفة والإحسان في المجتمع الإنساني.

إنسانية العلاقة بين الرجل والمرأة

تبين هذه الخطبة الكريمة أن الميثاق الذي يجمع بين الرجل والمرأة هو ميثاق غليظ في تكاملية للعلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة، فتبين حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، وهي حقوق كفيلة بإشادة دعائم بيت زوجي سليم، يتربى فيه أطفال يمكن أن يكونوا أعضاء صالحين نافعين، يسهموا في بناء الإنسان والبلدان.

يبين النبي ﷺ حدود الحياة الزوجية الآمنة بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا. حَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ وَلا يُدْخِلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُمْ إِلا بِإِذْنِكُمْ وَأَلا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ».

نعلم هنا أن منغصات الحياة الزوجية تأتي من الآخرين، ولذلك أخذت العلاقة الزوجية شيئًا من طابع السرية والكتمان لما يدور بين الزوجين، لأن البيوت الزوجية العامرة هي تلك البيوت المزدانة بالأسرار بين الزوجين دون السماح بتدخل الآخرين في إيقاع الحياة الزوجية.

لننظر إلى حديثه ﷺ لمعاشر الرجال: «إنما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئًا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرًا».

إنها دعوة كي يتذكر الرجل بأن المرأة هي أمانة لديه وعليه أن يحسن إليها ويكرمها، فهي شريكته في كينونته الاجتماعية، والحفاظ على استمرار الجنس الإنساني على الأرض، وبدونها للبث عازبًا منعزلًا وحيدًا، ولانقطع نسله، وانتهت الحياة في غضون سنوات معدودة، إنها تقف إلى جانبه دعامة أساسية في بناء واستقرار الحياة.

رابط الأخوة الإنسانية

توجه هذه الخطبة الإنسانية الخالدة إلى حق الإنسان على أخيه الإنسان، وواجب الإنسان تجاه الإنسان، فتذكر برابط الأخوة الإنسانية، هذا الرابط الذي يتساوى أمامه الناس جميعًا في الحقوق والواجبات الإنسانية تجاه بعضهم بعضًا.

إن محمدًا ﷺ يتحدث هنا عن كونه أتم أداء رسالة القرآن إلى الناس، ويريد أن يخبرهم بأنه سيغيب عنهم، بيد أنه يترك فيهم القرآن العظيم الذي يحفظه الله تشريعًا لهم.

كأن النبي ﷺ في إشارته الأخيرة للناس يقول لهم: لا شيء لكم من بعدي سوى ما أرسلني الله به، فيقول: «تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبدًا، كتاب الله».

سدرة المنارة الإنسانية

مع كلمات هذه الخطبة الوداعية التي يودّع بها النبي ﷺ الدنيا والناس جميعًا، نشعر بدفء النزوع الإنساني، وصدق المشاعر الإنسانية التي تعزز حالة المحبة بين الناس.

يقول: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى».

كلمات تذكر الناس بسواسيتهم كأسنان المشط، وهي تبث فيهم روح التواضع، ومشاعر الأخوة والمساواة والعدالة والحقوق والواجبات الإنسانية، فلا أحد أفضل من أحد سوى بارتقائه في درجات التقوى، هذه التقوى التي ترسخ الإنسان في قواعد إنسانيته كلما ارتقى في درجاتها حتى تبلغ به سدرة المنارة الإنسانية.

كلمة الختام

تكمن أهمية وخصوصية هذه الخطبة في أن خطيبها رجل استثنائي أنار ظلمات الأرض والإنسان برسالة الله الخاتمة إلى الناس أجمعين، إنه الرجل الذي فضل الله عليه لما كان بوسع كوكب الأرض أن يتبرك ويتشرف بهذا التنزيل المبارك، ولم يكن الناس ليحظوا برحمة تبيان وتشريع الذكر الحكيم، ولنتصور مدى شقاء الإنسان دون نور القرآن، ودون أن يقول له الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة : ٣).

رحلة الحج.. دروس وعبر

على الخطيب - باحث دراسات إسلامية

لا يختلف أحد على أن الرحلة إلى البيت العتيق لا تعدلها رحلة أخرى إلى أي بقعة من الأرض، وشوق المسلم إلى هذه الديار شوق مشبوب بالعاطفة الملتهبة، والتي تجيش بالود والمحبة، حتى إن الدمع ليسيل منحدرًا على الوجنات لمجرد ذكر هذه المناسك، فكيف بالذهاب إليها؟! ورؤية البيت ومعايشة الحجيج، وربط الماضي بالحاضر بالمستقبل، وذوبان الإنسان في وحدة شعورية متصلة، تبقى ذكراها في مخيلته زمنًا لا تمحي..

وكم في هذه الرحلة من عظات ودروس مستفادة، ووقفات ولمحات ونفحات!

ومن بين هذه الدروس المستفادة من رحلة الحج ما يلي:

التجرد لله تعالى

وهو ما يعني سلامة القصد، وصدق التوجه إليه سبحانه، أو بمعنى آخر انخلاع النفس وانعتاقها من كل ما يحيط بها، وتخلصها من جميع ما يأسرها ويشدها إلى الأرض، ويبدو ذلك واضحًا عندما يلبس الحاج ملابس الإحرام.. تلك الثياب البيض أقرب ما تكون شبهًا بأكفان الموتى، والتي ليس فيها ما اعتاده الإنسان، فيصبح منقطعًا عن أسباب الدنيا.. إذ يترك الحاج أهله ووطنه وماله وتجارته؛ ليصفو بنفسه في آفاق علية ومكارم سنية.

الأسوة والاقتداء

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.. أي اقتداء بأبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام، الذي ترك

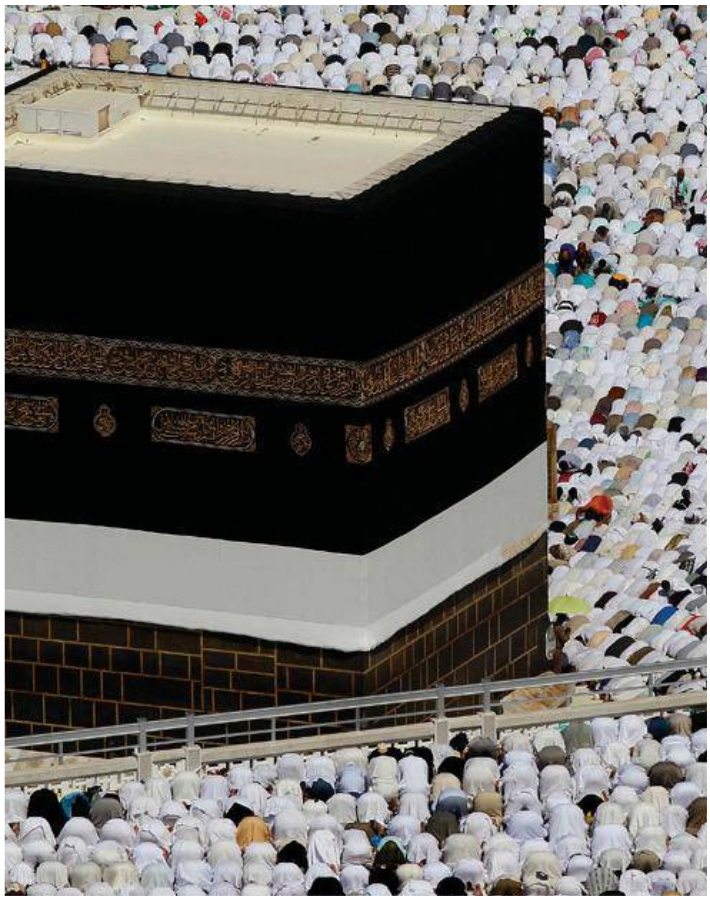

وطنه وقومه وهاجر لله وقال: ﴿إني مهاجر إلى ربي سيهدين﴾، وليس ذلك فحسب بل لقد ترك زوجه وولده لله أيضًا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

وكذلك يفعل الحاج.. يترك الديار ويفارق الأهل والولدان فرارًا إلى الله، ولسان حاله يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.

وكل ما يصيبه في سيره إلى الله من مكروه وأذى فإنما يحتسبه عند ربه؛ ليقع الأجر والجزاء منه سبحانه: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ويرددون مع الشاعر العربي:

إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمُ فَارَقُوا الأذَى
وَآتاهم موعود مَا في المصاحف

ومن ثم كان العطاء لهم أوفر، والمدد إليهم أسرع، والبر بهم أوفق. يقول عبدالقاهر الجرجاني: «إن من صحت تبعيته للرسول ﷺ ألبسه درعه وخوذته، وقلده سيفه، ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه، وخلع عليه من خلعه، واشتد به فرحه، كيف هو من أمته؟ ويشكر ربه عز وجل على ذلك، ثم يجعله نائبًا له في أمته».

الإذعان والتسليم المطلق لله تعالى

ذلك أن المؤمن بالله تعالى يسلم تسليمًا تامًّا، ويذعن إذعانًا مطلقًا لمن أذمة الأمور كلها بيديه، ومرد ذلك عنده إلى أمرين اثنين:

الأول: الرضا عن الله الذي لا يأتي إلا بخير ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾.

الثاني: الثقة في وعده وفي منهجه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

ومن ثم فقد تميز أصحاب النبي ﷺ بهاتين الصفتين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ونجد ذلك واضحًا كل الوضوح فيما يلي:

موقف سيدنا إبراهيم- عليه السلام- من ذبح ولده إسماعيل.. فقد أمر إبراهيم عن طريق رؤيا رآها أن يذبح ولده إسماعيل، فلم يتردد أو يسأل عن السبب؛ حتى لا يقدح في إيمانه بربه ويقينه به وثقته فيه، بل أذعن إذعانًا خالصًا لم تشبه شائبة، يصحبه في ذلك كله الرضا عن الله في أمره ونهيه.. فقام من فوره مناديًا على ولده مخاطبًا إياه: يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر قال: فافعل ما أمرك الله به. قال إبراهيم: وتعينني عليه؟ قال: وأعينك عليه. قال فإن الله أمرني أن أذبحك! قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين، وقد ذكر ابن عباس- رضي الله عنها- أن إسماعيل قال لأبيه: يا أبت اشدد رباطي كيلا أضطرب فينتضح على ثيابك من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك فيكون أهون بها على حلقي، وإن أردت أن ترد قميصي إلى أمي فافعل، عسى أن يكون أسلى لها عني.

وقد وصل الأمر من إسماعيل- عليه السلام- كما ذكر ابن عباس- رضي الله عنهما- عندما تلّه إبراهيم للجبين، وكان على إسماعيل قميص أبيض فقال له: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه فنودي من خلفة ﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾.

وكذلك موقف هاجر عندما تركها إبراهيم في هذا الوادي بين الصفا والمروة.. قالت له يا إبراهيم: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا. إنها تعلم بيقين أنه ما تركها إلا لتنفيذ أمر الله، فأذعنت وسلمت لله أمرها من قبل ومن بعد.

إعلان العداوة للشيطان وأعوانه

وليس هناك أوضح ولا أبين من إظهار هذه العداوة، ورفع شعارها في شعيرة

رمي الجمرات «وذكر ابن كثير فيما رواه ابن عباس- رضي الله عنهما- أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي، فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات».

ومن المعلوم للمسلم ديانة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، ومن هنا فالحاج وهو يقوم برمي الجمرات يعلن شعار العداوة والكراهية للشيطان، كأنما يريد أن يقول له وهو يرجمه: لا سبيل ولا سلطان لك عليّ بعد اليوم، فلطالما أوردتني موارد الردى ومواطن الهلاك، هأنذا اليوم أرجمك قذفًا بالحجارة؛ لما تمثله من رمز الغواية والشرور.. فكم أشعلت من فتن، وهتكت من أستار، وقطعت من روابط، وأضرمت الأحقاد بين الناس، وأنا اليوم أجدد بيعتي لله في صعيد عرفات.. «لبيك اللهم لبيك»، ولذا قيل: إن الشيطان لم ير أحقر ولا أصغر من مثل هذا اليوم أبدًا.

البذل والتضحية

نرى ذلك واضحًا في موقف الخليل إبراهيم الذي ضحى بأغلى ما عنده.. ضحى بولده الذي جاءه وقد بلغ من الكبر عتيًا، فلم يضّن به حرصًا على حياته، ولا شفقة عليه، بل لم يتردد لحظة في التضحية به تنفيذًا لأمر الله.. ولهذا وصفه ربه سبحانه بأنه وفّى لكل ما طلب منه ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾. لذلك استحق أن يكون للناس إمامًا، فقد ابتلي بابتلاءات عديدة فصبر، فآتاه الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

وتتمثل في:

الوحدة فكرًا وصبرًا.. فالبيت الذي يطوفون حوله هو بيت واحد (بيت الله الحرام)، والإله الذي يعبدونه إله واحد، والقبلة التي يتوجهون اليها في صلاتهم هي قبلة واحدة، والنسك التي يؤدونها واحدة لا اجتهاد فيها «خذوا عني مناسككم».. والزي الذي يرتدونه زي واحد، كما أن الهدف الذي جاءوا من أجله إلى هذا المكان هدف واحد، والنشيد الذي ينشدونه في عرفات الله نشيد واحد «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك».

- وحدة في الزمان ﴿الحج أشهر معلومات﴾.
- وحدة في المكان (البيت الحرام).
- وحدة في الشعائر والمناسك ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾.
- وحدة في المشاعر والعواطف.

إن عالمية الإسلام ورسالته الخالدة تبرز بوضوح والحجيج واقفون في عرفات الله بكل اللغات واللهجات والبلدان في زي واحد، وصعيد واحد، وشعار واحد، وزمان واحد، وفي الحج الأكبر أكبر وثيقة تكريم للإنسانية، فيها من حفظ الدماء وصيانة الأعراض وحماية الزوجات ما فيها.. وتبقى خطبة الوداع شاهدًا للمسلمين وعزهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي الحج الأكبر يرتفع الأمل ويتحقق الرجاء بأن المسلمين هم صنّاع المجد، أصحاب العلم والفقه والدين الذي يصلح وجه الأرض، ويزين الدنيا من أقصاها إلى أقصاها.. فإن الدين قد تم، والنعمة قد كملت، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾.

يقول ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين» (رواه البيهقي وابن حبان)، ويقول أيضًا: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها».

نعم قد يضعف المسلمون أو يصيبهم الوهن، وقد يديل العدو عليهم بخيله ورجله في سنة وغفلة، لكنه لن يغلبهم أو يقضي عليهم، فإن هذا الدين منصور محفوظ ما بقي الليل والنهار.

إن الحج الأكبر هو مؤتمر المسلمين ورمز توحدهم وقوتهم.. شريطة أن يترجم ذلك إلى عمل متواصل لإعادة الأمجاد الخالدة، والتاريخ التليد، والقيم الأصيلة التي تجعل للمسلمين عيدًا تتجدد شمسه، وترتفع أعلامه، ويسعد رجاله ونساؤه ويقولون: متى هو؟!

قل عسى أن يكون قريبًا.

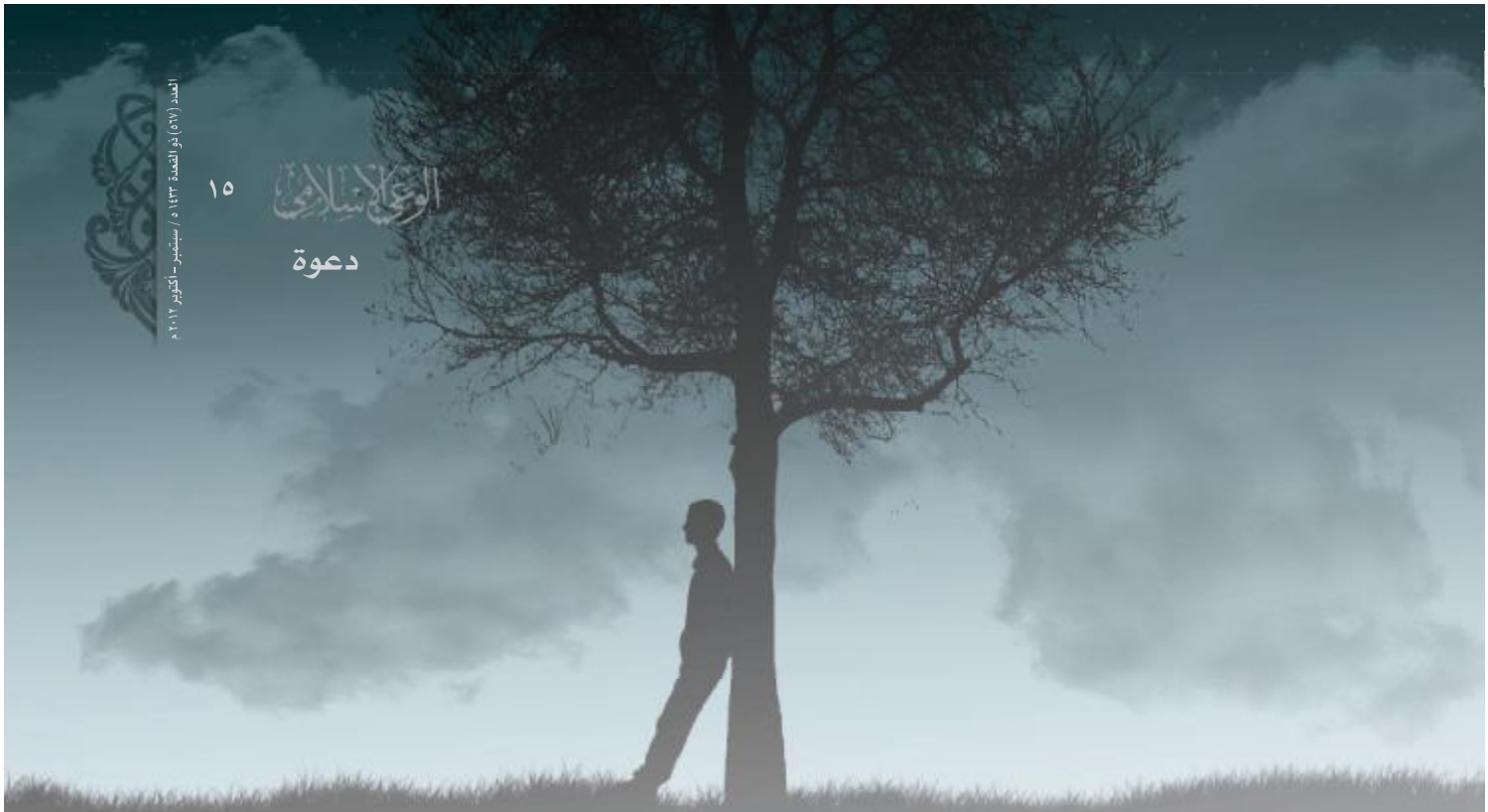

التدين المغشوش.. الواقع والمأمول

عثمان إسماعيل - باحث مصري

تكمن ظاهرة التدين المغشوش في ذلك الانحراف السلوكي (الديني) المفاجئ أو المقصود للنفس البشرية المسلمة، أو أنها محاولة من أعداء الإسلام الذين يتربصون به وبأهله الدوائر لطمس فطرة الله في تلك النفس ومحو معالمها الحقيقية كي تنال منها تشويهًا وتدميرًا، محققة أهدافها بناءً على ما تدعو إليه مذاهبهم القبيحة، والتي تسعى جاهدةً لمحو تلك الفطرة التي قال عنها سبحانه وتعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

ومن هنا يمكن القول بأن هذه الظاهرة ما هي إلا ظلم النفس لذاتها خَلْقًا وفطرةً وتكوينًا وهدفًا نرى ذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 117)، ولما كانت النفس البشرية التي أراد لها الله تعمير هذا الكون أساسها سمة العقل وصفاء القلب وشفافية الروح وإرهاف الحس والسبح في عالم الألوهية تعبدًا وتدبرًا وتأملًا، تلك النفس المطمئنة التي تسمو إلى أرقى درجات الإيمان قولًا وعملًا، فكان من الطبيعي أيضًا أن تتوقف هوية تلك النفس على درجة الإيمان ومعيار التمسك به، ومن هنا تباينت أنماط النفس، فبقدر ما يستطيع الإنسان أن ينتصر على دنياه ويكبح جماح شهواته ويسمو بنفسه الى عالم الرقي الروحي نقاءًا وصلاحًا يستطيع أيضًا بضعف إيمانه وعزيمته أن يهبط الى عالم الحضيض وحقارة الذات وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(الشمس: 7)، وبذلك فقد وضعت سمة الخيار والاختيار أمام تلك النفس البشرية، فإما جمال الفضيلة وإما قبح الرذيلة وما يقاوم ذلك التيار سوى التمسك بقوة الإيمان وإما الاستسلام بالضعف وزعزعة العقيدة.

وإذا كانت ظاهرة (التدين المغشوش) لها جذورها التاريخية تمثلت في صنوفه المختلفة من (تدين مموه) قائم على الادعاء أو رؤى التفلسف والتكلف والتصنع، وهو في حد ذاته رد فعل لخبايا وعوامل نفسية تتوهم أنها قادرة على تغيير الحقيقة التي أراد لها الله تعالى أن تكون، وإزاء ذلك ينبغي لنا أن

ننظر الى تلك الظاهرة نظرة عصرية ورؤية واقعية تحت تساؤلات عدة تعطي صورة متكاملة تعتمد على جدال واقعي ملموس يقودنا إلى جلاء الحقيقة ومعالجة ما حولها.

لذا تبدو بواعث ظاهرة التدين المغشوش وعوامل انتشارها في محاور عدة تتمثل في ذات الإنسان والأسرة والمجتمع والمؤسسات الدينية والتربوية، ومن الطبيعي أن تكون النفس البشرية ضحية تلك المنظومة بما تملك من سلبيات أو تجاهل قاتل، وفشل ذريع في مراعاة تلك النفس بناءً وتربية، وتبدو أسباب انتشار تلك الظاهرة فيما يلي:

● ترويج أعداء الإسلام لأفكار مقصودة ومخططة قد تصل إلى (المذاهب) مستخدمين أدق الوسائل وأكثرها تأثيرًا وفعالية على فئات عمرية معينة قد تستجيب-من وجهة نظرهم- لما يروجون له منتظرين بشغف نتائجه وآثاره.

● الغفلة التي تعيشها الأسرة وتجاهلها لثوابت ومبادئ الإسلام الأساسية، وعدم إعطائها مساحة أكبر لاستيعاب الفكر الديني الصحيح لأبنائها، والطامة الكبرى تبدو في ضعف الوازع الديني في الوالدين، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل.. كيف يستقيم الظل والعود أعوج...؟! مما يضع الضحية بين شقي الرحى وبراثن الفتك حيث يزج بها إلى ضيق الأفق الديني وعالم التشويش الفكري.

● اتساع دائرة مجال الفتوى وكثرة الفتاوى وانتشارها وإعطاء الفرصة لمن يجهرون بها دون معايير أو مقاييس أو تدخل أو مراقبة مما يؤدي إلى خلط واختلاط الأمور بعضها ببعض مما يؤدي إلى الفوضى الفكرية والمتاهات الفقهية وذلك لعدم وجود مرجعية ثابتة محددة تسأل عما تقول وتحاسب عما تفعل بعيدًا عن قبح التضليل والعبث بعقول العامة، وتضعها في مراحل التنوير الفكري واستيعاب ثوابت الدين ومبادئه.

● محاولات اضطراب وتقليص ترسيخ الفكر الديني الصحيح والإخفاق في المحافظة على تجديده من حين إلى آخر في مؤسسات الدولة التربوية، وتهميش هوية التربية العقائدية وأصول التدين الحقيقي وتقليص أسس البناء المنهجي في تكوين الشخصية الإسلامية الحقة مما يعرضها لعواقب الجمود والاستسلام لأفكار ومذاهب الآخرين لما لا؟ وقد فقدت سمة التفكير وروح التدبر وصفة التأمل.

● ضعف الخطاب الديني مضمونًا وتوجيهًا وأهدافًا ووسائل مما يفقد معه القدرة على بناء الذات ومواجهة الآخر حجة واقناعًا، على الجانب الآخر نرى أن الخطاب الديني يستلزم اللين والسماحة ومبادلة الحجة بالحجة في رفق ومودة وهذا مما حذر الله تعالى رسوله الكريم في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159)، وفي موضع آخر نقرأ قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125).

● تجاهل صفة التثبت والتحقق في اختيار الأصدقاء الذين ربما يكونون في حقيقتهم رسل دمار فكري وضياع ديني وهدم أخلاقي وطريق منظم ومنهج مخطط لتشويش وتضليل السمة العقلية والذهنية ونسينا أن نضع نصب أعيننا حديث رسول الله ﷺ «المرء على دين

خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

● الولوج إلى عالم التزمت القاتل حيال تطبيق تعاليم الإسلام والحرص بشدة على ممارستها بعيدًا عن سماحة الإسلام ولينه وعفته ومروءته وتكيفه مع طبيعة النفس البشرية مما يدفع ضعاف الإيمان أن يتصوروا أن الإسلام يتعايش بصفة العدوانية والبطش بمن حوله، ومن هنا قد تستسلم النفس البشرية إلى عالم النفور والهروب ومعها لا يستقر الفكر الديني الصحيح ولا يهدأ ولا يجد من يرشده ويساعده ويأخذ بيده إرشادًا وإنقاذًا لم لا وقد قال سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (ق: 45) وفي موضع آخر ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(الغاشية: 22).

● التعنّت والإصرار على ممارسة سطحية التفكير والفهم الذي لا يتعدى قشور الأشياء والبعد عن المغامرة في تحمل العناء للفهم الصحيح للدين، والتسرع في إصدار الأحكام دون مرجعية فقهية تكون ثمار قراءات واجتهادات متعددة لمصادر دينية موثقة متباينة يكون مردودها نقاء الفكر وصقل العقل وصواب الحق وسداد الرأي.

● وإذا كان ما سبق يمثل بعضًا من أسباب وهوية التدين المغشوش فمن الواجب أن نرسم صورة واقعية للنفس البشرية التي هي ضحية تلك الظاهرة حيث...

● يغلب على تلك النفس الترنح في مرحلة اللاوعي مما قد يصل إلى درجة اختلال الشخصية وتعيش في عوالم العناد والإصرار على ثبات الصفة والقناعة بما عليها من حال يصعب فهمه، مع ضبابية الفكر وغيبوبة العقل، وهذا ما ينطبق عليه قوله تعالى ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: 14-15).

● وهذا الإصرار على تلك السطحية والقناعة بعالم الوهم ما هو إلا محاولة لإقناع الذات وراحة النفس للتحايل والبحث عن مخرج يجده مسوغًا ليبرر ما بداخله من قبح العناد وزيف الحقيقة ووهم التحدي بعد أن سخط الله عليها فقال في شأنها ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:7).

● وقد تأخذ ظاهرة التدين المغشوش سمات عدة منها كثرة الحلف الكاذب والتظاهر بين الناس تكلفًا وتصنعًا في ممارسة الدين والتدين خضوعًا لمؤثرات نفسية تتمثل في العناء-الجحود-النفاق- الشعور بالنقص-الانقيادية-التقليد الأعمى-الفراغ الديني.

على أن تلك المؤثرات النفسية كفيلة بأن تجعل من النفس البشرية ضحية لا تفيق من غيبوبتها وتكون أسيرة مؤثرات متباينة تتشبث بتلابيب من يستسلم لها وتلقي به في مزالق الحمق وعوالم التهميش البشري.

ويمكن القول بأن تلك الرذيلة تندرج تحت ما يطلق عليه «التظاهر بغير ما في الضمير» وهي رذيلة النفاق، وهي في ظاهر المصطلح ضرب من أقبح ضروب النفاق المدمر لعلاقة الإنسان بذاته وبربه وبالآخرين أما في باطنه فهو السخط الإلهي على تلك النفس التي أبت وعاندت وجحدت فطرة الله التي فطر الناس عليها وخالفت طبيعة البشر فكان هذا عقابها.

وإذا كانت ظاهرة التدين المغشوش تعتمد على مردود ثقافة الذات الخاوية دون إقناع وثقافة الآخر الحائرة دون تثبت أو تحقق مما ينتج عنها الصراع الثقافي والنفسي، فينبغي مواجهة صنوف الصراعات بأن نقلب لتلك الظاهرة الوجه الآخر ونضع نصب أعيننا حديث رسول الله ﷺ «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي» وهذا ما نقرأه في كتاب الله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: 56).

ومن الحمق أن تستهوي النفس البشرية تلك الرذيلة تحت أية مؤثرات وأية ضغوط أو قناعات واهية لتلقي بها إلى قاع الدمار النفسي والمادي متجاهلة أساليب النجاة واحترام الفطرة والنفس البشرية التي أكرمها الله وكرمها عن باقي المخلوقات بالسمة الذهنية والتي لا تجلب لمن يحترمها ويصونها سوى كل هيبة ووقار واحترام.

ولنا أن ندرك أن التدين المغشوش أخطر على الإسلام من الكفر ذاته وذلك لأن الكفر عرف طريقه ونهايته وكيفية تجنبه ومحاربته ولكن التدين المغشوش أساسه الغموض والحيرة متشعب الأخطار وعر الدروب، لا يرحم مهما كان هدفه، وأيًا كان مقصده، له أذنابه وذيوله التي لا تفتأ تنهش فيمن تواجهه، ولكن التمسك بالله وقرآنه وبالرسول ﷺ وسنته الشريفة لهو الطريق الوحيد الأصلح والأمثل وأن تتعايش النفس البشرية المسلمة مع عقيدتها قولاً وعملاً عندئذ ندرك قوله تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:7) فالنصر ليس مقرونًا بالجهاد فقط ولكن انتصار النفس عندما تصلح من ذاتها فيخلص لها الله تعالى تقويمًا وتقييمًا، ورضًا واطمئنانًا وبعدها عما تواجهه صونًا وحفظًا ووقايةً وحمايةً.

مما سبق يمكن القول بأن التدين الحقيقي هو «الحياة» لأنه جوهرها وترجمتها إلى قيم وسلوك وضوابط هذا هو التكامل في مفهوم الدين، المفهوم الشامل الذي يؤكد أن الدين الحياة فإذا ما تحقق مضمون هذا المفهوم صار تدينًا حقيقيًا يعتمد على منظومة من القيم الراقية من خلال علاقة الإنسان بذاته وبربه وبمن حوله، عندها تستقيم النفس ويطمئن القلب ويصفو الضمير وتسمو الذات فوق شهوات النفس وحقارة الدنيا لتجد هويتها كما أراد لها خالقها سبحانه وتعالى.

القارئ الشيخ أحمد عامر يفتح قلبه لـ «الوعي الإسلامي»:

القرآن علمني الأخلاق والخير

قراء الرعيل الأول لن يتكرروا لأنهم وهبوا كل حياتهم وإخلاصهم لأمانة الكتاب المبين

هالة عبدالحافظ - القاهرة
دار الإعلام العربية

ولد في بيت يتخذ من القرآن الكريم نبراسًا وميراثًا ومعينًا لا ينضب.. يتمتع بصوت قوي ومتميز، حينما تجلس إليه تشعر أنك أمام شاب في الثلاثين من عمره، على الرغم من أنه في الخامسة والثمانين، تجده دومًا حاضر الذهن، باسم الوجه، قوي الصوت، جهوري التلاوة، طويل النفس.. إنه حالة فريدة من المقرئين الذين نذروا أنفسهم للقرآن الكريم.. هذا هو الشيخ أحمد محمد عامر قارئ مسجد السيدة زينب وعضو مجلس إدارة نقابة القراء المصرية، والحكم الدولي لمسابقات القرآن الكريم حول العالم.. والذي التقته «الوعي الإسلامي» لنتعرف على أبرز المحطات القرآنية في مسيرته.. فإلى التفاصيل.

• على مدى أكثر من ثمانين عامًا بدأت رحلتك النورانية.. فهل تعطينا بعض الملامح البسيطة لهذه الرحلة؟

– بداية، اسمي أحمد محمد أحمد عامر، ولدت في يوم ٣ مايو ١٩٢٧م، في قرية «كفر العساكرة» التابعة لقرية «الصالحية» مركز «فاقوس» بمحافظة الشرقية ، ونشأت في بيت عُرف ببيت القرآن، فقد كان والدي من قراء القرآن البارزين في البلدة، كما كان منشدًا للتواشيح والابتهالات الدينية، وكان جدي أيضًا الشيخ «أحمد عامر» حافظًا للقرآن، بارعًا في تلاوته.. وفي الرابعة من عمري التحقت بكُتَّاب القرية مع أخي الأكبر الشيخ محمد، وبدأت رحلتي القرآنية على أيدي شيوخ قريتي ومنهم الشيوخ محمد أحمد ميدان، ومحمد السهويتي، ومحمد عكيلة.. كنت أتنقل بين كتاتيب القرية ومن شيخ إلى شيخ سعيًا وراء الإتقان والتجويد، حتى أتم الله عليّ حفظ القرآن الكريم وأنا في الحادية عشرة من عمري.. وكنت قد التحقت في أثناء ذلك بالمدرسة الابتدائية حتى الصف الثالث، وعلى الرغم من تفوقي وقدرتي الكبيرة في الجمع بين تحصيلي الدراسي وحفظي لكتاب رب العالمين، إلا إنني آثرت أن أتفرغ للقرآن وألا أنشغل بأي شيء غيره، فتركت المدرسة، وما لبثت أن تركت البلدة إلى بلدة أخرى، حيث دعاني ابن عمتي المقيم ببلدة «الضهير» مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية لأتدارس القرآن على يد أحد شيوخ القرية البارزين في التلاوة بالأحكام، الشيخ «عبدالسلام الشرباسي» رحمه الله وبالفعل تعلمت على يديه تجويد القرآن، فقد كان عالمًا فذًا بأحكام القرآن وتلاواته، وهو جد فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتي

أدعو الشباب إلى الالتزام بتقوى الله وطاعة الوالدين للنجاح في دنياهم وآخرتهم

مصر الأسبق رحمه الله عن طريق الأم، ودرست على يديه رواية حفص عن عاصم، وروايتي ورش وقالون عن نافع، ثم بعد وفاة «الشرباسي».. اتجهت إلى الشيخ «إبراهيم نجم» في بلدة العزيزة بمحافظة الدقهلية، وبدأت عنده في تعلم القراءات السبع.. وكنت وقتها في الثالثة عشرة من عمري.. وكنت في تلك الفترة قد بلغت منزلة كبيرة في رحلتي القرآنية، وأصبحت معروفًا في قريتي وجميع القرى والبلاد المجاورة، وبلغت من درجة الإتقان في تلاوة آي الذكر الحكيم أنني زاملت كبار قراء الرعيل الأول والثاني مثل الشيوخ عبدالفتاح الشعشاعي، طه الفشني، عبدالعظيم زاهر، الحصري، عبدالباسط عبدالصمد، محمود البنا، ومصطفى إسماعيل وغيرهم.

• ومتى جاءت مرحلة انضمامك إلى الإذاعة المصرية؟

– في العام ١٩٥٦م، نصحني عديد من المحبين بالتقدم إلى لجنة المقرئين بالإذاعة المصرية، فتقدمت لاختبار من قبل لجنة برئاسة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وكان من أعضاء اللجنة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله والدكتور محمد عبدالله دراز وكيل الأزهر السابق، والدكتور أحمد علي بكلية أصول الدين، وفضيلة الشيخ عبدالمحسن شطا، والأستاذ محمد حسن الشجاعي، والشيخ عبدالفتاح القاضي أستاذ علم القراءات، وقد اجتزت الاختبار من المرة الأولى بتقدير جيد جدًا.. لكن لم يتسن لي القراءة مباشرة في الإذاعة، وذلك بسبب وقوع العدوان الثلاثي ضد مصر في ذلك العام، والذي قُصف فيه مبنى الإذاعة، وكانت بدايتي الفعلية مع الإذاعة في العام ١٩٦٣م، ومازلت إلى اليوم من قرائها.

• وماذا عن زياراتك لبلدان العالم الإسلامي؟

– في عام ١٩٥٨ اختارت وزارة الأوقاف مجموعة من القراء للسفر إلى الخارج عن طريق مسابقة، وكنت فيها من الأوائل، وكان معي العالم الجليل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، والشيخ الحصري، والشيخ محمود عبدالحكم، والشيخ دسوقي مرعي، وتعددت أسفارنا من البحرين، إلى الهند، اليمن، سوريا، الصومال، عدن، فرنسا، موريتانيا، يوغسلافيا، باكستان، وتايلاند، أبو ظبي، الكويت، دبي، قطر، البرازيل، أمريكا، إيران، الجزائر، المغرب، تركيا، والسعودية، وظللت طوال ثلاثين عامًا أذهب إلى لندن في رمضان، وذهبت أيضًا في شهر الحج إلى بيت الله الحرام، وأعتز كثيرًا بزيارتي الأولى للكعبة وكانت عام ١٩٦٤، حينها شعرت بسعادة غامرة على الرغم من بساطة الإمكانيات حينها، وكانت هذه المرة من أسعد زياراتي لبيت الله الحرام ببركة القرآن ودعاء سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وكنت في كل رحلاتي أجد بفضل الله حفاوة بالغة في كل الدول التي أزورها، على المستويين الرسمي والشعبي، ومن ذلك في أثناء زيارتي إلى الهند في العام ١٩٧٢م، حرص الدكتور ذاكر حسين أول رئيس جمهورية مسلم

للهند على استقبالي وتكريمي تكريمًا حافلاً.. وهو ما تكرر في العام نفسه في ماليزيا، حيث ذهبت إليها حكمًا دوليًا لمسابقة للقرآن الكريم بحضور الملك عبدالحليم شاه ملك ماليزيا، والذي قام بتكريمي بحفاوة بالغة.. وتكرر الأمر في العديد من البلدان الإسلامية التي كانت تستعين بي حكمًا في مسابقات القرآن الكريم.

● وماذا عن ذكرياتك في الكويت؟

– ذهبت إليها عام ١٩٧٥، كنت بصحبة الشيخين محمد متولي الشعراوي، ومحمود البنا، وكنا دائمي الذهاب إلى مسجد السالم بالسوق، وكنا نقرأ للإذاعة، وذهبنا إلى مسجد عبدالله العثمان في النقرا لنقرأ القرآن الكريم، وكان يجتمع حول الشيخ الشعراوي أمم لا يعلمها إلا الله، وكان يراجع معي الشيخ إبراهيم محمد رمانة.

● عاصرت الشيخين الحصري والشعراوي.. حدثنا عنهما؟

– الشيخ الحصري كان صديقي ويكبرني بعشر سنوات، كنا مثل التوأم، تعرفت إليه في إحدى المناسبات، وحينما استمع إليّ قالي لي «أبشرك بمستقبل عظيم»، وفي إحدى زياراتنا إلى دولة قطر جلسنا متجاورين على كرسي الطائرة وكان ذلك في العام ١٩٧٨، حينها ذكرني بقوله لي وتنبؤاته بمستقبلي، وكم كنت محظوظا؛ لأنني زاملت وقرأت مع مشايخ كثيرين كالشيخ مصطفى إسماعيل، وعبدالباسط عبدالصمد، وشعيشع، وعبدالعظيم زاهر، ومحمود عبدالحكم، وعبدالعزيز علي فرج، والبهتيمي، وكل القراء القدامى.. أما الشيخ الشعراوي فكان على خُلق كريم، وكان من العلماء الذين فيهم نفحة من نفحات الله سبحانه وتعالى، وقد زاملته في رحلتي إلى الكويت .

قرأت في الكويت لأول مرة في عام ١٩٧٥ بصحبة الشيخين الشعراوي والبنا

● ماذا عن تلاميذك.. هل ترى بينهم من يعيد مكانة العلماء الأجلاء الذين رحلوا كالشيخ عبدالباسط عبدالصمد أو المنشاوي؟

– لديّ تلاميذ كثيرون، وكل منهم وفقًا لجمال صوته يُرزق ببركة القرآن، لكن أغلب مستويات هؤلاء التلاميذ لا ترتقي إلى مستوى الرعيل الأول من القراء الأجلاء، أعتقد أنهم لن يتكرروا، فقديمًا كان الشيوخ يتفرغون للقرآن قلبًا وقالبًا، فكان هو حياتنا كلها، أما الآن فالأمر ليس كذلك لدى كثيرين.

● ماذا علمك القرآن؟

– علمني الأخلاق، حيث قال رسولنا الكريم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، فالقرآن الكريم علمني الصدق، الأدب، الإحساس، طاعة الله، طاعة الوالدين، الإحسان إلى الجيران، التعامل الطيب مع الجميع، تعلمت وما زالت أتعلم منه الكثير والكثير، فالخير والعلم في كتاب الله لا ينتهي أبدًا، ومن شب على شيء شاب عليه.

● ما موقفك من النغم والترنم والتطريب في التلاوة؟

– القرآن له مقامات خاصة حُجاز، سيكا، صبا، عجم، لكن يجب ألا يبالغ القارئ في استخدام هذه المقامات بصورة تخرجه عن حدود القرآن وآدابه وأحكامه.

● ما نصائحك للشباب المقبلين على حفظ القرآن؟

– أول نصيحة أدعوهم إلى الالتزام بتقوى الله، ثم أدعوهم إلى طاعة الوالدين، حتى ينجحوا في دنياهم وآخرتهم.

● أخيرًا.. ماذا عن أسرتك؟

– رزقني الله بستة أبناء ٤ ذكور وابنتين، الأكبر اللواء «محمد» بالجيش المصري ويبلغ من العمر ٦٠ عامًا، ثم الدكتور «أحمد» أستاذ بكلية طب الزقازيق، الثالث الشيخ «ناصر» مقيم شعائر بمركز فاقوس، ثم الابنة الرابعة «أماني» مأمورة ضرائب، والخامس الدكتور «خالد» رئيس قسم الأسنان بمستشفى فاقوس العام، والسادسة الدكتورة «آيات» مدرسة بكلية الطب جامعة الزقازيق.. وجميعهم من حافظي القرآن الكريم بدرجات متفاوتة.. والحمد لله الذي جعلهم نبتًا طيبًا، ورثوا عني أفضل ميراث، آيات الكتاب المبين.

أسلموا على يديه

على الرغم من تقدم الشيخ في السن، إلا أنه يتعامل بحماس شاب في الثلاثين من عمره، فيذهب إلى العاصمة البريطانية لندن منذ ١٧ عامًا ليؤم المسلمين في صلاة التراويح بالمركز الإسلامي بالقرآن الكريم كاملاً خلال شهر رمضان..وقد منّ الله عليه بأن أسلم على يديه عشرات من البريطانيين والباكستانيين والبنجلاديش الذين يتوافدون على المركز الإسلامي في شرق لندن والذي يتجاوز عدد المصلين فيه ١٥ ألف مسلم ويعتبر من أكبر مساجد المدينة، وقد تتلمذ عشرات الشيوخ البارزين على يدي الشيخ، ولا يزال حتى اليوم يقوم بمهمته في تحفيظ القرآن دون أن يتقاضى أجرًا.

تغيير المنكر.. مسؤولية مشتركة

لا دولة بلا قانون، ولا قانون بلا تطبيق ومتابعة.. الدولة تسن التشريعات التي تغير المنكرات وتحول دون تفشيها في المجتمع، وتخصص جهات بعينها للمتابعة والتنفيذ، لكن المجتمع بأسره مطالب بالمراقبة والإبلاغ والتحقق من أن القانون سائد ومحترم.

كل منا مطالب باليقظة والانتباه وتحري الصواب فيما نفعل أولا وفيما يجري حولنا ثانيا، ثم التصرف- ثالثا- بإيجابية.. وإبلاغ السلطات المختصة بأي خرق لتطبيق القانون الذي لم يسن إلا للمصلحة العامة.. وحتى إن لم تلتزم مؤسسات الدولة بالقانون فعلى المجتمع رفع الأمر للسلطة الحاكمة والعمل على تغيير المنكر.

وإذا كان الايمان هو «ما وقر في القلب وصدقه العمل» وإذا كان الدين هو المعاملة وإذا كان القوم الذين ركبوا في سفينة خرقها بعضهم قد نجوا لأنهم أخذوا على أيدي من ظن أنه حر على الاطلاق يفعل ما يشاء، وإذا كان قوم قد هلكوا لأنهم لم يتناهوا عن منكر فعلوه، وإذا كنا مأمورين بأن نتقي فتنة لا تصيبن الذين ظلموا- منا- خاصة.. فأي ملجأ من الله إلا إليه؟ وأي عذر لدينا كي لا نطبق ديننا في كل سلوكيات حياتنا؟ إذا كنا نؤمن بأن الإسلام دين حركي لا رهبنة ابتدعوها ما كتبها الله على أحد، فلماذا لا نتحرك بإيجابية ونغير ما استطعنا من سلبيات إلى خانة الإيجابيات؟ كلنا نام وبعضنا يصحو.. كلنا يمضي إلى مهامه اليومية وبعضنا يقلد «التابلة».. كلنا يرى ما لا يسر الخاطر ومعظمنا يدير الوجه ويستكمل السير وكأن شيئًا لا يعنيه!! مع أن الأمم التي تقدمت بعد أن خَلَدَت أمتنا للدعة والراحة تركت لنا رسالة عبر الأثير الحضاري موجزة فيها أسباب تقدمها، ومنها تربية النشء على الايجابية والنظر إلى الغاية لا إلى الشجرة فقط! والأمر المدهش هنا أننا نتعامل مع المنكرات على أنها لا تخصنا ولن تلحق بنا ضررًا طالما لم نقم نحن بها مع أنها فتنة حذرنا الله منها ومع أنها وباء يمتد أثره شئنا أم أبينا عبر السمع والبصر والفؤاد وكل أولئك الذين نحن عنهم مسؤولون .

ينظر كل منا إلى المنكر ولا يغيره لأنه ينظر تحت قدميه فقط، لا يرى إلا حذاءه اللامعين العابرين على أنقاض من مضوا قبله.. لا يرى إلا شجرة من ألف شجرة تمثل لهم الغابة.. نظرته بهذا الضيق الذي يستحيل معه أن يرى أن الآفة عند غيره سرعان ما تنتقل إليه وإلى أهله وأن سلبيته وسطًا مناسبًا جدًا لنمو هذه الآفات المدمرة.

ومع ذلك فالتغيير لا يكون إلا بحكمة وموعظة حسنة ومستندًا إلى ما سيؤول إليه من ردود فعل تتصل بالواقع، لا متأثرًا بالماضي فقط ولنا في رسول الله أسوة حسنة أستاذ البشرية في تغيير المنكر بحسن المعاملة.. الذي لم يغضب لنفسه قط إلا لحد من حدود الله.. الذي لان قلبه لمن جذبه من ثيابه، وأمر أن يزاد له في عطيته جزاء ما روعه صاحبه الفاروق عمر.. الذي أرشد الصحابة إلى صب الماء على أذى أعرابي في مسجد ثم علمه برفق أن المساجد لا يصلح فيها ما فعل وإنما هي للصلاة وقراءة القرآن وذكر الله.

إن «الوعي الاسلامي»، وهي تفتح ملف تغيير المنكر، تضع نصب عينيها جناحي التغيير وهما الإيجابية والرفق معًا.. مناشدة الجميع التحليق بهما من أجل مستقبل أفضل لعالمنا الإسلامي.

علاء الدين عبدالفتاح

تغيير المنكر.. أي تغيير؟ وأي منكر؟

السنوسي محمد السنوسي - باحث إسلامي

لطالما أثار موضوع «تغيير المنكر» إشكاليات متعددة، ونقاشًا متجددًا في الفكر الإسلامي، وشغل مساحات واسعة منه، قديمًا وحديثًا، ومثّل إحدى المسائل المهمة التي دار عليها وارتبط بها ظهورُ انقساماتٍ فكرية وحركية على السواء.

ذلك أن موضوع «تغيير المنكر» ليس موضوعًا فكريًا منبت الصلة بالواقع، بل هو وثيق الصلة به، ويصب في القلب منه. ولمَ لا؟! وهو يهدف إلى تغيير هذا الواقع وتبديله؛ أيًا كانت الصورة التي يطمح إليها، والوسيلة التي يسلكها.

ودائمًا تكون الأفكارُ التي لها صلة بالواقع، وليست مجرد تمارين عقلية وتوهمات منظّرين، ذاتَ طابع خاص؛ إذ يتعدى أثرَها «عالمَ الأفكار» إلى «عالم الأشياء»، وربما يقلبه رأسًا على عقبٍ!

ولا شك أن موضوع «تغيير المنكر»، موضوع متشعب الجوانب، وله مداخل متعددة يمكن أن نعالجه من خلالها؛ كما أنه يتماسّ مع أبعاد عدة: فقهية ومعرفية واجتماعية ونفسية وتاريخية، تفرض على الباحث أن يتطرق إليها، أو يضعها في اعتباره على الأقل، لاسيما إذا كنا بصدد الحديث عن تغيير إيجابي فعّال، ولسنا بصدد الحديث عن «مجرد تغيير» قد تكون نتائجه وعواقبه أسوأ بكثير مما كنا نظنه خطأ وخطرًا!

لكنني أحب أن أتناول هذا الموضع المتشعب والممتد من خلال التطرق- بإيجاز- إلى أربع نقاط، أحسب أنها تعطي ولو مجرد إشارات مضيئة إلى هذا الموضوع متعدد الأبعاد.

• التغيير.. حاجة مستمرة

لقد اختص الله سبحانه ذاتَه العليةَ بالكمال المطلق، والتنزُّه عن أية نقيصة، فهو سبحانه لا يحتاج إلى شيء لأنه خالق كل شيء، واختص سبحانه أنبياءه ورسله بالعصمة؛ لأنهم يبلغون الوحي عنه إلى خلقه؛ أما من عداهم من سائر البشر، فيجوز في حقهم الخطأ والصواب، والخير والشر.

والإنسان لا يخلو حاله من أحد أمرين، إما من خير يعان عليه من الله ويوفقه إلى أسبابه، وإما من شر تحرضه عليه نفسه الأمارة بالسوء أو الشيطان الوسواس الخناس. فهو- أي الإنسان- متأرجح بين هذين الحالين؛ لذلك كانت حاجته إلى التوبة والاستغفار ومراجعة النفس والاستدراك على ما يفوته من خير أو ما يقع فيه من إثم، حاجة ضرورية لا يستغني عنها مادام فيه عرق ينبض.

وإذا كان هذا حال الإنسان الفرد، فإن المجتمع لا يشذ عن هذه القاعدة؛ فحال الأمم والشعوب لا يخلو من نهضة فتحتاج إلى المحافظة عليها وتأكيدها ودفعها إلى الأمام، أو من تخلف وانحطاط فتحتاج معهما إلى منبّهات وشواحذ وإلى من يفجر فيها الطاقات المعطلة والإمكانات المهدرة للتغلب عليهما.. ومن هنا كانت حاجة الفرد والمجتمع إلى «التغيير».

وإذا وضعنا نصب أعيننا المغريات والجواذب الكثيرة التي باتت تتنازع عقل المسلم وقلبه ونفسه- على مستوى الفرد والمجتمع- وأن تلك الشواغل تلح بإصرار واستماتة كل لحظة على صرفه عن المهمة التي خلقه الله سبحانه من أجلها، حتى أصبحت تقتحم عليه أشد الأمكنة والأزمنة خصوصية به- لأدركنا مدى حاجة الإنسان الشديدة إلى «التغيير» الذي يمنحه أسباب التحصين والمواجهة، ويمده بحبل النجاة وسط هذه الموجات المتتابعة المظلمة من عوامل الهدم والهدر.

فلا يتصور إنسان أنه استغنى عن تجديد نفسه ومراجعة موقفه، ولا تحسب أمة أنها لا تفتقر إلى محاسبة الذات وإعادة النظر في الخطوات والإمكانات والطموحات.. وهذا هو المعنى الأوسع والأشمل للتغيير المطلوب الذي هو حاجة مستمرة.

• تغيير المنكر أم ترسيخ المعروف؟

قد ينطلق الإنسان في سعيه لتغيير الواقع المحيط به من موقع الساخط والمتمرد والقاسي والقاضي، وليس من موقع الناصح والشفيق والرؤوف والداعية! ولا شك أن اختلاف هذين الموقعين ليس اختلافًا نفسيًّا وعاطفيًّا فقط، بل هو يستتبع بالضرورة اختلافًا فكريًّا في ترتيب الأولويات وطريقة النظر إلى حجم الأخطاء الحاصلة وأهميتها، واختلافًا سلوكيًّا في الوسائل التي يتخذها لتغيير هذا الواقع.

ومن العجيب أن بعض الدعاة يتخذون من الموقع الأول منهجًا وطريقة، على العكس تمامًا مما تدلنا عليه سيرة النبي ﷺ في دعوته قومه، وهم الذين كانون مخالفين بالكلية للمنهج الذي يدعو إليه.

ولنتأمل معي تلك الكلمات الأولى- الرقيقة والواضحة في الوقت ذاته- التي خاطب بها النبي ﷺ قومه بني هاشم حين دعاهم بعد أن أُمر بدعوة عشيرته الأقربين، فقال لهم: «إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ؛ وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا، مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ، مَا غَرَرْتُكُمْ؛ وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللَّهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا، أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا»(١).

ولذلك لم يكن عجبًا أن امتن الله سبحانه علينا بأن بعث إلينا رسولًا رؤوفًا رحيمًا، في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) فدلّ ذلك أن هاتين الصفتين في مقدمة ما يجب أن يتحلى به الداعية.

فهذا السؤال: بأيهما نبدأ؛ تغيير المنكر أم ترسيخ المعروف؟ يلفت النظر إلى أن البعض- للأسف- قد لا يرى فيما حوله إلا المنكر، وما هو خطأ ومرفوض، ولا تقع عينه إلا على الأسوأ في حياة الناس؛ وهذا يورثه- بلا شك- سخطًا على واقعه، وربما يأسًا منه، ويؤثر على الوسائل التي يسلكها والأحكام التي يصدرها.

إن مجتمعاتنا بخير، والحمد لله، لكنّ ما تراكم عليها من عوامل الهدم والهدر حجب فيها صفات طيبة، وأطلق العنان للشهوات والمنكرات؛ ونحن نحتاج في المقام الأول إلى أن نحسن الظن بأنفسنا وبمجتمعاتنا، وإلى أن نتحلى بالصبر والرؤية المتفائلة والنفَس الطويل، إضافة إلى بذل الوسع في الدلالة على الخير وإرشاد الناس إليه أولًا، بدلًا من الإلحاح على فكرة التنفير من الخطأ والتحذير منه.

فكثيرٌ مما نراه خطأ، سينمحي تلقائيًّا بمجرد أن نعمل على ترسيخ المعروف، ونرشد برفق إليه، ونفسح المجال أمامه.. فمثلًا قد تعلم عن إنسان أنه سيئ الخلق، وعاقٌّ لوالديه، ويؤذي جيرانه، ويأتي المنكرات.. فإذا أنت شغلت نفسك بتحذيره من كل صفة ذميمة من هذه الصفات، فستحتاج وقتًا طويلًا، وربما ينفر منك ولا تنفع معه النصيحة! أما إذا أحسنت له القول، وأقمت معه جسرًا من المودة والتآلف، ودللته برفق على سبل الخير من قراءة القرآن ومجالسة الصالحين ولزوم دروس العلم؛ فإن درجة تأثره تكون أكبر، والوقت اللازم ليتخلص من الصفات الذميمة سيكون أقل.. وهكذا بدلًا من أن تلعن الظلام، أوقدْ شمعة.

• ما التغيير المنشود؟

إن التغيير الذي أعنيه في هذا المقام لا يقف عند تصور ساذج بسيط أو صورة وحيدة للمراد منه وهو التبديل(٢)، بل يشمل تصورًا مركّبًا لأن الحياة نفسها مركّبة، وصورًا متعددة للتغيير، تشمل تقديم النصح والإرشاد والتوجيه، والاستفادة القصوى مما هو ممكن ومتاح، وصولًا إلى ما هو مأمول ومطلوب، مع تنوع في الوسائل والأدوات حسب ما يقتضيه الحال والمقام.

فالتغيير المنشود ليس شكليًا وإن كان الشكل جزءًا منه، وليس فرديًا وإن كان الفرد أساسَه ومنطلقَه، وليس سياسيًا وإن كانت إقامة الدولة سياجَه وإطارَه. هو في الحقيقة تغيير يستهدف الجوهر قبل المظهر، والمضمون قبل العنوان، والنفس قبل الجوارح، والأخلاق قبل القانون، والمجتمع قبل الدولة، وكم كان القرآن الكريم دقيقًا غاية الدقة وهو يرسي تلك المعادلة التي تمثل «قانونًا حضاريًا ثابتًا» فيما يتصل بالتغيير الفعّال، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

فما بالنفس- من معتقدات وقيم وتصوُّرات- هو المستهدَف الأول من التغيير المنشود، وهو الأساس الذي تنبني عليه كل أوجه التغيير الأخرى، وصولًا إلى إقامة الدولة التي تحافظ على مكتسبات التغيير على مستوى الفرد والمجتمع، وترد عنها محاولات الكيد والاختراق، وتسعى أيضًا في الوقت ذاته إلى إشاعة هذا الهدي الرباني بين الإنسانية المتخبطة في الظلمات. ولذلك قلت: إن التغيير المنشود هو «عملية مركبة»، سواء على مستوى المراحل (الفرد، الأسرة، المجتمع، الدولة)، أو الأدوات (التربوية، الإعلامية، الاقتصادية، القانونية، السياسية).

أما الذين يتصورون وجود مرحلة واحدة للتغيير- بعضهم يركز على الفرد والأخلاق، وبعضهم يركز على الدولة والسياسة- أو يتصورون وسيلة واحدة له- مثل الوعظ والإرشاد أو العمل السياسي، وبعضهم يجنح إلى العنف والانقلابات- فلا يأخذون في اعتبارهم مفهوم التغيير بوصفه مفهومًا مركبًا يتطلب السير بخطوات متوازية في المراحل المتعددة والأدوات المتنوعة، بشرط أن يكون بعيدًا عن العنف والتطرف.

وللشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- كلمات هادية في هذا الباب، حيث يقول: «إقامة دين شيء، واستيلاء جماعة من الناس على الحكم شيء آخر؛ فإن إقامة دين تتطلب مقادير كبيرة من اليقين والإخلاص ونقاوة الصلة بالله، كما تتطلب خبرة رحبة بالحياة والناس والأصدقاء والخصوم، ثم حكمة تؤيدها العناية العليا في الفعل والترك والسلم والحرب» (٣).

وهنا تبرز أيضًا الجهود المميزة للمفكر الجزائري مالك بن نبي، الذي صاغ مفهوم الحضارة- باعتبارها ثمرة التغيير المنشود- في معادلة شهيرة، حيث خلص إلى أن الحضارة ناتج: الإنسان + التراب + الوقت؛ وأن تلك المعادلة تحتاج لمَزْج عناصرها وإحداث التفاعل بينها إلى ما يسميه «مركِّب الحضارة» وهو يتمثل في

«الدين»؛ فالدين يصنع من أطراف هذه المعادلة المفردة كيانًا واحدًا ذا فاعلية وحيوية، كما يجتمع الهيدروجين والأكسجين في معادلة، فيتكون منهما «الماء» بفعل القانُوني الكيميائي «المركّب الحضاري»(٤).

وأحب أن أضيف أن «الوقت» هنا يشمل معنيين: المعنى الأول (وهو الشائع) إدراك أهمية الوقت في حياة الأفراد والمجتمعات، فلا يُصرف في اللهو واللعب وتوافه الأمور؛ أما المعنى الثاني فهو إدراك أن إنجاز معادلة التغيير يحتاج لوقت وصبر وتؤدة؛ لأن العجلة في إنجاز المراحل تؤدي إلى إفقادها الفاعليةَ المطلوبة، بل قد تؤدي إلى عكس المراد!

• ما المنكر المرفوض؟

هذه نقطة مهمة وأساسية ينبغي أن تكون واضحة ضمن التصور الشامل والمفهوم المركب لعملية التغيير المنشود؛ وقد أدى إغفالها إلى ظهور جماعات العنف المسلح التي كان من الواضح أنها تحلّت بقدر كبير من الإخلاص والحماسة، لكن غاب عنها- للأسف- عمق التجربة وحسن الفقه(٥).

فلاشك أن طريق الإصلاح أمامه في مختلف مجالات الحياة عقبات كثيرة، تراكمت عبر أزمنة مختلفة، وتحت وطأة خطط لم تكل عن إضعاف المسلمين ومحاصرتهم في دائرة التراجع والانحطاط.

وأمام هذه التحديات الكثيرة والمتغلغلة في المجتمع، إنّ لم ندرك الأولويات المطلوب إنجازها، والخطوات العاجلة التي لا تحتمل تأخيرًا، والوسائل الفاعلة التي تحدث تراكمًا إيجابيًا دون آثار جانبية، والمنكر الأشد ضررًا ولا يمكن السكوت عنه.. فإننا قد نصنع بأيدينا- ومن حيث لا ندري- عقبات جديدة تضاف إلى ما هو حاصل على أرض الواقع!!

ومن هنا، يمكن أن ألخص أهم الشروط والقواعد والضوابط التي وضعها العلماء عند التصدي لتغيير المنكر، فيما يلي(٦):

- ليس كل ما قد يتصوره البعض منكرًا لأول وهلة هو منكر في الحقيقة، ولابد من مراعاة مساحات الاجتهاد والتنوع في الفقه الإسلامي، وأن يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.
- وليس مطلوبًا أن نجمع الناس على كل أمر راجح، سواء تعلق الرجحان بالفعل أو بالترك، ولهذا رفض الإمام مالك دعوة الرشيد أن يحمل الناس على كتابه «الموطأ»، وأرسى الفقهاء قاعدة أصيلة في هذا الباب وهي «لا إنكار في المختلف فيه» ضمن «فقه الخلاف».
- وليس كل منكر غير مختلف فيه، يمكن تغييره في التوّ واللحظة؛ فهناك اعتبارات أخرى مثل القدرة على تغييره، وتحديد المخاطَب بهذا التغيير، وهل يتعارض تغييره مع ما هو أكثر ضررًا منه، وهنا تَرِد قاعدة «ارتكاب أخف الضررين» ضمن «فقه المآلات» و«فقه التدرج».
- وليس كل مسلم مخاطَبًا بوسائل التغيير الثلاثة المعروفة الواردة في الحديث النبوي: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانُ» (رواه مسلم)؛ فهناك من يخاطَب بوسيلة التغيير باليد، مثل الحاكم أو الدولة تجاه المواطنين، والأب تجاه أبنائه، ومن يخاطب بوسيلة الإنكار باللسان وهم العلماء الذين يجمعون بين «فقه النص وإدراك الواقع»، وكذلك يخاطب بها كل مسلم يحسن معرفة مسألة جزئية فيتصدى لها؛ لحديث النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (رواه البخاري). أما وسيلة الإنكار بالقلب فتبقى متاحةً لكل مسلم يرى منكرًا لا يملك تغييره بغير القلب لأي سبب كان، وذلك كله ضمن «فقه المتاح».

ثم من قبل هذا ومن بعد، ينبغي- كما أشرنا- أن نقدم الدعوة والتربية والتوجيه أولًا، وأن نسلك من الطرق والوسائل أيسرها وأكثرها حكمة ومناسبة، وأن ندرك أننا مطالبون ببذل الجهد واستفراغ الطاقة، ولسنا مكلفين بتحقيق النتائج والغايات.

وأن نفهم جيدًا أننا أمام واقع معقّد ومركّب ومتشابك، لا تكفي لتغييره كلمة مخلصة، ولا ضربة حازمة؛ وإنما يتطلب سعيًا حثيثًا يواصل الجهد بالليل والنهار على هدى وبصيرة؛ وبالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

الهوامش

(١) جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، ١/ ٥١، ط١، ١٩٢٣، مكتبة الحلبي، القاهرة.

(٢) التغيير: عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى، مثل تغيير الأحمر إلى الأبيض. والتغيير إما في ذات الشيء أو جزئه أو الخارج عنه. انظر: معجم «الكليات» لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د.عدنان درويش، ومحمد المصري. ص: ٢٩٤، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١١٢، كتاب الأمة رقم ١، ط٣، ١٤٠٢هـ، قطر.

(٤) راجع كتابه «شروط النهضة»، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، ص: ٤٥/ ٤٦، طبعة ١٩٨٦م، دار الفكر، دمشق.

(٥) يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه الرائع «مشكلات في طريق الحياة الإسلامية»: إن المدافعين ﷺعن الإسلام ﷺ لا ينقصهم غالبًا الحماس والإخلاص، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه. إنهم يحسبون أن حال المسلمين اليوم وليد علل عارضة، ومن السهل إزالتها في أيام معدودات.. وما على الشباب إلا أن يتقدم ويقاتل ويحطم ما أمامه من عوائق، وسوف يبتسم له النصر بعد مرحلة أو مرحلتين!! وهذا الاستعجال كان وراء متاعب كثيرة، وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية، بل ربما زاد خصومها تمكينًا وضراوة! ص: ١٧، المصدر السابق.

(٦) يمكن مراجعة المزيد عن هذه الشروط والقواعد والضوابط وغيرها في: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ابن تيمية، «دعاة لا قضاة» حسن الهضيبي، «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» د.يوسف القرضاوي، «الحاكمية في الفكر الإسلامي» د.حسن لحسانسة، «القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي» د. محمد أبوالفتح البيانوني.

الإعلام وتغيير المنكر..
بين الضرورة المجتمعية والحرية الشخصية

د.عبدالله بدران
صحافي في وكالة كونا الكويتية

لاشك في أن الناظر في أوضاع المسلمين حاليًّا، وما يعتريهم من نقص وعجز وتخلّف في مجالات عديدة، وابتعاد عن تعاليم دينهم، وانجرار وراء التقليد الأعمى للغرب، وانحراف عن الرؤية السديدة والمسار الواضح، وأخذهم إنجازات الغرب العلمية دون محاولة تقليده واللحاق به، واستشراء لأمراض نفسية وسلوكية فيهم، قد يصاب بالإحباط واليأس، وتتمكن منه فكرة أن الخلاص من هذا الواقع أمر شبه مستحيل.

لكن المسلم الحق، الذي آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا ومنهجًا وشريعة، وبالنبي محمد عليه السلام هاديًا وداعيًا وقدوة وإمامًا، لا بد من أن يدرك أن هذا الأمر سيزول بزوال أسبابه، وسيتغير بتغير الأمور التي أدت إلى وجوده.

ولقد عبّر البيان الإلهي عن ذلك بالقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىَ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوَءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(الرعد:11)

والمسلمون مدعوون اليوم إلى السير في الدرب الذي سلكه السلف الصالح في التمسك بدينهم وعقيدتهم، والتشبث بكتاب خالقهم عز وجل وسنة نبيهم ﷺ، والسير بدينهم وفق المنهج الرباني الذي اختطه الله لعباده، وعدم مخالفة ذلك الصراط مهما كانت الأحوال، حتى يستطيعوا تحقيق التغيير الذي يجب أن يحدثوه في الأرض، ويحققوا مبدأ

أمة الشهود على الخلق، وينطلقوا نحو العمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الميادين المتاحة لهم، مستخدمين كل السبل والأدوات المتاحة، ومستعينين بشتى الوسائل والأساليب التي تعينهم على ذلك وتساهم في تحقيق ما ينشدونه.

والملاحظ حاليًا أن أصحاب المنكرات صاروا أكثر جرأة على إظهار ما يفعلونه، وأشد حرصًا على فشوز ذلك بين الخلائق، وأصبح لهم منظمات تساعدهم، وهيئات تتكفل بهم، وجهات تحتضنهم، وتقدم لهم الدعم والمساندة والمؤازرة.

إن الإعلام الإسلامي يجب أن يكون له دور فاعل ومؤثر يتواكب مع واجب الدعاة ويسانده، وتكون له إسهاماته الواضحة في ذلك الأمر.

ومن هنا فإن الإعلام الإسلامي مطالب بتفعيل وظائفه الأساسية، ووضعها موضع التنفيذ المناسب، لتحقيق مضمونها وإنقاذ محتواها.

ومن المعروف أن من أهم الوظائف التي يضطلع بها الإعلام الإسلامي هي:

1 – بيان الحق ودفع الباطل والفساد.

2 – دفع الناس إلى المثل الأعلى وإقناعهم بالعودة إلى الدين القويم.

3 – تنظيم حياة البشر على أسس سليمة مستمدة من الإسلام.

4 – تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5 – تحقيق التعارف والتعاون والتآلف بين المسلمين.

6 – الترويح والترفيه ضمن ما هو مشروع.

فعلى سبيل المثال يلجأ الإعلام الإسلامي إلى الإفادة من تغيير المنكر عن طريق العظة والاعتبار، وذلك حين يلجأ إلى التذكير بقصص القرآن الكريم والأحاديث النبوية عن الأقوام السابقة التي تضمنت عبرًا وعظات جلّية، كان هدفها الأساسي تقديم صورة للمسلمين عما جرى للأقوام السابقة الذين أضاءت نفوسهم بأنوار الحق والهداية بعد أن شاع لديهم الأمر بالمعروف وارتدعوا عن المنكرات، وتبيان الخاتمة السيئة لمن أعرضوا عن درب الهدى، وتنكبوا طريق الغواية والضلال، ونبذوا تعاليم رسلهم وراء ظهورهم، واستمروا في سلوك المنكرات.

ولقد أوضح البيان الإلهي ذلك بالقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111)

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: 9)

ويلتزم الإعلام الإسلامي بنشر الأخبار التي تحمي المجتمع من أعدائه الداخليين والخارجيين، وكشف مؤامراتهم، وفضح أعمالهم، ووقفهم عن التمادي في بث الفتن ونشر الاضطرابات.

كما أخذ الإعلام الإسلامي منحى خاص أي في تعامله مع المتسببين في انهيار النسيج الداخلي للمجتمع الإسلامي، أو الباثين أفكارًا تدعو إلى إباحة المحرمات وتحليل المنكرات.

ويمكن إدراك ذلك من الحالات الاستثنائية التي يسمح فيها الإسلام بالغيبة والتشهير، ومن تلك الحالات حالة المطالبة بالحقوق والاستعانة على تغيير المنكر، وبذل النصح لطالب المشورة، وكون المخالف للقانون إنسانًا مجاهرًا بمخالفته ولا سيما إذا كان يقوم بوظيفة عامة.

بين الحرية والضرورة

إن ثنائية الحرية والسلطة أو الحرية والاستبداد وما ترتب عليها من صراع سياسي واجتماعي أسهمت في تحويل مفهوم الحرية من مجرد فكرة تجريدية إلى حق من حقوق الإنسان تكفله المواثيق الدولية والدساتير وترعاه التنظيمات السياسية والشعبية المعنية بالحريات وحقوق الإنسان.

ومن الضرورة بمكان إحداث توازن بين الحريات والمقومات الأساسية للمجتمع فلا يجوز المجتمع على الحرية باسم المصلحة العامة أو الحريات الشخصية ولا تجوز الحرية على القيم الدينية والأخلاقية وتتحول إلى أداة إفساد وتدمير وانحلال.

والحرية في الشريعة الإسلامية أصل عام يمتد إلى كل مجالات الحياة فليس هناك حرية من الحريات لم يتم تعريفها، فالحرية قيمة إسلامية ملزمة وفطرة مما فطر الله الناس عليها تؤكدها سيرة رسل الله وتثبتها نصوص القرآن والسنة.

يقول الله تعالى في سورة التوبة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: 71).

ويقول عليه الصلاة والسلام «إن الناس إذ رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

والشريعة الإسلامية إذ تقرر الحرية لا تعني إطلاق هذه الحرية بغير قيود أو حدود، فالحرية تعني أن تجد حدًا لها فيما يكفل لكل فرد أن يتمتع بحريته إزاء أخيه، وتجد حدًا لهما فيما يكفل لمصالح المجتمع ألا تتعرض للخطر، ومن هنا فإنه يمكن العمل على تغيير المنكر بطريقة منهجية سليمة دون المساس بالحريات الشخصية التي كفلها الإسلام للفرد، ومن دون أن يتعارض ذلك مع الفطرة السليمة ومع حاجات المجتمع الضرورية، ولا تعارض بين ذلك كله إلا في أذهان من يرون أن الإسلام عدو الحرية ومناقض لها.

وبقدر ما التزمت الدولة الإسلامية بالحرية والاجتهاد والتسامح، وعملت على بناء مجتمعاتها وفق قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقدر ما تقدمت وصارت عواصمها منارة للفكر والعلم، وبقدر ما انتهكت هذه المبادئ بقدر ما تراجعت وتفككت وانهارت ولا ينبغي أن تغيب عن أذهان دعاة الحرية الفكرية والسياسية التي تستند إلى الإسلام حقيقة يشهد عليها تاريخ البشرية في مختلف أديانها وهي أن أسوأ صور الظلم وأفدحها ما كان مستندا إلى نظرة دينية يساء فيها استخدام نصوص الدين بتأويلها وفق أهواء الظالمين أو يدس على الدين ما ليس منه.

وإن كان تأويل النصوص الدينية والانحراف في تطبيقها قد أصاب العديد من المجتمعات بالركود والتخلف فإن التمرد عليها وإنكارها قد أصاب حرية الرأي بالترهل والشذوذ فأصبحت سلاحًا ضد الفضائل والعادات والتقاليد والأعراف والبناء العائلي والاجتماعي، وإذا انهدم البناء الأسري والاجتماعي انهدم كل شيء.

تغيير المنكر بين مسؤولية الفرد وسلطة الدولة

هاجر حسونة - محمد سعد - القاهرة : دار الإعلام العربية

من البديهي أنّ تغيير المنكر من الأصول الإسلامية التي جاءت لدرء المفاسد، لكن إذا تيقن المسلم أو غلب على ظنه الراشد أن تغييره للمنكر سوف يترتب عليه وقوع منكر أعمّ، فإن جمهور أهل العلم يذهبون إلى ترك تغييره إلى الأدنى دفعًا لوقوع ما هو فوقه.. المنكر هو كل ما يأتي به الإنسان من قول أو فعل مخالف للشرع.. فهل أصبح تغيير المنكر فريضة غائبة حاليًا، وما درجات تغييره في هذا العصر؟ وما ضوابطه في الأسرة والمجتمع؟ وهل التغيير بالقوة من صلاحيات الفرد أم سلطة الدولة؟ وماذا إذا تخلت الدولة عن دورها في تغيير المنكر؟

في البداية أوضح د.محمد المنسي –أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة– أن المعروف كل ما أمر به الشرع، والمنكر هو كل ما نهى عنه الشرع، وقد ذكره الرسول ﷺ في حديثه: «من رأى منكم منكرًا فلغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وهناك بعض العلماء فسروا هذا الحديث على أن الأفراد العاديين هم من يغيروا بقلبهم، أما العلماء والمفكرون والفقهاء والإعلاميون وأئمة المساجد فيغيروا بلسانهم، أما التغيير باليد فهو سلطة ولي الأمر والدولة، والذين لهم حق الطاعة، وإلا اختل نظام الأمن في المجتمع وانتشرت البلطجة والخروج على القانون تحت شماعة تغيير المنكر، فالأولى أن يقوم بهذا التغيير ولي الأمر، هناك قوانين تم تشريعها وفقًا لكتاب الله وسنة رسوله؛ لذا على الإنسان أن يغير المنكر في نفسه أولاً وفي دائرته المحيطة به وبين أصدقائه ومن يستمعون إليه، بحيث لا يترتب على كلامه فتنة أو ضرر، وأن يترك أمر التغيير الفعلي إلى الحاكم أو من يمثله.

بين الفرد والسلطة

أما د.محمد كامل –أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعه الإسكندرية– فأكد أن الأصل في الإنكار لابد أن يكون متفق عليه، فهناك قاعدة شرعية تقول: «لا إنكار في المسائل الاجتهادية» فصلاة الوتر مثلاً قد أصليها ركعة واحدة، وغيري يصليها ثلاث أو خمس، فلا نستطيع أن نقول إن هذا منكر، فهو مختلف فيه، بينما المنكر معناه كل محظور حدده الشرع، وله شروط عديدة أهمها: أن يكون المنكر حاليًّا أي وقع في هذه اللحظة وليس ماضيًا ولا متنبئًا بالمستقبل، وألا يكون مختلفًا فيه، وأن يرجى من وراء تغييره نفع، فإذا جلب ضررًا وفتنة وجب تركه طالما ضرره أقل بكثير من الضرر الناتج عن تغييره، ففي بداية عهد الإسلام كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، وعندما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت

علماء الدين: التغيير يبدأ من الإنسان نفسه وينتهي بولي الأمر

د. محمد المنسي: التغيير للعامة بالقلب.. وللعلماء باللسان.. ولولاة الأمر باليد

د. محمد كامل: لا يغير المنكر إن جر ضررا أكبر

ورده على قواعد إبراهيم، لكن منعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه.

وحول دور الفرد في تغيير المنكر أكد «كامل» أنه لا يجوز للفرد العادي أن ينهى عن المنكر إلا بلسانه أو قلبه، فلو استخدم يده قد يترتب على ذلك ضرر أكبر، حيث إن التغيير يتم وفقًا لضوابط وحسابات حتى لا تشيع الفوضى وتنتشر الجريمة في المجتمع؛ لذا فقد اختص القرآن الكريم وأحاديث نبينا ﷺ ولي الأمر بهذا التغيير وتوقيع العقاب المناسب وفقًا لما يراه، فقد يستمع الإنسان في الطريق أناسًا يتلفظون بكلمات بذيئة فلا يمكنه أن يحملهم بالقوة على التخلي عن هذه البذاءات، وأقصى ما يمكنه هو النصح باللسان أو الإنكار بالقلب، وفي عصر الدولة الإسلامية كانت ولاية الحسبة وظيفة الدولة لرفع الضرر وتغيير المنكر، وتقوم الأجهزة المختلفة للدولة وولي الأمر بهذا الدور في عصرنا الحديث.

أما عن دور الأسرة وآلية تغيير المنكر، فأكد أن رب الأسرة يجب في حقه تغيير المنكر في بيئته الصغيرة، مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وهذا واجب أساسي على الأب داخل الأسرة أن ينهى أولاده عن المنكر ويعلمهم تعاليم الإسلام والتربية السليمة، والمدرسة أيضًا تقوم بهذا الدور.

ولفت في هذا الصدد إلى ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين من أن التغيير باليد لا يمكن إلا من ذي السلطان؛ يعني الأمير أو نوابه الذين جعلهم قائمين مقامه، لا من أفراد الناس، خصوصًا في عصرنا هذا؛ لأنه قد يظن الفرد منا أن هذا منكر وليس بمنكر، فيغيره بيده ويحصل في هذا مفاسد عظيمة.

درجات التغيير

بدوره، أكد د.صبري عبدالرءوف أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، أن النصيحة في تغيير المنكر يجب أن تكون بأسلوب فيه رفق مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فلا نمنع الناس التوجيه ولكن لابد أن يكون التوجيه بأسلوب جميل ومحفز ومشجع ولا ينتج عنه ضرر، فالمنكرات التي تتم في وسائل الإعلام ثقافة دخلت في مجتمعنا والدولة لم تقم بدورها في منعها، وهذه المشكلة لابد من توجيه الضوء عليها لصالح الوطن وثقافته، فلابد من تنقيح كل ما ينتج عبر الوسائل المختلفة من الكتب والتلفزيون والسينما والإعلام، فالدولة بأي حال من الأحوال لا تستطيع أن تتخلى عن دورها في تغيير المنكر في المجتمع، ولا يجوز شرعًا أن ينصب الإنسان نفسه مكان الدولة أو ولي الأمر فقد يترتب عليه ضرر، وليس من المستحسن أن يتقبل الإنسان أن يحاسبه إنسان ليس له سلطة! فهي سلطة لم يعطها الإسلام لأحد من الناس ولكن أعطاها للدولة وولاة الأمور.

وتابع د.عبدالرءوف: معروف أن درجات تغيير المنكر ثلاث: اليد، فاللسان،

فالقلب، مصداقًا لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».. فإذا نظرنا إلى المرتبة الأولى وهي تغيير المنكر باليد؛ نجد أن التغيير هنا يكون بمنع المنكر ومعاقبة مرتكبيه، ولا يقوم به إلا من تتوفر لديه القدرة والاستطاعة كالأمة مع السلطة الحاكمة، والحاكم والقاضي مع الرعية، والرئيس مع مرؤوسيه، والوالد في بيته.. وعند عدم القدرة على ذلك يكون التغيير باللسان، بإخبار مرتكب المنكر بالحكم الشرعي لفعله، ونصحه وإرشاده وتخويفه بالله، وإذا فقد الأمل في تغييره باللطف يلجأ إلى القول الغليظ الخشن، وأخيرًا التهديد بإنزال العقوبة.. لتأتي المرحلة الثالثة وهي التغيير بالقلب ولا تكون إلا إذا غلب الظن بأن تغيير المنكر باليد أو باللسان سيؤدي إلى منكر أشد، ومعنى التغيير بالقلب هو البراءة من المنكر وأهله والامتناع عن القيام بأي شيء من شأنه تأييد الباطل وأهله ومساعدتهم عليه.

أما د.محمد الشحات الجندي أستاذ

د. صبري عبدالرؤوف: النصيحة يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة

د. الجندي: لا يجوز فضح من أتى المنكر مستترا

الشريعة وعضو مجمع البحوث الإسلامية، فيؤكد أن الأصل في تغيير المنكر أنه ولاية شرعية منوطة بالحاكم أو الإمام، فلا يجوز للفرد أو المواطن العادي أن يغير المنكر بيده منفردًا؛ لأن بعض الأفراد قد يقومون بتغيير المنكر طبقًا لفهم خاطئ، لذا على كل من يسعى إلى تغيير المنكر أن يتفقه أولاً في الدين، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ليتفقهوا في الدين وينذروا قومهم﴾؛ لذلك لا يجوز للأفراد تغيير المنكر دون تفقه في تعاليم الدين الإسلامي؛ لذلك يجب على المؤسسات الدينية أن تغرس الوعي في نفوس المسلمين؛ لكي يعلموا أن تغيير المنكر واجب ولا يجوز الإخلال بالواجبات الدينية والدعوية.

وتحدث أيضًا عن الضوابط التي يتم على أساسها تغيير المنكر، موضحًا أن من أهم هذه الضوابط ألا يحل بسبب تغيير المنكر باليد منكرًا أعظم وأكبر منه، أو تفويت معروف أعظم منه، وفقًا للقاعدة الشرعية التي تقول: «إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».. أيضًا أن يكون إنكار المنكر باليد سرًا إذا كان صاحب المنكر متسترًا ليس معلنًا له، أما إذا أظهر المنكر فيجب الإنكار عليه علانية، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من فعل شيئًا من المنكرات كالفواحش والخمر والعدوان وغير ذلك، فإنه يجب الإنكار عليه بحسب القدرة، فإن كان الرجل متسترًا بذلك وليس معلنًا له أنكر عليه سرًا وستر عليه، كما قال النبي ﷺ: «من ستر عبدًا ستره الله في الدنيا والآخرة»، أما إذا أظهر المنكر وجب الإنكار عليه علانية.. ومن الضوابط المهمة أيضًا ألا يتجاوز الحد المشروع إن كان المنكر من المنكرات التي يمكن إتلاف بعضها وترك البعض الآخر.. وأخيرًا فإن المنكر الذي يجب إنكاره هو المنكر المجمع عليه، أما المختلف فيه فيترك أمره للعلماء.. وأخيرًا ينبغي على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يتسم بالرفق عند إنكار المنكر وأن يكون عالمًا بما ينهى عنه.

وحول الاحتساب وأثره في التغيير أكد «الشحات» أن الحسبة منصب رفيع كان يقوم به المحتسب في العصر الإسلامي الأول ومهمته تتلخص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان المحتسب يساهم في الرقابة على الأسواق ومراقبة الطرقات لعدم ارتكاب جريمة أو سرقة وهي سلطة من سلطات الدولة تسندها لمن ترَ فيهم القدرة على ذلك.

التغيير بالقلب..

السيد شعيب - باحث مصري

وضعت الشريعة الإسلامية الغراء ثلاث وسائل لمقاومة الشر والمنكر في المجتمع الإسلامي، وهي على الترتيب في الوجوب: التغيير باليد أو باللسان أو بالقلب، كما جاء في الحديث الشريف: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه).

والمنكر هو كل ما قبحه الشرع وكرهه وحرمه، وتغييره بالقلب بمعنى كراهته واستقباحه والنفور منه ومن أهله، والاستطاعة هي التمكن من التغيير دون ضر أو فتنة تلحق بالإنسان.

والتغيير بالقلب يجب عند العجز عن التغيير بالوسائل الإيجابية باليد أو اللسان؛ إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال النبي ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان»، وفي رواية أخرى: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

ولقد توهم كثير من الناس أن التغيير بالقلب هو مجرد تمني التغيير، أو مجرد كره الشر فيما بيننا وبين أنفسنا، وعدم الرضا عنه بقلوبنا، دون أن يبدو علينا أدنى أثر لهذه الكراهة وعدم الرضا.

وقد يدفعنا ذلك الشعور السلبي إلى مخالطة أصحاب المنكر وأهل الفساد ومعايشتهم والتغاضي عن مناكيرهم وشرورهم.

والواقع أن هذا الفهم يعد تحريفًا لمقاصد الشريعة الإسلامية؛ لأن الاكتفاء بكراهية المنكر مع بقاء المعاملة لصاحبه على بشاشة أو المجاملة والمحافظة على تحيته وتكريمه كما يُكرم المحسنون؛ يعد من وجوه النفاق.

ولقد اعتاد أناس على معاشرة أهل السوء وأصحاب المنكر دون الشعور بالحرج أو إبداء الامتعاض أو مقاطعة هؤلاء؛ ظنًا منهم أن المراد بالتغيير القلبي هو الاكتفاء بالكراهة القلبية والوجدانية للإثم أو المنكر وليس بعد ذلك من سبيل!

وفي هذه الأيام تأول كثير من الناس قوله ﷺ: «فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» خطأً، فاستحلوا لأنفسهم مخالطة أصحاب المنكرات دون الإسهام الإيجابي في تغيير ذلك المنكر حتى ولو بالقلب.

يقول د.محمد عبدالله دراز في كتابه «دراسات إسلامية في العلاقات الدولية والاجتماعية»: «إن التغيير بالقلب يسهم- أحيانًا كثيرةً- في تصحيح الأوضاع الخاطئة وإزالة المنكر، وذلك إذا اتخذ الإنسان موقفًا متحفظًا من المسيء والمجرم وأشعره بأنه كمية مهملة وأنه محروم من التكريم والتعظيم الذي كان قد تعوده؛ يشعر باستياء الآخرين من سلوكه، ويشعر أخيرًا بأنه في وحشة وعزلة بسبب هجران الآخرين له ومقاطعتهم إياه، ثم هو موقف نشعر فيه نحن بأننا بدّلنا موقفنا المائع الفاتر المتراخي، موقف المجاملة الكاذبة لكل أحد ولو على حساب الحق والفضيلة، واتخذنا موقفًا آخر من الجد والغيرة والشعور بمسؤوليتنا ومسؤولية كل منا عن الحقوق والآداب العامة».

ولقد صرّح القرآن الكريم بأن كراهية المنكر بالقلب دون أقل مظهر إيجابي أو سلبي ليس مقبولًا عند الله، بل يعد مشاركةً في المنكر والإثم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

ولنا من السيرة النبوية العطرة القدوة الحسنة؛ حيث قاطع النبي ﷺ الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دونما عذر، ونهى الصحابة رضي الله عنهم عن كلامهم والتواصل معهم حتى تاب الله عليهم.. يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، فاجتنبَنا الناسُ وتغيروا لنا حتى تنكّرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله: هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم... إلى آخر الحديث (رواه مسلم في صحيحه باب حديث توبة كعب بن مالك).

كما بينت السنة النبوية أن بني إسرائيل حين فقدوا الغيرة على حرمات الله وجالسوا أصحاب المنكر وآكلوهم وشاربوهم، استحقت عليهم اللعنة، قال ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم.. ثم جلس- وكان متكئًا- فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرًا» (رواه أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه).

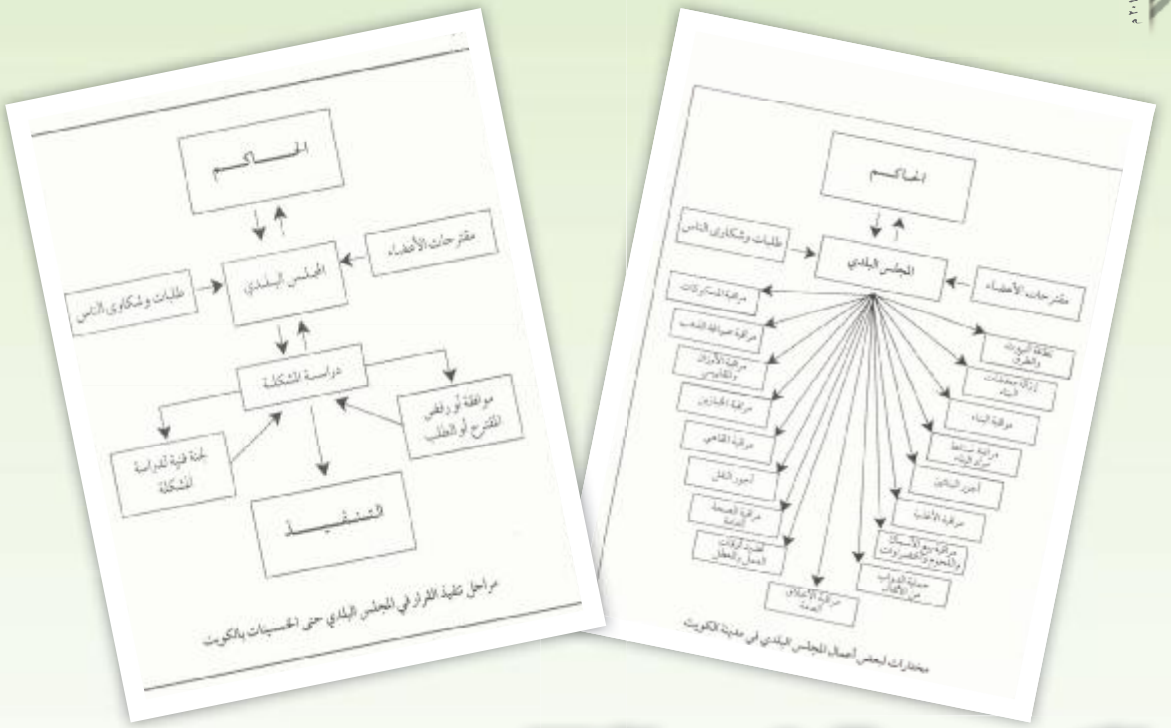

الحسبة في الكويت

التحرير

تعاملت الكويت مع الحسبة منذ نشأتها وعرفتها في صور متعددة بحسب الظروف التي مرت بها، وكان ولاة الأمر يمارسون الحسبة بأنفسهم ويباشرونها يوما بيوم عن طريق اتصالهم المباشر بالناس والمجتمع والأسواق والحوادث.

وظهرت الحسبة بوضوح أكثر عندما ظهر المجلس البلدي الذي تولى عملية الحسبة على الأسواق والطرق والسلوك العام، على الأخص ما تعلق بالمعاملات والتصرفات.

كان ظهور المجلس البلدي في عهد الشيخ أحمد بن جابر آل صباح الحاكم العاشر الذي استمر حكمه من ١٩٢١ إلى ١٩٥٠م، حيث وافق على إنشاء هذا المجلس بالتوافق مع جهود المتحمسين لذلك من الوجهاء والأهالي ولحاجة المدينة إلى تنظيم وترتيب بعد زيادة عدد سكانها واتساع رقعتها الحضرية.

صباح السوق

ارتبطت الحسبة بشخص المحتسب الذي عرف عنه التجول في الأسواق ومتابعة الحرف يراقب أعمالهم ويحذر من الغش والتلاعب، وقد عرفت بهذا شخصية مهمة في عهد الشيخ أحمد الجابر هي شخصية الشيخ صباح الدعيج الصباح الذي عرف باسم «صباح السوق».

والسؤال هنا هل وجد في الكويت «محتسب» بهذا المسمى، أو من كان يقوم بمهمته، حتى لو لم يكن يسمى بمسماه؟ الجواب نعم، كان هناك من يقوم بذلك وقد تمثل ذلك في ثلاث شخصيات من أفراد الأسرة الحاكمة.. الأول هو الشيخ صباح بن دعيج أو «صباح السوق»، وهو ما اشتهر به لقيامه بالحسبة على الأسواق خاصة في جانبها الأمني وما تعلق بمشاكل البيع والشراء والنزاعات التي لا ترقى إلى الحاكم أو القاضي.

والشخصية الثانية «الشيخ عبدالله الأحمد» الذي تولى مهمة عامة هي مهمة الأمن العام في البلاد أو الاحتساب العام فيما يتعلق بالمنازعات والخصومات والسرقات وعموم المشكلات الاجتماعية والمالية سواء بين الأفراد أو الأسر أو الجماعات أحيانًا فيما لا يرقى إلى القضاء أو الحاكم، والشخصية الثالثة «الشيخ عبدالله المبارك» في الخمسينيات والستينيات.

● مختارات لـ: «إعلانات البلدية بشأن نظافة البيوت والطرقات» فيما يتصل بالحسبة:

أولًا: جاء إعلان البلدية الصادر في ١٧ ذو القعدة ١٣٤٨هـ وفيه: «الزبل والقمام وكناسة البيوت لا تُرمى في الشوارع

ولا على السمائد بل ترمى في الأبيات التي للبلدية أو ترمى في البحر أو خارج البلد».

وجاء أيضًا: «لا يجوز لأحد دفق مياه أوساخ البيوت في الطرق ولا أن يتغوط فيها- أي في الطريق».

ويتشابه هذا مع نصوص الحسبة، قال السنامي في «نصاب الاحتساب» في: سكة نافذة في وسطها مزبلة فأراد واحد منهم أن يفرغ مزبلة بيته ويحوله إلى هذه المزبلة فتأذى به الجيران، كان لهم منعه عن ذلك ولكل واحد من عرض الناس ذلك، لأن من أحدث تصرفًا في السكة النافذة ويتضرر به العامة كان لكل واحد حق المنع، وإنما يختص أهل السكة بسكة غير نافذة».

والسكة النافذة: أي الطريق السالكة، ومعنى سكة هي الطريق المستوي، وبه سميت سكك البريد، وتطلق على الزقاق، وقيل إنما سميت الأزقة سككًا لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل، ومنه «فأهرقها فجرت في سكك المدينة»، في صحيح البخاري.

أما عن المياه الآسنة من البيوت كما في (رابعًا) من إعلان البلدية أعلاه، فيشبه ما جاء في «نهاية الرتبة» للشيزري في قوله:

وكذلك كل ما فيه أذى وإضرار على السالكين، كالميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء ومجاري الأوساخ الخارجة من الدور في زمن الصيف إلى وسط الطريق، بل يأمر المحتسب أصحاب الميازيب أن يجعلوا عوضها ميسلًا محفورًا في الحائط مكلسًا يجري فيه ماء السطح، وكل من كان في داره مخرج للوسخ إلى الطريق فإنه يكلفه سده في الصيف ويحفر له في الدار حفرة يجتمع إليها».

● الرفق بالدواب في نقلها لمواد البناء وغيرها من المواد الأخرى:

كما أصدرت البلدية إعلانًا في الرفق بحيوانات النقل مما يدل على تأصل البعد الشرعي والإنساني في قراراتها ونصه: «نعلن إلى جميع أهل النقل من عربات ودواب فيجب عليكم من تاريخه أن يكون حمل العربة اثني عشر هندرًا والحصان والحمار الكبير أربعة هنادر فقط وكل من يخالف ذلك يوضع عليه غرامة عن كل هندر روبيتان حتى لا يخفى». وفي إعلان آخر «على أهل الحمير الذين يبيعون الماء.. أن ينزلوا القرب عن ظهور الحمير مدة وقوفهم إلى أن يباع الماء فيرجعوها إلى ظهور الحمير.. ومن يخالف ذلك يعاقب ويؤخذ حماره».

وفي الوقت نفسه لم ينس المجلس الرفق بدواب النقل خاصة منقولات الأسواق، كما جاء في إعلان البلدية الآخر ونصه «تعلن لعموم الحمّارة أن يراعوا حملات الدواب ولا يحملوها فوق الطاقة فالدابة القوية لا يجوز تحميلها أكثر من كيسي سكر أو ثلاث كواني عيش أو ثلاثة أمنان تمر أو ما يقارب ذلك من الحمولات الأخرى والدابة الضعيفة لا يجوز تحميلها أكثر مما تطيق ومن يخالف يعرض نفسه للمسؤولية والجزاء» (١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ).

وهذا يشبه ما قاله الشيزري في «نهاية الرتبة»: أن يضعوا الأحمال عن ظهور الدواب، لأنها إذا وقفت والأحمال عليها أضرتها وكان في ذلك تعذيب لها وقد «نهى رسول الله ﷺ عن تعذيب الحيوان لغير مأكلِه»، وفي فصل المنكرات المعتادة في الشوارع والمحلات، قال ابن المناصف «ومن ذلك ما يستخفه الناس من أذى البهائم والعنف على الدواب، كإثقالها بالأحمال التي لا يستقل بها، وإرهاقها في سرعة المشي بالضرب والزجر الشديد، حتى يستخرج منها فوق وسعها مثلما اعتيد فعله الآن في حمالي الزرع ونقّالي الحجارة والجص».

في منع التبرج والتجول في الأسواق بغير حاجة جاء في إعلان البلدية في رمضان سنة ١٣٥٧هـ نصه: «نعلن للعموم أنه ممنوع دخول النساء المتبرجات بزينة خاصة في الأسواق طول أيام العيد كما أنه ممنوع بتاتًا على عموم النساء حضورهن العرضات أو التجول حواليها، فيجب على عموم الأهالي منع نسائهم عن ذلك ومن يخالف يعرض نفسه لإيذائهن في العقوبة، ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٧هـ»، (والعرضات رقصات شعبية بالسيوف والطبول وتقام في المناسبات كالأعياد ونحوها).

وفي منع الجلوس في الطرقات لغير حاجة، جاء إعلان آخر في البلدية ونصه: «نعلن للعموم أنه لا يجوز لشخص أن يجلس في دكاكين الطرق بدون حاجة ومن يخالف يعرض نفسه للمسؤولية والجزاء، ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ».

وفي إعلان آخر «ليكن معلومًا لدى الجميع بأنه ممنوع على النساء تجولهن من في الأسواق ما عدا اللواتي يأتين لقضاء الحوائج البيتية ومن يخالف ذلك يعاقب، ٨ ذو الحجة»، مما يؤكد وجود نظامٍ الحسبة في البلدية بصورة لا تدع مجالًا للشك، وتثبت ما بنيناه من فرضيات في أول البحث.

قال ابن المناصف في «تنبيه الحاكم»، في المنكرات المعتادة في الشوارع والمحلات، ما نصه: «ومن ذلك تبرج النساء المتصرفات بأنواع الزينة البادية وأسباب التجمل الظاهرة على حال اختيال المشي واستعمال منتشر الطيب واستظهار ما يستدعي الفتنة فمثل هؤلاء ينبغي منعهن من التصرف على هذه الحالة».

وقال الشيزري: «ولا أن يجلس الرجال في طرقات النساء من غير حاجة، وكذلك النساء لا يجلسن على أبواب بيوتهن في طرقات الرجال». وهذا مصداق لقول النبي ﷺ الذي حدد ضوابط الجلوس في الطرقات عندما قال: «إياكم والجلوس في الطرقات»، وحدد ضوابط الجلوس في قوله: «فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حقها: قال كف الأذى، وغض البصر، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

١- انظر: بحث بعنوان «أوجه التشابه بين قرارات البلدية ونصوص الحسبة وآثارها في الضبط الحضري لمدينة الكويت حتى بداية الخمسينيات» المجلة العربية للعلوم الإنسانية- جامعة الكويت- د.وليد المنيس- السنة: غ.م.

رحلة الحسبة في حضارة الإسلام

محمد شعبان أيوب
باحث مصري في الدراسات التاريخية

إن الحسبة نظام إسلامي فريد لم تأت به حضارة من الحضارات قبل الإسلام، وتعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة تعطى لشخص أو هيئة لتقويم الاعوجاج، وتغيير المنكر، والسعي في إصلاح المجتمع وفق ضوابط الشرع الحكيم.

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم، فهو شامل للتصورات والمبادئ التي تقوم على أساسها العقيدة الإسلامية، وشامل للموازين والقيم الإسلامية التي تحكم العلاقات الإنسانية، وشامل للشرائع والقوانين، وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة أخرى هو دعوة إلى الإسلام عقيدة ومنهجًا وسلوكًا؛ بتحويل الشعور الباطني بالعقيدة إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والنواهي الإسلامية.

وأول من احتسب في تاريخ الحضارة الإسلامية، هو رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على صُبْرة (كومة) طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟». قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقوم بوظيفة المحتسب بنفسه، فكان يتولّى

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُوَجِّه الناس إلى الحقّ والصراط السوي، ويمنع الغشّ، ويحذر منه، وكان ﷺ يمرُّ في السوق ومعه الدِّرّة (العصا)، فيزجر بها غلاة الأسعار والغشاشين(٢).

وظل نظام المراقبة والحسبة موجودًا طوال العهد الراشدي والأموي، وإن لم يحمل صاحبه لقب المحتسب؛ إذ عُرف هذا المسمّى في العصر العباسي، وقد عين زياد بن أبيه عاملاً على سوق البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان(٣).

ومنذ العصر العباسي بدأت وظيفة المحتسب تأخذ شكلاً مغايرًا، فأصبحت معروفة بين الناس منذ الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور؛ وتيسيرًا على المحتسبين، وتنظيمًا للمجتمع؛ نقل المنصور أسواق بغداد والمدينة الشرقية إلى مناطق أخرى متخصصة، وبعيدة عن مركز المَدينة ودواوينها، فنقل الأسواق إلى باب الكَرْخ وباب الشعير، وعَيّن لها محتسبينَ؛ يُراقبون شؤونها، ويضبطون مخالفاتها(٤).

وقد تطورت وظيفة المحتسب في ظلّ الخلافة العباسية من مراقبة المكاييل والموازين، ومنع الاحتكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الإشراف على نظافة الأسواق والمساجد، ومراقبة الموظفين للتقيد بالأعمال، حتى مراقبة المؤذّن للتّقيّد بأوقات الصلاة.

ومن ثمّ بحثَ ولاة الأمور عن المحتسبين أصحاب المهارة والعلم والحزم، فقد حُكي أن «أتابك طغتكين سلطان دمشق زمن السلاجقة طلب له محتسبًا، فذُكِرَ له رجلٌ من أهل العلم، فأمر بإحضاره، فلمّا بصُر به قال: «إنّي ولّيتك أمر الحسبة على النّاس؛ بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر. قال: إن كان الأمر كذلك، فقُم عن هذه الطّرّاحة، وارفع هذا المسند؛ فإنّهما حريرٌ، واخلع هذا الخاتم، فإنّه ذهبٌ، فقد قال النبي ﷺ في الذهب، والحرير: «إنّ هَذَيْن حَرَامٌ عَلَى ذُكُور أُمّتي، حِلٌّ لإنَاثِهَا»(٥)، قال: فنهض السّلطان عن طَرّاحته، وأمر برفع مسنده، وخلع الخاتم من أصبعه، وقال: قد ضممتُ إليك النظر في أمور الشُّرطة، فما رأى النّاس محتسبًا أهيب منه»(٦).

واهتم المحتسبون في الحضارة الإسلامية بكل ما ينفع المسلمين، وألّفت المصنفات العديدة في ذلك، ولكن ما يلفت النظر، وما يُدلل على رُقي وظيفة المحتسب في حضارتنا، اهتمامها ببعض التفاصيل التي قد لا يتنبه إليها أحدٌ، فهذا ضياء الدين بن الإخوة(ت ٧٢٩هـ) يذكر مجموعة من الإرشادات العامة التي يجب للمحتسب أن يُطَبّقها، ولا نجد أحدًا قد سبقه إلى هذا المعنى، ففي حديثه في الحسبة على الفرّانين والخبازين يقول: «ينبغي أن يأمرهم المحتسب برفع سقائف أفرانهم، ويجعل في سقوفها منافس واسعة للدُّخان، ويأمرهم بكنس بيت النّار في كلّ تعميرة... وغسل المعاجن، وتنظيفها، ويتّخذ لها أبراشًا (حصير)، كلٌّ برش عليه عودان مصلبان لكلّ معجنة، ولا يعجن العجّان بقدميه، ولا بركبتيه، ولا بمرفقيه؛ لأنّ في ذلك مهانة للطّعام، وربّما قطّر في العجين شيءٌ من عرقٍ إبطيه، أو بدنه، ولا يعجن إلاّ وعليه ملْعَبَةٌ (ثوب) ضيّقة الكمّين، ويكون مُلثّمًا أيضًا؛ لأنّه ربّما عطس، أو تكلّم فقطر شيءٌ من بصاقه، أو مخاطه في العجين، ويشدّ على جبينه عصابةً بيضاء لئلاّ يعرق فيقطر منه شيءٌ، ويحلق شعر ذراعيه لئلاّ يسقط منه شيءٌ في العجين، وإذا عجن في النّهار فليكن عنده إنسانٌ على يده مذبّةٌ يطرد عنه الذّباب»(٧).

وعرفت بلاد المغرب والأندلس وظيفة المحتسب منذ فترة مبكرة، ومن العجيب أن المحتسب كان يستعين بالصبيان والفتيات، ليُعينوه على معرفة التاجر الغاشّ، فكان «المحتسبُ يدسُّ عليه (أي على التاجر) صبيًّا أو جارية يبتاع أحدُهما منه، ثم يختبرُ الوزنَ المحتسبُ، فإن وجد نقصًا، قاسَ على ذلك حاله مع الناس -فلا تسأل عمّا يلقى- وإن كثر ذلك منه ولم يَتُبْ بعد الضرب والتجريس في الأسواق، نُفي من البلد، ولهم (المحتسبون) في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه؛ لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات، وتتفرع إلى ما يطول ذكره»(٨).

وقد كانت وظيفة المحتسب في العصر المملوكي على جانب كبير من الأهمية، خاصة في أوقات البلاء والمرض والأوبئة، فقد ذكر المقريزي أن القاهرة والأرياف قد تَعَرّضت لوباء قاتل في عام ٨٢٢هـ، فـ«نُودِيَ في الناس من قِبَل المحتسب: أن يصوموا ثلاثة أيام آخرها يوم الخميس... ليَخْرجوا مع السلطان، فيدعوا الله بالصحراء في رفع الوباء، ثم أُعيد النداء... أن يصوموا من الغد، فتناقص عدد الأموات فيه...» (٩).

بل من مهام المحتسب الأخرى، أنه كان يمرُّ بالشوارع والطرقات في وقت الحرب والنفير، فينادي في الناس بالخروج مع السلطان أو الأمراء لملاقاة الأعداء، فقد تحدّث المؤرخ ابن العديم في «بُغية الطلب» عن كيفية النفير في مدينة طَرَسُوس شمال الشام، فمما قاله عن وظيفة المحتسب في هذه الأوقات: «يطوف المحتسب ورجالته الشوارع كلها، فإن كان ذلك نهارًا انضاف إلى رجالته عدد كثير من الصبيان، وساعدوهم على النداء بالنفير، وربما احتاجوا إلى حشد الناس لشدّة الأمر وصعوبة الحال، فأمرَ أهلَ الأسواق بالنفير، وحضّهم على المسير، في أثر الأمير أين أخذ، وكيف سار..» (١٠).

الهوامش

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا (١٠٢).
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٧٨/٢.
(٣) الصلابي: الدولة الأموية ٣١٥/١.
(٤) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٨٠/٤.
(٥) مشكل الآثار للطحاوي (٤٢٠٩).
(٦) ابن الإخوة: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٧٨.
(٧) ابن الإخوة: معالم القربة في طلب الحسبة ص١٥٠.
(٨) المقري: نفح الطيب ٢١٩/١.
(٩) المقريزي: السلوك ٤٩٥/٦، ٤٩٦.
(١٠) ابن العديم: بُغية الطلب في تاريخ حلب ٨٤/١.

العدد (٥١٧) ذو القعدة ١٤٣٣هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢م

التجربة الديموقراطية في الإسلام

زبير سلطان - رئيس جمعية البحوث في اتحاد الكتاب العرب

أثار انحياز غالبية التوجهات الشعبية العربية في اختياراتها لأعضاء المجالس التشريعية إلى الإسلاميين، ورغبتها في بناء نظام سياسي إسلامي في العديد من دول الربيع العربي، دهشة وتعجبًا لدى العاملين من المراكز البحثية والفكرية والسياسية في العالم، حيث أظهرت هذه الرغبة نتائج الانتخابات التشريعية التي تمت في كل من مصر وتونس والمغرب، وسبب تلك الدهشة أن جماهير تلك البلدان ثارت وانتفضت ضد أنظمتها الاستبدادية من أجل الديموقراطية، ووفق تصوراتهم الخاطئة بأنهم وفق هذا الاختيار والرغبة يعودون إلى الاستبداد، وينحرفون عن الديموقراطية التي يرونها في شكلها وأسلوبها ونظامها فقط ما يطبق في دول الغرب.

إن هذا التصور لدى هؤلاء جاء من خلفية تاريخية وفكرية خاطئة في فهمهم ومعرفتهم للإسلام وشريعته ونظامه وتاريخه السياسي، وعن عدم اطلاعهم على التجارب الشورية الديموقراطية، التي تم تطبيقها في دولة المدينة المنورة التي أسسها الرسول ﷺ، وبدأت أولى ممارساتها في وضع أول دستور في تاريخ العرب، ألا وهي «صحيفة المدينة»، وأرسى فيها مبدأ المواطنة، وحقوق المواطن في تلك الدولة، قبل أن يعرف الغرب مبدأ المواطنة بألف عام..

وفي الخلافة الراشدة أقام المسلمون أول أشكال الديموقراطية في العالم بمفهومها «الشوري»، الذي تجلى في تطبيق سيادة القانون على كل أفراد الدولة، بمساواتهم دون تمييز أمام القانون، حيث يتساوى أمامه الجميع من الخليفة إلى أقل مواطن في الدولة، دون النظر إلى انتمائه الديني أو القبلي أو العرقي، كما تكفلت الدولة بحماية حقوق المواطن، وبحريته في ممارسة شعائره الدينية، وباختياراته الشخصية سواء أكان في العمل أو السكن أو الانتقال أو النقل أو المعارضة للسلطة مادام لا يرفع السلاح في وجه الدولة.

وقدمت الخلافة الراشدة أنموذجًا فريدًا في اختيار رأس السلطة (الخليفة)، يقوم على مبدأ الديموقراطية الشورية، وباختيار وموافقة عامة أفراد الدولة، فكان هذا الأنموذج الشكل الديموقراطي الوحيد المتنور في عصر مظلم، كانت تسوده نظم الطغيان والظلم والديكتاتورية، والتي كانت قائمة في الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية وفي ممالك في الحبشة والصين، وسبب تفرد هذا الأنموذج على عصره، أنه نسف كل الأسس التي كانت تقوم عليها تلك النظم، بحيث لم يعتمد في أسلوب اختيار مؤسساته الرئاسية والتشريعية على الوراثة، كما كان قائمًا في تلك الدول، وأحدث أسلوبًا ديموقراطيًا شوريًا في عمليات الاختيار والانتخاب والترشيح والاستفتاء، فكانت تلك الخلافة الراشدة متقدمة على عصرها بعدة قرون.

الإسلام والديموقراطية

مصطلح الديموقراطية يعني باللغة اليونانية حكم الشعب، والنماذج الديموقراطية التي مورست في العالم، ولا تزال تمارس، لم تكن كلها ذات نمط وسلوك وشكل واحد، فكل نظام في العالم مارس الديموقراطية وفق البنية الثقافية والسياسية والاجتماعية السائدة في مجتمعه، وقد أجمع معظم المفكرين في العالم على أن النظام الديموقراطي هو الذي يعبر عن إرادة الأغلبية من الشعب.

وهذا ما تم في الخلافة الراشدة، حيث مارس المسلمون الديموقراطية وفق مصطلح الشورى الذي يقوم على المبدأ العام للنظام السياسي الشوري الديموقراطي، وانطلق من القاعدة القرآنية الكريمة: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨). والشورى حين تقرأ أسسها ومضامينها ستجدها نظامًا سياسيًا ديموقراطيًا، يقوم على مبدأ البيعة في الاختيار، أي على اختيارات الأغلبية من الشعب، عبر مؤسسات تشريعية إسلامية، أولها مؤسسة «أهل الحل والعقد».

وقد بدأ العمل بالنظام الشوري مع عهد

الرسول ﷺ، فكان يستشير أصحابه من رجال ونساء في كثير من القضايا السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، ولم يُستثن أحد من أفراد الدولة من الشورى، واستثنيت من الشورى فقط أحكام الدين من فرض وندب ومكروه ومباح وحرام (١).

وأول الأشكال العملية للديموقراطية الشورية، كان في وضع دستور الدولة في السنة الأولى من وصوله إلى المدينة المنورة، وبداية تأسيس دولة الإسلام فيها، ومن يقرأ بتأمل وموضوعية في تلك الصحيفة، سيجد أهم ركائز النظام الديموقراطي الذي يطبق اليوم في الغرب، قد تضمنها دستور المدينة، ونذكر منه الفقرات التالية للدلالة على ذلك:

«إنهم أمة واحدة من دون الناس»، عبرت تلك الفقرة على تشكل أمة جديدة من بين الأمم لها خصوصيتها الفكرية والعقائدية والثقافية والاجتماعية، كما أن لكل أمة على الأرض شخصيتها التي تميزها عن الأمم الأخرى، فالأمة الفرنسية لا تتطابق مع مفاهيمها وعاداتها ولغتها وثقافتها مع الأمة الألمانية أو البريطانية

على المعجبين بالديمقراطية الغربية أن يطلعوا على صحيفة المدينة التي أرست مبادئ المواطنة قبل الغرب بأكثر من ألف عام

أو الهندية أو الروسية وغيرها، وكذلك كل أمة لا تتطابق بشكل كامل مع الأمة الفرنسية.

«إن المؤمنين لا يتركون مفرحا من بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل» وهو مبدأ للتكافل الاجتماعي عام في رفع القيد المالي (الدّيْن) عن مواطن الدولة سواء في دفع الفدية أو الدّية للداخل والخارج..

«لا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا يُنصر كافر على مؤمن» إخلاص المواطن لوطنه وحماية استقلاله، وحماية القرار السياسي للدولة والمجتمع.

من نصوص مبدأ المواطنة في صحيفة المدينة:

١- من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

٢- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٤- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته (٢).

٥- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

لهذا التطبيق العملي للديموقراطية الذي يرى أهم ما في ركائزها مبدأ المواطنة، يطبق نصًا وروحًا في دستور الدولة الإسلامية الأول، وعلى جميع رعايا الدولة سواء أكانوا مسلمين أو من الديانات الأخرى.

الشورى في اختيار الحاكم

أوضح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسألة البناء الاختياري للحاكم المسلم، الذي يرتكز على مبدأ الشورى الديموقراطية، فأكد رضي الله عنه أن يتم اختيار الحاكم من خلال المؤسسات الشورية الديموقراطية المبنية على الاختيارات الحرة البعيدة عن كل أشكال القسر، وأن أي حاكم في الإسلام لا يأخذ شرعيته إلا من خلال الشورى، وإلا سيكون فاقدا للشرعية، فقال رضي الله عنه: «فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له».

واستنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما قال أعرابي عن البيعة لأبي بكر رضي الله عنه، مما دفعه لأن يلقي خطابا في المسجد النبوي قال فيه: «إنه قد بلغني أن فلانا قال: لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، فلا يغرن امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمّت، وإنها قد كانت كذلك، إلا أن الله قد وقى شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي

بكر، فمن بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له، هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا» (٣).

أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الخطاب العلني للأمة الإسلامية، أن يؤكد أن الشورى هي النظام السياسي الوحيد للمسلمين، وفي ضوء ذلك عقد اجتماع السقيفة بعد وفاة الرسول ﷺ، وتم فيه بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين وفق الشرعية الديموقراطية، ومن خلال مؤسسات تشريعية للشورى، وأن الشورى ضرورة ملزمة، كما هي شرط أساسي لازم في بيعة الحاكم المسلم.

وأكد على بطلان تنصيب الحاكم من دون المرور بقواعد بيعة الغالبية من الشعب ومن خلال المؤسسات الشورية الديموقراطية المعروفة لدى المسلمين، وأفتى أنه إذا جنح رجلان عن المؤسسة الشورية، وقاما بالمبايعة من دونها، أولا: ببطلان البيعة وعدم شرعيتها، ثانيا: في حال استبد الرجلان على رأيهما، وأصرا على تلك البيعة الانفرادية من دون الأخذ برأي الجماعة، يكونان قد ارتكبا جريمة سياسية، وشقا الطاعة، وخرجا عن الجماعة، واعتبرها مفسدة كبيرة، لأنها ستؤدي إلى إشعال الفتنة بين صفوف جماعة المسلمين، مما يؤدي إلى سفك دماء المسلمين، فعقوبتهما إن لم يتراجعا القتل درءًا للمفسدة، وحقنا لدماء المسلمين.

– التجارب الديموقراطية الأربعة في العهد الراشدي.

– التجربة الأولى البرلمان «اجتماع السقيفة».

وهو الاجتماع الذي عقد عقب وفاة الرسول ﷺ في سقيفة بني ساعدة، حين شعرت فئة من الأنصار بضرورة الإسراع في انتخاب حاكم للدولة الإسلامية الناشئة بعد وفاة مؤسسها ونبيها، فالقوى الداخلية والخارجية المعادية للدولة الإسلامية ولرسالتها التوحيدية تتربص بها الدوائر، وتتحين الفرص للانقضاض عليها، فلابد من حاكم يجمع صفوف أمة الدولة، وينهض بها، لمواجهة الأخطار المحدقة بها من جهات متعددة، وبمتابعة نشر رسالة التوحيد في إنحاء العالم، التي هدفها إخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

كما كانت هناك لاشك دوافع ذاتية للاجتماع من قبل شريحة من الأنصار بقيادة سعد بن عبادة رضي الله عنه، التي رأت بأن يتولى أحد الأنصار السلطة، لشعورهم بأنهم يملكون الحق في هذا، كونهم سكان المدينة الأصليين، وهم الذين ناصروا الإسلام والرسول ﷺ، ومن مدينتهم انتشر نور الإسلام في الجزيرة العربية، فعقد نفر من قبيلة الخزرج والأوس وبعض أفراد من قبائل المدينة اجتماعًا، وانضم إليهم بعض المهاجرين منهم أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنهم. وعنه قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان من أخبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم» (٤).

أي إن الاجتماع ضم نخبًا من المهاجرين والأنصار، مما يعطي هذا الاجتماع الشرعية القانونية والدينية، وأن يحمل صفة أول مجلس تشريعي في الدولة الإسلامية، موضوعه ملء شاغر منصب رئاسة الدولة، الذي شغر بعد وفاة رأس الدولة ومؤسسها الرسول ﷺ.

الحوار والنقاش داخل الاجتماع

من يقرأ ما ورد في كتب التاريخ والسير عما دار من مناقشات وحوارات داخل الاجتماع، ثم يقارنها اليوم مع أي حوارات ومناقشات في أي مجلس تشريعي في أوروبا وأميركا واليابان، التي تدعي بأنها تطبق الديموقراطية على أعلى أشكالها، سيجد أن ما دار في اجتماع السقيفة لا يختلف من حيث الشكل أو الموضوع عما يدور في تلك المجالس الديموقراطية.

حيث دارت المناقشات والحوارات في اجتماع السقيفة في جو ديموقراطي،

كما يجري داخل المجالس التشريعية اليوم في دول العالم الديموقراطي، حيث ظهر داخل الاجتماع التباين في الآراء، والتضاد في الطروحات، والتوافق والاختلاف، والرأي والرأي الآخر، والغالبية والأقلية، كما ساد الاجتماعَ جوٌّ ديموقراطيٌّ، تقدم زمنيًّا على غيره بما يزيد على ألف عام، ونعود إلى بعض النصوص التي نقلتها كتب التاريخ، لنرى التالي:

– بداية الاجتماع يقدم سعد بن عبادة رضي الله عنه نفسه مرشحا لمنصب الرئاسة بالخطاب التالي للمجتمعين من الأنصار، قبل وصول المهاجرين، فبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه قال: «يا معشر الأنصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب، إن محمدا ﷺ، لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم فما آمن به إلا قليل، ما كانوا يقدرون على منعه ولا على إعزاز دينه ولا على دفع الضيم حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ورزقكم الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه والإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا، وأعطى البعيد

المقادة صاغرًا فدانت لرسوله بسيوفكم العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض قرير العين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فإنه لكم دونهم».

– فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفقت، وأصبت الرأي، نحن نوليك هذا الأمر، فإنك مقنع ورضا للمؤمنين.

– فقالت طائفة منهم: وإن أبى المهاجرون من قريش، وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه؟

– فقالت طائفة أخرى: فإنا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون ذلك.

– فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: هذا أول الوهن (٥).

– وبعد أن حضر المهاجرون، قال رجل من الأنصار بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا، وقد دفت إلينا دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر.

– ورد عليه أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «إن الله قد بعث فينا رسولا شهيدًا على أمته ليعبدوه ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومه لهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشَنف الناس لهم، فهم أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصارًا لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور.

– وتحدث بعده الحباب بن المنذر بن الجموح قائلا: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدروا إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز وأولو العدد والمنعة وذوو البأس، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أبى هؤلاء ما سمعتم، فمنا أمير ومنكم أمير.

– فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «هيهات لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن تؤمكم ونبينا من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، ولنا بذلك الحجة الظاهرة، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته!».

– وقال أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير! (٦).

– فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير من الخزرج وقال: يا معشر الأنصار إنا والله وإن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين ما أردناه به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به الدنيا، ألا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم من قريش، وقومه أولى به، وايم والله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فاتقوا الله ولا تخالفوهم.

– رد أبوبكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه قائلا: يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلا إلا وأنتم له أهل، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، هم أوسط العرب دارًا ونسبًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، ثم أخذ بيد عمر بن الخطاب وبيد أبي عبيدة الجراح رضي الله عنهم جميعا.

– وحين اشتدت الضجة، شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن الاختلاف بين الطرفين قال لأبي بكر ابسط يدك أبايعك. فبسط يده، وكان أول المبايعين هو الصحابي الأنصاري الخزرجي بشير بن سعد فبايعه، ثم بايعه عمر بن الخطاب ثم أبوعبيدة بن الجراح.

– وعندها قال سيد الأوس أسيد بن حضير وبعض الأوس: والله لئن وليَتّها الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر» فبايعوه، فبايعته الأوس ثم الغالبية من الخزرج (٧).

وانفض الاجتماع على موافقة الأكثرية على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة المسلمين، فكانت تلك البيعة المرحلة الأولى لها وسميت بالبيعة الخاصة، ثم انتقل إلى المسجد لتتم البيعة العامة الجماهيرية لعامة الناس.

ما سقناه من شواهد ووقائع تاريخية، يتبين لنا أن ما حدث كان عملية ديموقراطية برلمانية، تنفذ اليوم في شكلها وأسلوبها في العديد من الدول الديموقراطية، حيث رأينا التالي:

أولًا: أن الاجتماع كسب شرعيته السياسية والدينية والقانونية من حيث التمثيل.

ثانيًا: حدد موضوعًا واحدًا في جلسته وهو انتخاب حاكم للدولة.

ثالثًا: لم يكن في الاجتماع مرشح واحد، بل طرح فيه أسماء أربعة مرشحين للرئاسة، الأول سعد بن عبادة، ثم طرح أبوبكر عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، ثم رشح عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهم جميعا.

رابعًا: تم انتخاب الخليفة (الحاكم) على مرحلتين ديموقراطيتين:

أ– المرحلة الأولى: الانتخاب عن طريق

مؤسسة تشريعية تشكلت بسرعة لضرورة حماية أمن الدولة ووجودها، اكتملت فيها الشروط القانونية والشرعية.

ب- المرحلة الثانية: جرى بعد موافقة البرلمان الاستفتاءُ الشعبي العام على انتخاب الحاكم بطريقة «البيعة»، ليأخذ الشرعية القانونية عن طريق البيعة من قبل عامة الناس، ولم تشر أية وثيقة تاريخية عن إكراه تم لأحد ليبايع رغمًا عنه، بل أشارت إلى حرية البيعة، والدليل امتناع البعض عن البيعة، وتأخر البعض عن البيعة لعدة أشهر حتى بايع.

التجربة الثانية: الاختيار بعد الاستشارة وهذا ما حدث في انتخاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قام الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حين شعر بدنو أجله باستشارة أهل العقد والحل من «أهل الشورى»، في اختيار من يستخلفه بعد وفاته. وبعد أن أجرى استشارات موسعة تبين له أن رأي الأكثرية مع ترشيح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمنصب الخلافة. كما وجد أن هناك أقلية تعارض ترشيح عمر رضي الله عنه، وكان سبب المعارضة ما يتسم به من الشدة والحزم.. وخضوعا لرأي الأكثرية، كتب أبوبكر الصديق رضي الله عنه كتابا لأهل الشورى ولجميع أفراد الأمة، اقترح فيه ترشيح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمنصب الخلافة تضمن اقتراحًا دون إلزام، وترك فيه الرأي للأغلبية بالقبول أو الرفض، قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرًا» (٨).

وبناءً على اقتراح الخليفة لاختيار خليفة لهم من بعده، اجتمع الناس حول بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي كان مريضًا جدًّا، وحين اجتمعوا أطل عليهم، وقال لهم: وإني استخلف عليكم عمر، فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا (٩).

إن هذا الأسلوب الذي مارسه الخليفة، وهو على فراش الموت بالاختيار بعد استشارة ديموقراطية لأهل الشورى، اتخذ لظروف الدولة الصعبة التي تمر بها، حيث لم يمض إلا أشهر قليلة من حرب دامية داخلية، والتي أطلق عليها المؤرخون- حرب الردة- كما كان جيشها الذي يضم خيرة أبنائها، يشن في تلك اللحظات حربا كبرى على أعظم دولتين في العالم آنذاك الروم والفرس، موزعًا على جبهتين الأولى في العراق ضد الفرس، والثانية في الشام ضد الروم.

وأمام هذا الحالة السياسية والعسكرية للدولة، ومما يتطلبه الظرف الداخلي والخارجي، تم استخدام هذا الأسلوب الاختياري من قبل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، ومن خلال قراءة سير عملية الاختيار يتبين للباحث أن ما جرى كان ضمن النظام الديموقراطي وفق أسلوب الشورى، أعقبها مبايعة جماعية من قبل أفراد الدولة من دون إكراه أو قسر سلطوي.

التجربة الثالثة للديموقراطية: لجنة مصغرة لاختيار الخليفة

قدم الإسلام أنموذجًا ثالثًا ديموقراطيًّا للشورى، قدمه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين شعر بدنو أجله، بعد تعرضه لمحاولة اغتيال من قبل قوى حاقدة ذات جذور خارجية.. هذا الأنموذج يقوم على اختيار مجموعة من أبرز المؤهلين لقيادة البلاد، يعطون مدة زمنية لا تتجاوز ثلاثة أيام لاختيار خليفة من بينهم وعرض هذا الاختيار على أهل الشورى، ثم عرض الاختيار على عامة الناس لإقرار هذا الاختيار أو رفضه عن طريق البيعة.

وطالب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتلوا إن لم يتوصلوا إلى حل في اختيار أحدهم، والسبب خشيته رضي الله عنه من الفتنة وانقسام الأمة الإسلامية إلى مجموعات متناحرة، في وقت كانت الدولة بأمس الحاجة إلى الوحدة والتماسك، وهي تخوض معارك عنيفة مع أعظم دولتين في العالم آنذاك الروم والفرس.

فاختار ستة من صفوة أهل الشورى «أهل العقد والحل»، ومن لهم الأسبقية في الإسلام، ومن تبقى من العشرة المبشرين بالجنة، وممن يجمع عليهم المسلمون في اختيار خليفة عليهم، وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن

عبيدالله رضي الله عنهم.
واجتمع الستة، ووافقوا على اقتراح عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بألا يكون من ضمن المختارين للخلافة، وتترك له رئاسة الشورى، ليقوم بالاستشارات مع أهل الشورى ووجهاء القوم، ليصل إلى الشخص الذي تجمع عليه الأمة من بين الخمسة المرشحين.
وتوصل بعد ثلاثة أيام من الاستشارات بأن يكون الخليفة إما علي بن أبي طالب أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فوضع شروطًا على من يقبل تولي الخلافة منهما، ووفق ما جاء في تاريخ الطبري: أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد الانتهاء من الاستشارات، جمع الناس في المسجد النبوي في المدينة المنورة، وقال بأحد هذين الرجلين، إما علي وإما عثمان، ثم أخذ بيد علي وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي.
ثم أخذ بيد عثمان وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واشهد. اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، ثم بايعه وبايعه المهاجرون والأنصار (١٠).
وبذلك تم اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا نريد أن نخوض في عملية الاختيار، وأيهما هو الأحق أو الأجدر، ولكننا هنا لنبين أشكالاً من تجارب الديموقراطية التي استخدمت في العصر الراشدي، الذي يعتبر الأنموذج الأمثل لرسالة الإسلام، وقد وجدنا من خلال حديث رئيس الشورى عبدالرحمن بن عوف من خلال حديثه للناس، الذي اجتمعوا في المسجد النبوي، إنه أشار إلى توسع حالة الشورى لتشمل العامة من رعايا الدولة إضافة إلى رجال الشورى من أهل العقد والحل.

الأنموذج الرابع للديموقراطية: «الاستفتاء العام للأمة»

قدم الإسلام أنموذجًا ديموقراطيًّا

تجارب الشورى الإسلامية لم تفرض على المسلمين تشكيل نظامهم السياسي بل تركت لهم حرية اختياره على قاعدة الشورى المنبعثة من إرادة الأمة

للعالم بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفراغ السلطة ولحاجة الأمة لقائد عظيم ينقذها من الفتنة ومن خوف الأمة وخشيتها على الدولة من التفتت والانقسام والتشرذم، حيث تذكر المصادر التاريخية أن جموع الناس من المهاجرين والأنصار بعد مقتل عثمان رضي الله عنه توجهوا إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمبايعته، فقال لهم: «لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به»، فقالوا: «ما نختار غيرك»، ورفض ترشيحهم، إلا أنهم أصروا على مبايعته، وترددوا إليه مرارًا، وقالوا له في آخر لقاء لهم به: «إنا لا نعلم أحدًا أحق به منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم».. فقال: «لا تفعلوا فإني أكون وزيرًا خيرًا من أن أكون أميرًا». فقالوا: «ما نحن بفاعلين حتى نبايعك»، قال: «ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد».. وكان الإمام علي رضي الله عنه في بيته، وقيل كان في حائط لبني عمرو بن مبذول، فخرج إلى المسجد، وعليه إزار وطاق (قميص) وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئًا على قوس، فبايعه الناس، وكان أول من بايعه من الناس عبيدالله وبايعه بقيمة الناس من المهاجرين والأنصار (١١). كانت هذه البيعة العامة من كل رعايا الأمة الموجودة في المدينة (العاصمة) ومن الخاصة، وهم رجال الشورى «أهل العقد والحل» للخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الخاتمة

إن تجارب الشورى الإسلامية الديموقراطية في نماذجها الأربعة دلالة على حيوية الإسلام، وعدم فرض أنموذج وحيد على المسلمين في تشكيل نظامهم السياسي، بل ترك لهم حرية في اختيار الشكل السياسي، على قاعدة الشورى المنبعثة من إرادة الأمة، التي هي من إنتاج العقيدة الإسلامية القائمة على الحرية والعدل والمساواة.
إن الإسلام الذي قدم الديموقراطية في صورة الشورى تتوافق مع كل عصر وزمن، وهذا ما يرد على كثير من القوى الفكرية التي كانت تقول إن الإسلام نظام جامد، وغير متحرك ومتطور، بل اتهم بالظلامية والاستبداد، ولكن دون أن يدرسوا الإسلام ويطلعون على منهجه وعقيدته القائمة على الحرية والاختيار حتى في الدين حين قال القاعدة القرآنية ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فالإسلام لم يكن إلا مع حرية الإنسان واحترام اختياراته.

المصادر
١- القرطبي الجامع لأحكام القرآن الجزء ٦٦- ص٢٧ المكتبة الأزهرية- ١٩٦٥.
٢- ابن هشام- السيرة النبوية- القسم الثاني- الجزء الرابع- ص٦٥٧- منشورات دار الخلود- بيروت.
٣- ابن هشام- السيرة النبوية- القسم الثاني- الجزء الرابع- ص ٦٥٨.
٤- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- الجزء الثاني- ص٣٢٨- بيروت- دار صادر- ١٩٧٩.
٥- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- الجزء الثاني- ص٢٢٩.
٦- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- الجزء الثاني- ص٣٣٠/ ٣٣١.
٧- د.نبيه عاقل- تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين- ص١٩٣/ ١٩٤- دمشق المطبعة الجديدة- ١٩٨١.
٨- محمد عمارة- الاسلام وحقوق الإنسان- مصدر سابق ص١٠٨.
٩- ابن الأثير- المصدر السابق- المجلد الثاني ص٤٢٦.
١٠- المصدر السابق- ابن الأثير- المجلد الثالث- ص٧١، تاريخ الطبري- ج٣- ص٢٣٨.
١١- ابن الأثير- المجلد الثالث- ص١٩٠، ١٩١.

العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢م

د.إيمان عادل عزام - أكاديمية سعودية

كآلاف غيري سمعت عن مسلسل «عمر»، لكني لم أر غير الدعاية، فرأيت عصًا.. ويدًا.. وكتفًا.

لم تكن العصا هي عصا سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه التي كان يضرب بها في الحق لا يخاف لومة لائم.

واليد التي رأيت لم تكن تلك اليد التي صافحت رسول الله ﷺ ونزل فيها قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾.

ولم يكن ذلك الجسد هو ذات الجسد الذي لم يضعه صاحبه على الأرض مستلذًا بنوم منذ عرف الله تعالى، ولم تمر في فكري غير ثوان؛ لأتيقّن أني لو رأيت وجه الذي في المسلسل، فلن أرى النور الذي أضاء وجهًا رأت عيناه رسول الله ﷺ.. ولو سمعت صوته، فلن يكون هو الصوت الذي نزل القرآن بتأييده سبع عشرة مرّة!!

إنه ليس سيدنا عمر، ولا مثاله، ولا يجسّده، ولا يصوّره.

إنه فتى يحكي معلومات جمعها عن صاحب رسول الله ﷺ لكنه لم يتقن الحكاية؛ لأنه يحكيها، فيدخل فيها صورته، ورؤية المخرج، وزوايا عدسة المصوّر، ثمّ مؤثّرات (رتوش) لتجتذب الجماهير، وتناسب مستوى الذوق الرفيع الذي وصلنا إليه!!

وهكذا.. عاهدت نفسي وأهل بيتي ألا أرى هذا المسلسل ولو صدفة.

لم يحتج الأمر مني إلى كثير من التفكير، ولم يحتج من أهلي إلى شيء من الإقناع، فصدى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يتردّد في نواحي البيت: «إنّ اللّهَ نَظَرَ في قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِه، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ في قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ...»(رواه أحمد).

إني أتذكر جيّدًا ما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه أنه قال: ما رأيت هاشميًا أفقه من علي بن الحسين، سمعت علي بن الحسين وهو يسأل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: منزلتهما منه الساعة(١).

إن رسول الله ﷺ هو أفضل خلق الله تعالى وحبيبه، ومكان سيدنا أبي بكر وسيّدنا عمر- رضي الله عنهما- مكانهما منه الآن حينما تزوره ﷺ فتجدهما ضجيعيه، لا يبعدان عنه أشبارًا.

إن أصحاب رسول الله ﷺ كافة هم صفوة البشر الذين وصلت سيرتهم

الإنسانية في قمّة كمالها، إنهم تربية رسول الله ﷺ.. أليس تقولون إن: «الصاحب ساحب»؟ كيف بنا بصاحب صاحَب رسول الله ﷺ؟! الإنسانُ الكامل، ذلك الكمال الذي تعجز اللغة عن التعبير عنه.

إن صحابة رسول الله ﷺ هم المثل العظمى.. والقيم العليا.. هم تجسيد ديننا بكل ما حوى من معان وقيم ومبادئ وأخلاق وأحكام.

إنك حين تعجز عن إدراك معنى العزيمة إلى الدرجة التي يقوم المرء فيها ليله، ويجاهد نهاره صائمًا محتسبًا، ولو كان حديث عهد بعرس أو كان طفلاً يشبّ على أطراف قدميه ليقنع رسول الله ﷺ أن يأخذه معه في الجهاد، فاذهب إلى حياة الصحابة ستجد هذه الصور عندهم كثيرة وفيرة، وستجد معها شخصًا يحدّث نفسه: كيف يلقى الله غدًا وليس معه على التقصير عذر؟!

وحيث عسر عليك أن تتصور حبًّا لرسول الله ﷺ يفوق حب النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين، فارحل سريعًا إلى ساحة أحد لترى عيناك حقيقة بشر تحوّلوا في طرفة عيْن إلى دروع تحول بين رسول الله ﷺ وبين ما يؤذيه، ولو كان شوكة، إنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقس على ذلك- يا أخي- كل ما يضيق عقلك عن تصوّره، الإيثار لحدّ الموت، الزهد الذي يحمل أمير المؤمنين صاحب الفتوح على أن يلبس ثوبًا فيه اثنتا عشرة رقعة.. الخشوع في العبادة إلى الحدّ الذي تقطع فيها قدم الصحابي فلا يشعر، الرحمة.. العدل.. العطاء.. البناء.. العزّة.. الصدق.. نقاء السريرة.. حبّ الخير للبشرية أجمع.. مراقبة النفس.. الإخلاص.. التوكّل.

لقد وسعتهم تلك المعاني العظيمة بل غلبوها، فصار كل واحد منهم معنى بنفسه، فكلٌ منهم أمة وحده.

إنهم صحابة رسول الله ﷺ الذي اهتز عرش الرحمن يوم مات واحد منهم.

إن صحابة رسول الله ﷺ ليسوا ملائكة معصومين، لكنهم بشر كاملون، وقد «كمل من الرجال كثير.. »، نعم.. كاملون؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ أو قل: لأنهم تربية رسول الله ﷺ.

إنهم أصحاب رسول الله ﷺ رآوْه بأعينهم، وصافحوه بأيمانهم، وفدوْه بأرواحهم. جالسوه في مجلسه، أحبّوه وأحبّهم، سجدوا بسجوده، وقاموا بقيامه، خاطبهم وسمع منهم، سمعوه وكلهم أذن.. حتى كأنهم صفحات نقية

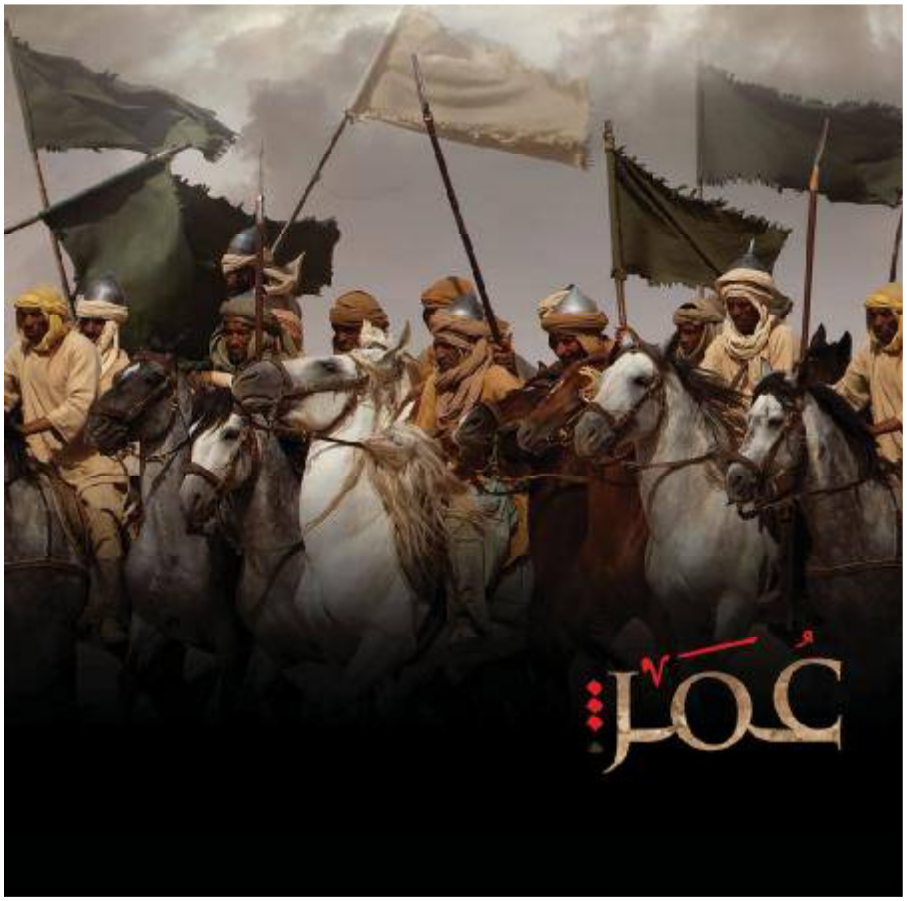

حصر رسول الله ﷺ رسالته عليها، فإذا بالنبي الأميّ يكتبها بماء الذهب، فلا تصدأ ولا تمحى، وتبقى سيرتهم ترويها الأجيال جيلًا بعد جيل، ويظلّ الأمل في المسلمين- وإن بعدوا- ما بقيت سيرتهم تروى بينهم.

أخي المسلم، احكِ السيرة العظيمة لسيدنا عمر بن الخَطّاب رضي الله عنه، لكن اروها كما هي، فإنك لن تستطيع أن تضيف شيئًا على كأس ممتلئ، ولو أضفت على كأس مملوء لأنقصته، فلا تفعل.

احكِ سيرة أمير المؤمنين، ولا تدخل فيها رؤياك، وصورتك، وصوتك، وجسدك.. احكها كما حكاها المسلمون، وكما هي في الكتب، وكما تأثّرتَ أنت بها، فقرّرت أن تجعلها مسلسلًا.

احكها كما هي.. ولا يخدعنك بريق مال لم يكن يساوي عند سيدنا عمر رضي الله عنه سوى التراب.

كفاك دعاوى فارغة: إننا علينا أن نعلّم النشء.. ونعرّفهم برموز الإسلام ورجالاته.. ولابد من اجتذاب النشء.. ولكل عصر وسائله.. و.. و..

أفق يا مسلم.. إنها لعبة جديدة يلعبها الشيطان عليك.

أي ناشئ يرى مسلسل عمر؟!

فرضنا أن الناشئة ترى المسلسل، وتستفيد منه.. ألا تستطيع الناشئة أن تعرف الصحابة أو تحبّهم إلا من خلال مسلسل تلفزيوني!!

ترى ماذا سنفعل ليعرف أبناؤنا باقي ديننا؟! وهل كلّ معنى يسهل تجسيده؟!

كيف عرف المسلمون الصحابة وأحبوهم في أعصر سابقة لم تكن المسلسلات جزءا منها؟!

لماذا نجحوا فيما فشلنا فيه؟

لقد درست في علوم التربية أن الطفل لا يفهم غير الصور المجسّدة، فإذا كبر فهم المعاني المجرّدة؟ وأنت تخبر أن تعريف النشء برموزنا يكون من خلال المسلسلات، فهل معنى هذا أن البشرية تتراجع، فلم تعد تفهم غير الصور المجسّدة؟! أو ربما نحن فقط الذين نتراجع؟! فلست أظنّ الناشئة في الدول المتقدّمة تعتمد على المسلسلات في غرس قيمهم، وتعريفهم بتاريخهم وتراثهم.

أو.. لنقل الحقيقة ولنعترف بأنّ سيرة أصحاب رسول الله ﷺ أصبحت تجارة رابحة لمنتجين أرادوا أن يربحوا من صحوة المسلمين.. وقد لا نعرف لهم اهتمامًا بالدين قبل أو بعد هذا المسلسل!!

أو اعتراف آخر: إنّك- أيها المشاهد- تريد المعرفة مع شيء من التسلية و«الوناسة».

خبت وخسرت إن فعلت، اذهب والهُ كما شئت، بعيدًا عن منطقتنا المحرّمة.

إن صحابة رسول الله ﷺ جزء من الدين، وليس ديننا لعبًا ولهوًا.

إننا مع إحياء سير الشخصيات العظيمة في نفوس المسلمين، والتشرّف بالحديث عنهم في كل مناسبة ممكنة، بل ودون مناسبة.. وكثيرة هي الدموع التي تسكب في مجالس الأستاذ عمرو خالد، وهو لم يجسّد صورة صحابي واحد، فالتأثير وقع، والسيرة حُكيَت، وبقيت الصورة مقدّسة من كلّ تخبيط وتخليط؛ لنحتفظ بالصورة في رحابة الخيال الواسع لم تمسّها يد تسيء، ولا تحدّها عدسة تغيّر وتبدّل، إن الخيال يتسّع لأكثر ما ترينا إياه عدسة المصوّر أو فكر المخرج، فيتلوّث تاريخنا ببعض ذلك؛ لأنه كما قلت لك: الكأس مملوء

والزيادة عليه تنقصه، فكيف إن كان المزيد معيبًا؟!

إن موازنة المصالح والأولويات في نظري أن تظل قدوتنا ومثلنا ساحة مقدّسة ومنطقة محرّمة لا تستباح، ولا يوارب هذا الباب فلا توضع له القيود والشروط، بل يغلّق ويسدّ سدًّا.

وإن تثقيف الجهلة من المسلمين- في نظري- ليس بأوْلى من الحفاظ على تلك القدوة.

ليظل المسلمون بعيدين عن القراءة، ليظلوا في مهاوي الجهل، وإن كانت سورة (اقرأ) أوّل سورة نزلت على نبيّهم.

ليظل الدين آخر أولويات مسلمينا، ليظلوا لا يعرفون حتى أسماء الخلفاء الراشدين.. ليظل الفتى منهم يعرف الشات والنت وكل البرامج، وكل المسلسلات والمباريات وأخبار المشاهير.. ليظلوا نائمين.. ليظلّ الظلم والذلّ والمهانة والفقر والجوع في بلاد المسلمين.. ليظل المسلمون كالقصعة تتهافت عليها الأمم تهافت الذباب.. ليهلك أفراد وجماعات، أو لا يهلكوا.. لكن.. لتظل قدسية رموزنا محفوظة لا تُمَسّ؛ حتى إذا جاء اليوم الذي يفيق فيه المسلمون من هذا السبات الذي طال ليله؛ هبّوا إلى قدوتهم، فوجدوها كما هي في كتب رواها الصالحون العلماء، فلما رووها كان لسانهم طاهرًا لا يعرف الكذب والزور والنفاق والمجاملة والغفلة واللعب، وكان قلبهم ذاكرًا، وكانت جوارحهم طائعة ممتثلة ذاقت حلاوة الطاعة فتمسكوا بها، فرووا لنا السيرة العطرة، وسرى إلينا من بين السطور حال من حالهم.

فإلى أولئك الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.. علّموا المسلمين حبّ القراءة.. وماذا ينبغي أن يقرأوا. اغرسوا في قلوبهم حبّ النبي ﷺ وآل بيته وأصحابه منذ الصغر.

أكثروا من ذكر صحابة رسول الله ﷺ وانتقوا عبارات تحكي الإجلال والتوقير والحبّ، وتمثّلوا هذه المعاني ليسري حالكم إلى أبنائكم، فيرضعوا هذا الحبّ في حليب أمهاتهم.

أقسمت عليكم يا مسلمين.. ليظل المثال محفوظا، لا تجرحوه ولا تشوّهوه، ولا تفتحوا الباب للجرأة عليه، حافظوا عليه وصونوه، لا تعبث به الأيدي ولا يصله غبار، أو حتى احتمال غبار.

اتركوا لنا صحابة رسول الله ﷺ، فإن أبيتم أن تتركوهم لنا، فاتركوهم لرسول الله ﷺ وتذكّروا حديث البخاري يوم أتى أبوبكر النبي ﷺ فقال لرسول الله: إني كان بَيْنِي وَبَيْنَ ابن الْخَطّاب شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إليه، ثُمّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لي، فَأَبَى عَلَيّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ. فقال: يَغْفِرُ الله لك يا أَبَا بَكْر ثَلَاثًا، ثُمّ إِنّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْر، فَسَأَلَ: أَثَمّ أَبُوبَكْر؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النبي ﷺ فَسَلّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النبي ﷺ يَتَمَعّرُ حتى أَشْفَقَ أبوبَكْر، فَجَثَا على رُكْبَتَيْه، فقال: يا رَسُولَ اللّه، والله أنا كنت أَظْلَمَ.. مَرّتَيْن. فقال النبي ﷺ: «إِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقال أبوبَكْر: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِه وَمَاله، فَهَلْ أَنْتُمْ تاركو لي صَاحِبِي؟ مَرّتَيْن، فما أُوذِيَ بَعْدَهَا»(رواه البخاري).

أقسمت عليكم.. اتركوا لرسول الله ﷺ أصحابه، ولكم عليّ عهد أن أروي لكم شيئًا من سير الصحابة، الحين بعد الحين، كلما تيسّر بإذن الله.

الهوامش

١- تاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٣٨٨.

العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣ هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢ م

مصطلحات علم الجرح والتعديل في العربية
مصادرها وأنماطها وقيمتها الحضارية

د. خالد فهمي
كلية الآداب- جامعة المنوفية- مصر

حرصت الفكرة الإسلامية من بدايتها على العناية بما يؤسس لها من نصوص، وأحاطت ذلك كله بعدد وافر من التدابير المانعة من تزوير هذه النصوص، وهو الأمر الذي بدا واضحًا من خلال الأمر النبوي الشريف بحفظ الوحي، وتأديته على وجهه الذي صدر عليه، يقول النبي الكريم ﷺ: «نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها كما هي» (سلسلة الأحاديث الصحيحة- ص٢٠٥- حديث ١١٢١)، وهناك أحاديث كثيرة تأمر بحفظ السنة المشرفة، وتنهى عن الكذب والدس عليها، عمدتها جميعا حديث المصطفى ﷺ: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (أخرجه السيوطي وصححه في الجامع الصغير ٢/ ١٨٦). ومن أجل ذلك وغيره تفردت الحضارة الإسلامية بعلم الجرح والتعديل؛ ذلك العلم الذي يعنى ببيان أحوال رواة حديث رسول الله ﷺ من جهة العدالة والضبط، أو من جهة عدمهما، وبهذا نستطيع أن نقرر أن علم الجرح والتعديل وجزءًا من جهازه الاصطلاحي نشأ في العصر النبوي الكريم بدافع ديني وتعبدي بامتياز.
وقد ثمن كثير من العلماء ظهور هذا العلم، وعدوه علامة على ترقي الحياة العقلية والعلمية للمسلمين، أذكر منهم فرانتز روزنتال في كتابه عن مناهج التأليف عند المسلمين.

ينظر إلى علم الجرح والتعديل من جهتين، إحداهما تراه فرعا من علم مصطلح الحديث، وأخراهما تراه علمًا مستقلًا، ولا تناقض بينهما إلا من جهة درجة العناية، والخدمة العلمية.

ويملك علم الجرح والتعديل مجموعة كبيرة من المصطلحات تحمل مفاهيمه؛ تسمى بمصطلحية الجرح والتعديل ويحتفظ التصنيف العربي الإسلامي بعدد وافر من أنواع المصادر التي تعد المركز الجامع لمصطلحية هذا العلم.

ومن المهم أن نقرر أن هذه المصادر ليست جميعًا على درجة واحدة من الأهمية بطبيعة الحال، لكنها جميعا لازمة عند فحص هذه المصطلحية أو جمعها، أو بيان مفهوماتها ومعانيها.

وفيما يلي محاولة لرصد مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل الموزعة على نوعيها الأساسي، والثانوي:

كتب شروح السنة الشريفة

ذلك أن عددًا من هذه المدونات الشريفة كانت قد أفردت عددًا من أبوابها لبيان الأمر بحفظ السنة، والنهي عن الوضع فيها، أو الكذب عليها.

وليس من شك في أن شروح هذه الأبواب قد تضمن بعض مصطلحات أحوال الرواة، وبيان الرأي في عدالتهم ودينهم وتقواهم وورعهم، وضبطهم وإتقانهم.

ولعل الشروح المطولة من مثل: فتح الباري، لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم هي العمدة في هذا الباب.

تفاسير القرآن الكريم

لقد جاء في الذكر الحكيم عدد من الآيات، تعالج فيما تعالجه قضية التفسيق، والتعديل وآثارها على حركة المجتمع، وما ينشأ عنه من علاقات، من مثل قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات: ٦)، وفحص هذه الآية الكريمة ينتج إمكان الخروج بمصطلحين من مصطلحية علم الجرح والتعديل هما:

١- الفاسق، وقد انتقل هذا اللفظ بدلالته اللغوية والقرآنية إلى المجال الاصطلاحي.

٢- الجهالة، وقد انتقل هذا اللفظ بعد تطوير في دلالته اللغوية والقرآنية عن طريق تخصيص دلالته أو تضييقها.

٣- ومن هنا فإن مراجعة هذه التفاسير ولاسيما الموسعة تمثل كنزًا، وإن يكن ثانويًا لجزء من مصطلحية هذا العلم الخطير.

كتب التاريخ العام

تعنى كتب التاريخ العام، ولاسيما تلك التي تعنى بالتأريخ للعلماء، وطبقاتهم والحكم عليهم، بعدد وافر من المعلومات التي تدخل في الصميم من اهتمام علم الجرح والتعديل، ومن ثم فهي بشكل أو بآخر من المصادر المهمة لمصطلحيته، بما هي معينة في كثير من مادتها أحوال الرواة، واتخاذ موقف منهم بناء على ما توافر من حيواتهم، وصفاتهم الشخصية، وصفاتهم العلمية.

كتب مصطلح الحديث

ذلك أن علم التحديث في انشغاله بفرعي الحديث أو جزأيه: السند والمتن، يعنى بطبيعة تكوينه بالمصطلحات الحاملة لمفاهيم أحوال الرواة تعديلًا وتجريحًا.

ولعل كتب أمثال ابن الصلاح، والبلقيني، والرامهرمزي، والسيوطي، والنووي، والخطيب البغدادي، والقاضي عياض من المصادر المهمة في هذا السياق بما تحويه من مصطلحات الجرح والتعديل في بعض أبوابها التي خلصت لمعالجة بعض أسباب رد الأحاديث بسبب من أحوال رجال السند، أو بعض أسباب قبول الأحاديث بسبب من أحوال رجال السند من جهة أخرى.

كتب الرجال

وذكر هذا النوع من مصادر مصطلحية علم الجرح والتعديل يبدو منطقيًا؛ إذا عرفنا أن علماء الحديث يعدون كتب الرجال المصدر المهم المركزي لهذا العلم، وقد تنوعت كتب الرجال، واتخذت مناهج مختلفة يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

يقول سيد عبدالماجد الفوري في «معجم المصطلحات الحديثية»، ص ٢٨١- ٢٨٢- دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م):

أهم مصادر الجرح والتعديل:

١- كتب الثقات، لأمثال ابن صالح العجلي المتوفى ٢٦١هـ، وابن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، وابن شاهين الواعظ المتوفى سنة ٣٨٥هـ، وللذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

٢- كتب الضعفاء، لأمثال البخاري سنة ٢٥٦هـ، والنسائي سنة ٣٢٢هـ، وابن موسى العقيلي سنة ٧٤٨هـ، وغيرهم.

٣- الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء، لأمثال البخاري، أبي يعلى القزويني سنة ٤٤٦هـ، ولابن عبدالهادي سنة ٩٠٩هـ وغيرهم.

٤- كتب رواة كتاب حديث بعينه، من مثل: رجال البخاري للكلاباذي سنة ٣٩٨هـ، ولأبي الوليد الباجي سنة ٤٧٤هـ، ورجال مسلم لابن منجويه الأصفهاني سنة ٤٢٨هـ، ورجال الموطأ للسيوطي ٩١١هـ، وغيرهم.

٥- كتب الرجال الخاصة ببلد بعينه، من مثل: تاريخ علماء أهل مصر لابن الطحان سنة ٤١٦هـ، وأخبار أصبهان لابن نعيم سنة ٤٣٠هـ، وتاريخ جرجان للسهمي سنة ٤٢٧هـ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي سنة ٤٦٣هـ وغيرهم.

٦- كتب السؤالات، من أمثال: سؤالات ابن الجنيد سنة ٢٦٠هـ لابن معين سنة ٢٣٣هـ، وسؤالات ابن أبي شيبة، لابن المديني سنة ٢٣٤هـ وغيرهما.

كتب تصنيف العلوم

عرفت حركة العلم عند المسلمين نوعًا من التصنيف يعنى بالتعريف بالعلوم، وأقسامها، المختلفة، وذكر أشهر الكتب

لم تقف حدود هذا الأثر الحضاري عند حدود التطبيقات في مجال علم الحديث النبوي الشريف فقط وإنما تجاوزته إلى عدد آخر من العلوم

في كل علم منذ زمن مبكر من عمر الإسلام.

وقد ورد في كثير من هذه الكتب باب يعرف بهذا العلم وبمصنفاته، وهو ما استلزم ذكر عدد من المصطلحات الخاصة ببعض قضاياه ومسائله.

يقول صديق حسن خان القنوجي في أبجد العلوم ١٧٩/٢: «علم الجرح والتعديل: هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة (هي مصطلحاته) وعن مراتب تلك الألفاظ».

ومن المصنفات المعروفة في هذ الميدان:

١- أبجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ.

٢- مفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده سنة ٩٦٨هـ.

معاجم المصطلحيات،

عرف التراث المعجمي العربي مجموعة كبيرة من المعجمات الجامعة لمصطلحات العلوم جميعا التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية.

وقد ضمت هذه المعاجم- ولاسيما المعاجم المصنفة تصنيفًا موضوعيًا يجعل لكل مصطلحية علم فصلاً بعينه- فصولاً تشرح مصطلحات علم الحديث، ومصطلحاتُ الجرح والتعديل فرع منه.

وقد اشتملت المعجمات التالية على عدد من مصطلحات علم الجرح والتعديل:

١- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطي ٩١١هـ.

٢- التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني ٨١٦هـ.

٣-التعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا سنة ٩٤٠هـ

٤- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي سنة ١٠٣١هـ.

٥- الكليات، للكفوي ١٠٩٤هـ.

٦- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ١١٥٨هـ.

٧- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون= دستور العلماء، للأحمد نكري سنة ١١٧٣هـ. ومراجعة هذه المعجمات جميعًا وفق منهجية ترتيب كل منها يقود إلى الحصول على مجموعة كبيرة من مصطلحات هذا العلم، وفيما يلي أمثلة على ذلك الذي نقرره:

- مصطلح الثقة في التوقيف للمناوي ص ٢٢١، والتعريفات للجرجاني ص ٧٥، والكليات ١٣٢، والتعريفات لابن كمال باشا ١٥٢، ودستور العلماء ٣٧٦/١.

- م الضبط في التعريفات للجرجاني ١٤٢ وابن كمال باشا ٢٦٠ والكليات ٥٧٩ والتوقيف ٢٢١ ودستور العلماء ٢٦١/٢ وكشاف اصطلاحات ١١١٠/٢.

- م الضعيف في التعريفات للجرجاني ١٤٣ وابن كمال باشا ٢٦٣ والكليات ٥٢٩ ودستور العلماء ٢٦٩/٢.

- م العدل في التعريفات للجرجاني ٥٢ وابن كمال باشا ٣٣٥ وكشاف اصطلاحات ١٨٧/٢ والكليات ٥٥٦ والتوقيف ٢٨٠ ودستور العلماء ١١٨/٣.

وغير ذلك من المصطلحات كثير في مجموع هذه المعجمات مما يجعلها مصادر مهمة في هذا الباب.

معاجم مصطلحات علم الحديث

عرفت المعجمية الإسلامية المختصة في العصر الحديث عناية ظاهرة بتصنيف معجمات جامعة للمصطلحات الحديثية قام عليها أفراد ومجامع، وكان طبيعيًا أن تضم هذه المعجمات فيما تضمه من مصطلحات عددًا من ألفاظ الجرح والتعديل على اعتبار أن هذا العلم جزء أصيل من علوم الحديث النبوي الشريف تبحث في أحوال رواته أو رجاله.

ومن المهم جدًا استصحاب المعاجم

الحديثية التالية ونحن بصدد الحديث عن مصادر مصطلحية الجرح والتعديل (وسوف نوردها مرتبة ترتيبا تاريخيا بحسب صدورها).

١- معجم المصطلحات الحديثية، للدكتور نورالدين عتر، ثم أضاف إليه وحوله إلى معجم ثنائي (عربي/ فرنسي) د.عبداللطيف الشيرازي الصباغ وداود عبدالله كريل وصدر سنة ١٩٧٩م.

٢- قاموس مصطلحات الحديث النبوي، لمحمد صديق المنشاوي، صدر بالقاهرة سنة ١٩٩٦م (ودرسه دراسة نقدية د.خالد فهمي في كتابه: ثقافة الاستهانة، القاهرة سنة ٢٠٠٣م).

٣- معجم المصطلحات الحديثية، د.محمود أحمد الطحان ود.عبدالرازق الشايجي، ود.نهاد عبدالحكيم عبيد، صدر بالكويت سنة ١٩٩٨م.

٤- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد، د.محمد ضياء الأعظمي، صدر بالرياض ١٩٩٩م.

٥- معجم مصطلحات الحديث، لسليمان مسلم الحرش، وحسين إسماعيل الجمل، صدر بالرياض سنة ٢٠٠١ (الطبعة الأولى منه كانت سنة ١٤١٦هـ).

٦- معجم مصطلح الحديث النبوي، لمجمع اللغة العربية، بالقاهرة صدر سنة ٢٠٠٢م

٧- المعجم الوجيز في اصطلاحات أهل الحديث، صدر بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.

٨- معجم مصطلحات الحديث وعلومه أشهر المصنفين فيه، د.محمد أبي الليث الخيرآبادي صدر بعمان ٢٠٠٧م.

١٠- الدر النفيس: معجم مصطلحات علوم الحديث، لناصر الحلواني، صدر بالقاهرة سنة ٢٠١١م.

والتوقف، أما مصطلح «المجهول» بما هو من ألفاظ الجرح والتعديل، كاشف عما تقدمه هذه المعجمات المذكورة لمصطلحية هذا العلم الجليل، وفيما يلي بيان لمواضع وروده في هذه المعاجم العشرة، بترتيب ذكرها هنا:

(١ ص٢٥٨- ٢ ص١٠٣- ٣ ص١٤٦- ٤ ص٣٥٢- ٥ ص٥٤- ٦ ص٦٢- ٧ ص٢١٧- ٨ ص٦٦٢- ٩ ص١٣٢- ١٠ ص٣٧٧).

وقد اعتنت هذه المعاجم جميعا بتعريفه، وبذكر أقسامه (مجهول العين- وجهول الحال) وما يدخل معها في علاقات ترادف.

معاجم مصطلحات الجرح والتعديل

وقد ظهر بأخرة عدد قليل من المعجمات المختصة بجمع ألفاظ الجرح والتعديل بشكل مستقل، بغية بيان مفاهيمها، ومراتبها، وقد توصلت إلى عدد منها هي:

١- الشروح والتعليل، لألفاظ الجرح والتعديل، ليوسف محمد صديق، صدر بالكويت ١٩٩٠م.

٢- معجم ألفاظ الجرح والتعديل، لسيد عبدالماجد الغوري، صدر بدمشق سنة ٢٠٠٧م.

٣- معجم ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل النادرة والمشهورة، لسيد عبدالماجد الغوري، صدر بدمشق سنة ٢٠٠٧م.

٤- معجم الجرح والتعديل، د.خيري قدري، صدر بالقاهرة ٢٠٠٧م.

وقد اتبعت هذه المعجمات طريقة سهلة في ترتيب الألفاظ: سعيا للتيسير على عموم المستعملين، تمثلت في اتباع منهج الترتيب الألفبائي النهائي غير التجريدي المعروف باسم الترتيب الألفبائي الجذعي، الذي يورد الكلمات بحسب أوائلها من غير رد إلى الجذور.

والوقوف أمام هذه المصادر المتنوعة دالٌ على الأهمية المتميزة التي أولتها حركة العلم الإسلامي لهذا الفرع المعرفي، ودال كذلك على وعي العلماء المسلمين بأهمية فحص طرق حمل العلم، وبالعناية بأخطر ما يتعلق بالنقد الخارجي للنصوص المؤسسة للعلم، وهو الأمر الذي قاد إلى تفرد الثقافة الإسلامية بهذا العلم.

أنماط مصطلحات الجرح والتعديل

فكرة توزيع ألفاظ الجرح والتعديل على أنماط فكرة تتوخى تحقيق أكثر من هدف يأتي في مقدمتها:

١- معالجتها شكليًا للإفادة منها في بنوك المصطلحات، أو المكانز اللغوية.

٢- معالجتها آليًا.

٣- قياس قدرة اللسان العربي على التعاطي مع مفاهيم مثل هذا العلم، واستيعابه لها بالتعبير عنها صرفيًا.

وفحص مصطلحات الجرح والتعديل يضع أيدينا على نمطين غالبين، هما:

١- نمط الصيغة المفردة.

٢- نمط الصيغة المركبة، بتنوع التراكيب في العربية.

وفيما يتعلق بنمط الصيغة المفردة، فقد اتخذ هذا النمط أشكالًا متنوعة توزعت على أنواع كثيرة من مثل: الاسم، بنوعيه: اسم ذات، أواسم معنى، ومن مثل: المصدر، والمشتق، ومما جاء عليه من المصطلحات (الإمام/ تالف/ ثبت/ ثقة/ جبل/ جراب/ جيد/ حافظ/ حجة/ خيار/ دجال/ ذاهب/رضا/ ساقط/ شيخ/ صدوق/ صويلح/ ضابط/ ضعيف/ فطن/ كاذب/ كذاب/ كيس/ لين / مأمون/ مبتدع/ متروك/ متقن/ متماسك/ مطرح/ مطروح/ مطعون / مقارب/ مقبول/ منكر/ هالك/ واه/ وسط/ وضاع).

والملاحظ هنا هو غلبة استعمال صيغة المشتق بأنواعها المختلفة (اسم فاعل/ أو الصفة المشبهة به/ أو اسم المفعول/ أو صيغة المبالغة) وهو أمر يبدو منطقيًا؛ لأن طبيعة المشتق بحكم تعريفه لفظ يولد للتعامل مع المعاني الطارئة، لولاها لم يولد.

أما النمط الآخر، وهو نمط الألفاظ التي اتخذت شكلًا مركبًا، فقد تنوعت صوره، لتظهر مصطلحات الجرح والتعديل في الصور التالية:

١- المركب الإضافي.

٢- المركب الوصفي.

٣- المركب الإسنادي (الاسمي/ والفعلي).

وفيما يلي محاولة أولية لتوزيع ما جاء من مصطلحات الجرح والتعديل على هذا النمط، فمن أمثلة ما جاء على صورة المركب الإضافي (وصورته: مضاف + مضاف إليه اسم ظاهر): حمالة الحطب/ رجل سوء / سارق الحديث / متروك الحديث/ مجهول

العين/ جيد الحديث/ صالح الحديث/ ضعيف الحديث وغير ذلك.

ومن الأمثلة التي جاءت على صورة المركب الإضافي (وصورته: مضاف + مضاف إليه ضمير): إباضي/ خشبي/ صفري/ عثماني/ قدري/ قعدي/ ناصبي/ واقفي وغير ذلك.

وثمة عدد آخر من المصطلحات جاء على نمط التركيب الوصفي، مكون من موصوف وصفته من مثل: ثبت حافظ/ ثبت حجة/ ثقة ثبت/ ثقة جبل/ صدوق ثقة/ صدوق مبتدع/ عدل حافظ/ عدل ضابط / متقن ثبت/ وضاع واه وغير ذلك.

وثمة عدد آخر أكثر تواترًا جاء على نمط التركيب الإسنادي بصوره الثلاثة؛ الاسمي والفعلي، وشبه الجملي، ومن أمثلتها جميعًا: البلاء فيه من فلان/ جبل في الكذب/ صدوق له أوهام/ غيره أقوى منه/ فلان أحب إلي فيه/ فلان أوثق منه/ فلان تعرف وتنكر/ له أوابد/ له غرائب، وغير ذلك.

وربما جاء التركيب الاسمي مفتتحًا بفعل ناسخ من مثل: ليس بالثقة/ ليس بالحافظ/ ليس بالحجة/ ليس بشيء/ ليس من أهل الحفظ... إلخ.

وربما جاء التركيب الاسمي مفتتحًا بلا النافية للجنس وهي ملحقة بالحروف الناسخة من مثل: لا أحد أثبت منه/ لا شيء... إلخ.

ومما جاء من هذه المصطلحات في صورة تركيب فعلي: اختلف فيه/ ارم به/ تركوه/ تغير/ سكتوا عنه/ طعنوا فيه/ طرحوه/ يتكلمون فيه/ يروى عنه... إلخ.

وتفسير كثرة أمثلة هذا النمط التركيبي الإسنادي راجع إلى التنوع الذي يتميز به التركيب الإسنادي الاسمي بتعدد أشكال خبرة وبدخول النواسخ عليه، والتركيب الفعلي بتعدد أشكاله بناء للمعلوم والمجهول، وإثباتًا ونفيًا، وهو التنوع المناسب لتنوع أحوال الرواة جرحًا وتعديلًا.

وهذان النمطان الرئيسيان وما تفرع عنهما من أنماط تحتهما دليل حاسم على مرونة اللغة العربية.

علم الجرح والتعديل وجهازه الاصطلاحي يقدم مثالا فريدا على إيجابية العقل المسلم

إن دراسة الجهاز الاصطلاحي لعلم الجرح والتعديل تنتج حقيقة مهمة جدًا مفادها الإخلاص العظيم للعلم، وتقدير منزلته السامية عن طريق حياطته بعلم كامل يقف أمام حامليه ورواته للناس بفحص أحوالهم، وبيان صفة كل راو من جهة الجرح و الرد واطراح المرويات، أو من جهة التعديل والقبول، واعتماد المرويات.

وهذه أول قيمة من القيم الحضارية الكامنة في هذا الجهاز الاصطلاحي لهذا العلم، ذلك أن حماية العقل المسلم بحماية ما يروى له، أو ينقل إليه من مواد العلم المختلفة بعد حضاري مهم جدًا يعكس الروح الحضارية التي آنيتها الإسلام في تربة الثقافة الإنسانية.

ومن جهة ثانية فقد أمد هذا الجهاز الاصطلاحي منهج العلم الإسلامي ثم الإنساني روحًا نقدية دعمت ما ورثته مناهج العلوم عن اليونان القدماء، وعمقت جذور هذه الروح النقدية، وفتحت أمامها آفاقا جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ومن جهة ثالثة فقد أوجد هذا الجهاز الاصطلاحي مثال على قدرة العقل العربي بفضل الإسلام العظيم على الابتكار والتجديد، وتأسيس المعرفة اللازمة لتعميق آثار العلم في الحياة.

ومن جهة رابعة فقد أعطى هذا النموذج شعورًا قويًا بقدرة اللسان العربي على استيعاب المفاهيم المستحدثة، بما ظهر من مرونتها في التعبير الشكلي أو الصرفي عن مفاهيم الجرح والتعديل في صور وأنماط متنوعة بشكل ظاهر.

ومن جهة أخرى فإن ما تراكم من مصادر الجهاز الاصطلاحي لعلم الجرح والتعديل له أثر آخر مهم جدًا لما قدمه هذا الفرع المعرفي من دليل على ترقية الإسلام للحضارة والحياة العقلية العربية والإسلامية بوجه خاص وللإنسانية بوجه عام.

ولم تقف حدود هذا الأثر الحضاري عند حدود التطبيقات في مجال علم الحديث النبوي الشريف فقط، وإنما تجاوزته إلى عدد آخر من العلوم في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية فأثرت في مناهجها المختلفة.

ومن أظهر الأمثلة على التأثر بمناهج الجرح والتعديل في مجال دراسة اللغة العربية ما يلي:

أولًا: تصميم عدد من المعجمات العربية على نتائج علم الجرح والتعديل، وتطبيقاتها على المرويات اللغوية على ما نرى في بناء معجم تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، المعروف بمعجم الصحاح، وفي معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، حيث ظهر من خلال بنائهما ومقدماتهما التأثير الواضح والمباشر لقيمة بيان أحوال علماء اللغة ورواتها وصولًا إلى تقدير مروياتهم في هذا الباب العلمي.

ثانيًا: تصميم قطاع من أدبيات فقه اللغة، على ما أحدثه علم الجرح والتعديل في الحضارة العربية، وهو ما نراه بشكل واضح جدًا في بناء كتاب «المزهر في علوم اللغة» للسيوطي، وهو أوسع مصادر فقه اللغة العربية القديمة، حيث استلهم السيوطي منجز علم الحديث ولاسيما في فرع الجرح والتعديل في تقسيماته للكتاب، وتقسيماته لقضاياه ومسائله ومعالجاته التفصيلية.

ومن هنا فإننا نقرر بشكل إجمالي لا شبهة للمجاز فيه أن علم الجرح والتعديل، وجهازه الاصطلاحي يقدم مثالًا فريدًا على إيجابية العقل المسلم، وقدراته الفائقة في الميدان العلمي الحضاري.

أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (٢)

محمد نبيل بهي
باحث في التراث الإسلامي

نواصل عرض وبيان الأعلام الذين دفنوا بمصر وليسوا من أهلها وهم:

٤١- أحمد بن مروان الدينوري المالكي أبوبكر: من القضاة أصله من دينور، توفى بمصر سنة ٣٣٣هـ = ٩١٥م. وله كتاب في الرد على الإمام الشافعي. (ص ٢٥٦ ج ١).

٤٢- المحب البغدادي: أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي: فقيه حنبلي ولد ببغداد ولي قضاء الحنابلة بالقاهرة سنة ٨٢٨ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٤٤ هـ = ١٤٤٠م. (ص ٢٦٤ ج ١).

٤٣- ابن أبى حجلة: أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمساني أديب شاعر من أهل تلمسان سكن دمشق وولي مشيخة الصوفية بالقاهرة ومات فيها بالطاعون سنة ٧٧٦ هـ = ١٣٣٧٥م، وكان حنفيًا يميل الى مذهب الحنابلة. (ص ٢٦٨ ج ١).

٤٥- أحمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب جمال الدين ابن الصابوني، ويقال له ابن المقري: الحلبي الأصل الدمشقي المولد والمنشأ نزيل القاهرة، وهو من المحدثين توفى سنة ٧٣١ هـ = ١٣٣٠م. (ص ٢٧١ ج ١).

٤٦- السمين الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي. اللغوي المفسر المقرئ الشافعي من أهل حلب، استقر بالقاهرة وبها مات سنة ٧٥٦ هـ =١٣٥٥م، وهو صاحب كتاب الدر المصون مطبوع. (ص ٢٧٤ ج ١).

٤٧- المنجنيقي: إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي الوراق، حافظ ثقه بغدادي الأصل استوطن مصر ومات فيها سنة ٣٠٤ هـ = ٩١٦م. (ص ٢٩٣ ج ١).

٤٨- الشاشي الحنفي: إسحاق بن إبراهيم الخراساني الشاشي فقيه الحنفية في زمانه: انتقل إلى مصر وولي القضاء بها، وتوفى بها سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٧م. (ص ٢٩٣ ج ١).

٤٩- إسحاق بن يحيى بن معاذ: والٍ من كبار القادة في العصر العباسي تولى إمرة مصر للمتوكل ومات بها سنة ٢٣٧ هـ = ٨٥١م. (ص ٢٩٧ ج ١).

٥٠- أسعد بن إبراهيم طراد: أديب لبناني من أهل بيروت تعلم بها وعمل تاجرًا بمصر وتوفى بزفتى بمصر سنة ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١م. (ص ٢٩٩ ج ١).

٥١- أسعد خليل داغر: أديب لبناني ولد في كفر شيما بلبنان، عمل في مصر في تحرير جريدة المقطم، انقطع للأدب وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥م. (ص ٣٠٠ ج ١).

٥٢- الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب اللخمي: سيد لخم وشيخها بمصر حضر فتح مصر هو وأبوه عامر، ولما بايع المصريون لعبدالله بن الزبير كان الأكدر في جملة الداعين له وأحد من بايعوه مختارين، قتله مروان بن الحكم بعد استيلائه على مصر سنة ٦٥ هـ = ٦٨٥م. (ص٦ ج ٢).

٥٣- ألفريد عيد: ألفريد بن حنا عيد، طبيب أصله من سوريا، نشأ بمصر ومات بها سنة ١٩١٥م، ويقال أنه أول من أدخل المعالجة بأشعة رنتجن إلى مصر. (ص ٧ ج ٢).

٥٤- إلياس زخورة: كان نشيطًا في جمع التراجم وهو لبناني الأصل هاجر إلى مصر شابًا بصحبة يعقوب صروف وفارس نمر في باخرة واحدة، له كتاب (مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر) في ثلاثة أجزاء طبع سنة ١٨٩٧م، وتوفى بمصر سنة ١٩٣١ م وله طرائف. (ص ٩ ج ٢).

٥٥- أمين شميل: كاتب باحث ولد في كفر شيما في لبنان وأنشأ في القاهرة مجلة الحقوق احترف التجارة ثم المحاماة وهو شقيق الطبيب الكاتب شبلي شميل، توفى بمصر سنة ١٨٩٧م. (ص ١٥ ج ٢).

٥٦- أمين باشا المعلوف: طبيب عالم بالنبات والحيوان والفلك ولد في الشويفات بلبنان، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، عمل طبيبًا بالجيش المصري والجيش العراقي، له معجم الحيوان والمعجم الفلكي عاد إلى مصر ومات بها سنة ١٩٤٣م. (ص ١٩ ج ٢).

٥٧- أنطون الجميل: من آل الجميل، ماروني لبناني، كاتب متأنق في أسلوبه، يجيد الفرنسية كأهلها، ولد في بيروت سنة ١٩٠٨م، انتقل إلى مصر فاشترك مع أمين تقي الدين في إصدار مجلة الزهور (أدبية)، عمل في الاهرام وتولى رئاسة تحريرها، وكان عضو مجلس الشيوخ المصري والمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة، منح في أواخر عمره لقب باشا، واستمر في تحرير الأهرام إلى أن توفى بالقاهرة سنة ١٩٤٨م. (ص ٢٧ ج ٢).

٥٨- بشارة تقلا: أحد مؤسسي جريدة الأهرام ولد في كفر شيما بلبنان، انتقل إلى الاسكندرية سنة ١٨٧٥ م فأصدر مع أخيه سليم جريدة الأهرام أسبوعية ثم يومية، ولما حدثت ثورة عرابي امتنع مع أخيه عن مناصرتها فأحرق العرابيون مطبعتها بالإسكندرية، فلم ينقطعا عن اصدار الأهرام وتوفى أخوه سنة ١٨٩٢م فاستقل بها ثم نقلها إلى القاهرة سنة ١٨٩٨م ووسع حجمها، توفى بالقاهرة سنة ١٩٠١م. (ص ٥٢ ج ٢).

٥٩- بشارة زلزل: طبيب باحث من أهل لبنان: تعلم في الكلية الأمريكية ببيروت، له ذيل على كتاب (دعوة الأطباء) لابن بطلان سماه (تكملة الحديث في الطب

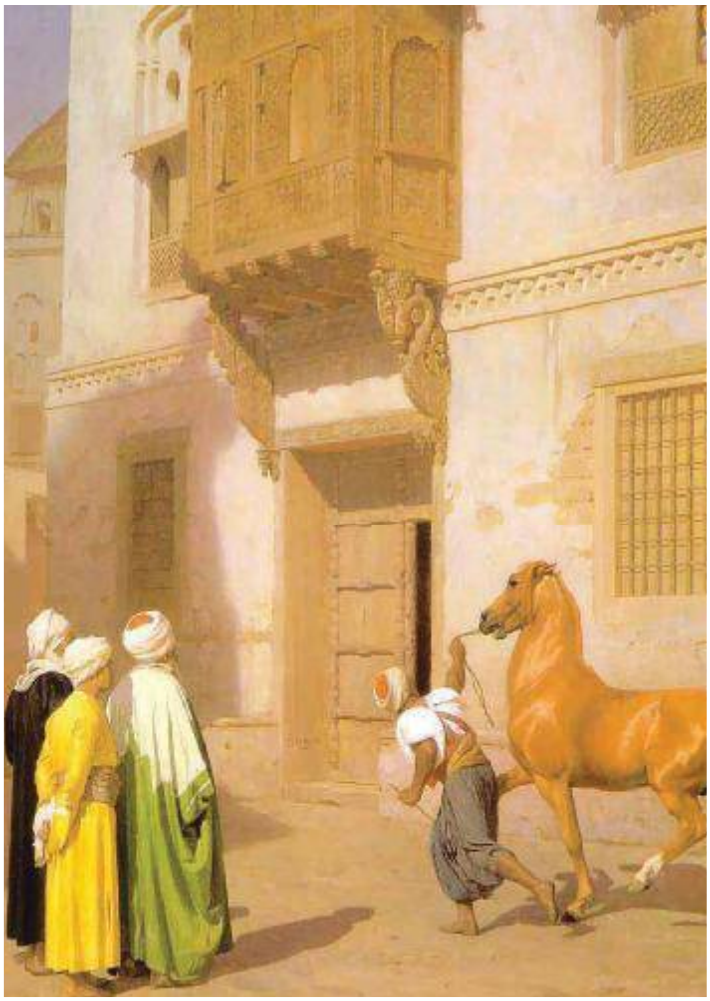

القديم والحديث) توفى بالإسكندرية سنة ١٩٠٥م، (ص ٥٢ ج٢).

٦٠- ابن العلاء القشيري: بكر بن محمد بن العلاء بن محمد أبو الفضل القشيري ويقال له: بكر بن العلاء، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة، انتقل إلى مصر قبل سنة ٣٣٠هـ وتوفى بها سنة ٣٤٤هـ = ٩٥٥م، له كتب منها: أحكام القرآن والرد على المزني وأصول الفقه وغيرها من الكتب. (ص ٦٩ج ٢).

٦١- العصفوري: أبو بكر بن محمد العصفوري متأدب له شعر وموشحات، ولد بدمشق وانتقل إلى مصر فسكنها وتوفى بها، له ديوان شعر مخطوط، توفى سنة ١١٠٣ هـ = ١٦٩٢م. (ص ٧٠ ج ٢).

٦٢- بكير بن الأشج: بكير بن عبدالله بن الاشج، من أعلم أهل عصره بالحديث، ثقة، ولد ونشأ في المدينة ورحل إلى مصر فأقام بها إلى أن توفى بها سنة ١٢٢ هـ = ٧٤٠م. (ص ٧٢ ج ٢).

٦٣- بول كازانوفا: مستشرق فرنسي جزائري المولد، سافر إلى باريس سنة ١٨٧٩م، وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية الحية، عمل مدرسًا للعربية وآدابها بفرنسا سنة ١٩٠٩م، زار مصر ثلاث مرات آخرها سنة ١٩٢٥م منتدبًا لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية، توفى بالقاهرة سنة ١٩٢٦م، (ص ٧٨ ج٢).

٦٤- جرجي زيدان: جرجي بن حبيب زيدان، منشئ مجلة الهلال بمصر، وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد وتعلم في بيروت ورحل إلى مصر فأصدر مجلة الهلال وتوفى بالقاهرة سنة ١٩١٤م، له: تاريخ التمدن الإسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتراجم مشاهير الشرق، وغيرها من المؤلفات. (ص ١١٧ ج ٢).

٦٥- التباني: جلال بن أحمد بن يوسف الثيري القاهري، فقيه حنفي، أصله من بلدة في بلاد الروم يقال لها ثيرة، قدم القاهرة واستقر في محلة التبانة خارجها، أخذ الفقه عن الإتقاني والعربية عن ابن هشام وبرع فيهما، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع، له شرح المنار في أصول الفقه واختصار شرح البخاري لمغلطاي وغيرها من الكتب، توفى بالقاهرة سنة ٧٩٣ هـ = ١٣٩١م. (ص ١٣٢ ج ٢).

٦٦-جميل نخلة المدور: متأدب من أهل بيروت، سكن مصر، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٠٧م اشتهر بكتابيه (حضارة الإسلام في دار السلام وتاريخ بابل وآشور. (ص ١٣٩ ج ٢).

٦٧- جورج أبيض: الممثل المسرحي. بيروتي المولد والنشأة توفى بالقاهرة سنة ١٩٥٩م. (ص ١٤٤ ج ٢).

٦٨- جوهر بن عبدالله الرومي (المشهور بالصقلي): أبو الحسن القائد باني القاهرة والجامع الازهر، كان من موالي المعز العبيدي صاحب إفريقية وسيره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨هـ، مكث بمصر حاكمًا لها إلى أن قدم المعز سنة ٣٦٢ هـ فحل محله وصار هو من عظماء القواد في دولته إلى أن توفى بالقاهرة سنة ٣٨١ هـ = ٩٩٢م. (ص ١٤٨ ج ٢).

٦٩- ابن أبى الشجناء: الحسن بن عبدالصمد أبى الشجناء العسقلاني أبو على، ويقال له: الشيخ المجيد، منشئ له خطب ورسائل جيدة كان القاضي الفاضل يحفظ أكثرها، أصله من عسقلان، قتل بالقاهرة مسجونًا سنة ١٠٨٩م وله نظم في ديوان رآه ابن خلكان.(ص ١٩٥ ج ٢).

٧٠- حسن بن عجلان بن رميثة: شريف حسني من أمراء مكة ولد ونشأ فيها وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ، وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنيابة السلطان في جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة، توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر للقاء السلطان الأشرف برسباي فتوفى بها سنة ٨٢٩هـ = ١٤٢٦م. (ص ١٩٨ ج ٢).

الزُّبدة من زُبدة المَناسِك وعُمدة النَّاسِك بالمَناسِك

نظمُ العلّامة الشّهيد يوسف بن عبدالكريم الأنصاريّ المدنيّ الحنفيّ - توفي (1177هـ)

حقّقها واختصَرَها : محمود محمد الكبش

هذا نظمٌ في المناسك بديعٌ، جمَعَ فيه مؤلّفُه ما ذكرَهُ الإمامُ الملا رحمةُ الله السّندي في كتابه الوجيز «المنسك الصّغير»، فأتى عليه جميعه سبْكًا ونظْمًا، فأحكم وأبدع، وأخرج لنا نظمًا في (المذهب الحنفيّ) غايةً في الرّوعة والسّلاسة.
وقد اعتمدتُ على نسختين؛ أحدهما من مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة كُتبَتْ عام (١٢٣٩هـ)، والأخرى بخط الشيخ عبد القادر السندي المدني كُتبَتْ عام (١٣١٠هـ)، فقابلتُ بين النُسختين، ثمّ ضبطتُ نصّها، وقدّمتُ لها، وشرحتُ في الأصل المحقّق غريبَها، وعلّقتُ عليها، وقد بلغ عدد أبياتها قبل الاختصار (٤٨٦) بيتًا.
وها نحن نضع بين يدي القارئ الكريم «زبدة الزبدة»؛ بنحو (١٣٠) بيتًا بعد الاختصار والتهذيب، ولعل الأصل يخرج مطبوعًا قريبًا بإذن الله تعالى كاملاً غير منقوص.
أما النّاظم فهو العلّامة الشّيخ الفاضل النّحرير الفقيه البارع يوسف بن عبد الكريم الأنصاريّ المدنيّ الحنفيّ، ولد بالمدينة المنوّرة سنة إحدى وعشرين ومائة وألف (١١٢١هـ)، ونشأ على طلب العلم والأدب؛ فأخذ عن والده، والشّيخ محمد بن الطيب الفاسي، والشّيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكوراني، والشّيخ أبي الطيب السّندي، وغيرهم.
وألّف ونظم ونثر؛ ووجّه له منصب الافتاء بالمدينة.
ومن مؤلفاته: هذه المنظومة (زبدة المناسك وعمدة الناسك بالمناسك)، وقد شرحها الشيخ مصطفى الأيوبي الرحمتي شرحًا لطيفًا. وللناظم أشعار كثيرة، ومؤلفات بديعة، وكانت وفاته شهيدًا بالمدينة المنورة سنة سبع وسبعين ومائة وألف (١١٧٧هـ)، ودُفن بالبقيع رحمه الله تعالى(١).

المقدمة

الحمدُ لله الذي قد جَعَلا ... لبيتِه العتيقِ فضلاً وعُلا
حتّى غَدَا مثابةً وأمْنا ... للنّاس؛ فهْو المستجارُ الأسنا
وفَرَض الحجَّ على الجميعِ ... مِن قادرٍ عليه مُستطيعِ
ثمّ الصّلاةُ والسّلامُ العاطِرْ ... على نبيٍّ شَعَّرَ المشَاعِرْ
وعلّم المناسكَ الأناما ... وبيّن الحلالَ والحراما
وآلِهِ والصّحْبِ ما داعٍ دَعَا، ... وطَاف بالبيت، ولبّى وسَعَى
مِن مُسلمٍ يأتي بهذا الحجّ ... من شُقّةٍ عميقةٍ وفجّ
وبعد؛ فاعْلَم أنّ للحجّ جُمَلْ ... من لم يحزْها حجُّه؛ حجَّ الجَمَلْ

ولـيـس بـالجـهـلِ بـهـا مـن عـذْرِ؛ فـابـدَأْ بمـا هـو الأهـمّ، وادْرِ
وقـد نـظـمـتُ هـذه المـنـظـومَـهْ فـيـهـا لـكـي تُمـسـي بـهـا معـلـومَـهْ
وجـيـزةً قـريـبـةً لـلـفـهـمِ إذ يَـسْـهُـلُ الحـفـظُ بـحُـسْـنِ الـنّـظْـمِ
سـمّـيْـتُـهـا بـزبـدةِ المـنـاسـكِ وعـمـدةِ الـنّـاسـكِ بـالمـنـاسِـكِ
تـبـصـرةً لـطـالـبِ الـبـدايَـهْ تـذكـرةً لـصـاحـبِ الـنّـهـايَـهْ
جـعـلـتُـهـا لِـبَـيْـتِـهِ مـنـهـاجَـا فـكـلُّ بـيـتٍ جـامـعٌ مـنـهـاجَـا
وأسـألُ الـلـهَ بـهـا أنْ يـنـفـعـا بـفـضـلِـهِ الجـمّ الـعـبـادَ أجْـمَـعَـا

بابُ حكمِ الحجّ

الحـجُّ فـرضٌ مـرّةً فـي الـعـمْـرِ فـورًا إذا شـخـصٌ خَـلا مِـن عـذْرِ
وفـرضُـه الـعـيـنـيُّ بـالـكـتـابِ، وسُـنَّـةِ الـنّـبـيّ والأصـحـابِ
ثـمّ عـلـيـه انْـعَـقَـدَ الإجـمـاعُ، فـلـيـس فـي وجـوبِـهِ نِـزاعُ

بابُ شرائطِ وجوبِ الحجّ

شـرائـطُ الـوجـوبِ فـيـه سـبْـعَـه؛ أوّلُـهـا: الإسـلامُ، والـعـلـمُ مَـعَـه
إن فـي ديـار الحـرْب، والـبـلـوغُ بـفـرضِـهِ، والـعـقـلُ، والـبـلـوغُ
والـوقْـتُ، والحـرّيَّـةُ، استـطـاعَـه؛ كـمـلـكِ زادٍ مشـبِـعِ المـجـاعَـه
وخـمـسـةٌ شـرائـطُ الأداءِ، سـلامـةُ الجـسـمِ مِـن الأدواءِ
وعـدمُ الحـبْـس، وأمـنُ الـطُـرُق ومَـحـرَمٌ لِمـرأةٍ؛ فَـحَـقِّـقِ
وعـدمُ الـعِـدَّة؛ أي فـي حـقِّـهـا وذاك فـي وقـتِ خـروجِ أهـلِـهـا

بابُ الأعذارِ المانعةِ مِن وجوبِ الحجّ

مـوانـعُ الحـجّ: عـدوٌّ، وفِـتَـنْ، ومَـرَضٌ، والحـبْـسُ يـا ربّ الـفِـطَـنْ
مـنـهـا: الـصّـبـا، وعـدّةٌ، ورِقٌّ، أبـوّةٌ، والـدَّيْـنُ يُـسْـتَـحَـقُّ
والحـصْـرُ فـي الـعـمـرة والحـج سَـوا، لـكـن عـن الـكـعـبـة فـيـهـا لا سِـوى
فـتـلـك عـشـرَةٌ أتَـتْـكَ كـامـلَـهْ مـنـقـولـةٌ عـن ذي الـعـلـومِ الـفـاضـلَـهْ

بابُ المواقيتِ

ميقاتُ أهلِ الشّامِ بطْنِ الجُحْفه، وأهلُ طيْبَةٍ بِذِي الحليفَه
ولِلعِراقِيّينَ ذاتُ عِرْقِ، وأهلُ نجدٍ قرْنُ ذاكَ الشّقّ
ثمّ يَلَمْلَمُ لأهلِ اليَمَنِ. وجحفَةٌ مكروهةٌ للمَدَنِي

بابُ أقسامِ الحجّ

الحجُّ إفرادٌ، قِرانٌ، مُتْعَه؛ وذاك لا سواهُ؛ فاحفظ جَمْعَه
فالأوّل: النيَّةُ بالحجّ فقط، والثّانِ إن بالحجّ عمرةً خَلَطْ
فهو القِرانُ، وهو للآفاقي، وأفضلُ الكلِّ على الإطلاقِ
وبعدَهُ فالأفضلُ التَّمَتُّعُ، وهْو أداءُ النُّسُكَينْ أجْمَعُ
في أشهرِ الحجِّ أتَى بالعمْرَهْ، وحجَّ عامَهُ، ولم يؤخّرَهْ
مِن غيرِ إلمامٍ صحيحٍ آتي بينهما، وينوي مِن ميقاتِ
ولا تمتُّعٌ ولا قِرانُ لِمَن لَهُ بمكةَ استيطانُ

بابُ فرائضِ الحجّ

فرائضُ الحجِّ ثلاثةٌ فَقَط أوّلُها: الإحرامُ، وهو يُشْتَرَط
ثمّ الوقوفُ، والطّوافُ، وهما ركنان في الحجّ، فَدَعْ مَن وَهِمَا
فهذِهِ فروضُهُ لا غيرها، لكن لها فرائضٌ تأتي بها
فرضانِ في إحرامِهِ: التّلبيةُ، أو ما يكون مثلَها، والنِّيَّةُ
ونيةُ الطّواف قالوا فرْضا، كذاك ترتيبُ الفروضِ أيْضا

بابُ واجباتِ الحجّ

وواجباتِ الحجِّ خُذْ يقِينَا عدَّتُها إثنانِ مَعْ عِشْرِينا
أوّلُها: الإحرامُ مِن ميقاتِهِ والسّعيَ بين المَرْوَتَينْ آتِهِ
كذلك البدايةُ مِنَ الصَّفَا قَدْ جاء عن طَهَ النَّبيّ المصطفَى
ثمّ استدامةُ الوقوفِ موقِفَه إلى الغُروبِ في أراضِي عَرَفَه

كذا وقوفُ ما أتى مختارا ... ليلاً لِمَن قد وَقَفَ النّهارا
كذلكَ الوقوفُ في المزدَلفَه ... بعدَ طلوعِ الفجرِ؛ كُنْ ذا معرفَه
والرميُ للجمارِ في أيّامِه، ... والحلْقُ والتّقصيرُ من إتمامِه
وواجبٌ كونُهما في الحَرَمِ، ... والوقتُ إن فاتَ؛ فَجَبْرٌ بِدَمِ
كذلكَ الطّوافُ للوداعِ ... لغيرِ مكّيٍّ بِلا نِزَاعِ
والمشيُ في السّعْيِ وفي الطّوافِ ... مع اقتدارٍ لا مَعَ اعْتِسَافِ
وركعتا الطّوافِ للزّيارَهْ ... كذا تيامُنٌ بالاستدارَهْ
وسَتْرُ عورةٍ، وقدْرٌ طاهِرُ ... مِن ثوبِهِ للعورتَيْنِ ساتِرُ
وأكثرُ الطَّواف للزّيارَهْ ... أيامَ نحرٍ حَقِّقِ اعتِبارَه
وكلُّ ما زاد على أكثرِهِ ... فذاكَ واجبٌ؛ فَحُزْه وادْرِهِ
ثمّ الطّوافُ مِن ورا الحطيمِ ... والرّميُ قبْلَ الحلْقِ ذو تقديمِ
وذبحُ قارنٍ وذي تمتُّعِ ... يكونُ بين الرّمي والحلْقِ فَعِ
وواجبٌ ذبحُهما يا صاحِ ... أيامَ نحرٍ صحَّ في الصِّحاحِ

بابُ سُنَنِ الحجِّ

وسُنَنُ الحجِّ تُعدُّ تِسعَهْ ... وعَشَرَ؛ الكلُّ أتَتْكَ دَفعَهْ
أوّلُها: الطّوافُ للقدومِ، ... وهْو لذي الآفاقِ لا المُقيمِ
لمفردٍ وقارنٍ، كذا الرّمَلْ ... مِن الطّواف في الثّلاثةِ الأُوَلْ
والمشيُ في باقي الطّواف بالمهَلْ، ... والسّعيُ لا يسعَى لَهُ عَلَى عَجَلْ
هرولةٌ في وسَطِ الميلَيْنِ، ... في السّعْيِ سنةٌ بغَيْرِ مَيْنِ
ثمّ المبيتُ جاءَ بالمزدَلفَهْ، ... كذاك أيامُ مِنَى المشرَّفَه
والغُسْلُ سنَّةٌ أوِ التَّوَضّي ... في ساعةِ الإحرامِ ممّا يُرْضِي
واللُّبسُ للإزارِ والرِّدَاءِ، ... ورَكْعتَا الإحرامِ للأداءِ
وبعدَها الإحرامُ، والتّكرارُ ... لقولِهِ: (لبّيكَ يا غفّارُ)

والابتداءُ في الطّوافِ بالحَجَرْ، والاستلامُ - كلّ شوطٍ - معتَبَرْ
كذا استلامُ ركنِهِ اليمانِي عندهما قد جاءَ باستِحْسَانِ
والاضْطِباعُ في طوافِ حجّ وعمْرةٍ؛ فاعمَلْ بِهِ وَرَجِّ
كذاك بين السّعْيِ والطّوافِ أتى استلامُ الحجرِ الشّفافِ
والذِّكْرُ في الطّوافِ والمتابعَهْ ما بينه وركعتَيْهِ التّابعَهْ
كذاك في أشواطِهِ الجميعِ، والسّعيُ مثلُ ذاك في الصّنيعِ
وخُطبةُ الإمامِ في ثلاثِهْ مواضعٍ؛ فحقِّقَنْ أبحاثَهْ
والغُسْلُ للوقوفِ، والنُّزولُ بأبطحٍ؛ أتت بِهِ النُّقولُ

بابُ مستحبّاتِ الحجّ

والمستحبّاتُ له كَثِيرَهْ يعَلَمُها ذو العِلمِ والبصيرَهْ
أكثرُها يختصُّ بالإحرامِ في الحجِّ والعمرةِ للتّمامِ
منها: فيستحبُّ عند النّيّهْ تقليمُ أظفارٍ، ومشْطُ اللّحْيَهْ
وقصُّ شاربٍ، وحلْقُ العانَهْ، والنَّتْفُ مِن امْرَأَةٍ مكانَهْ
ونَتْفُ إبطَيْهِ أو الحلاقَهْ، وبالسّواكِ يدلُكَنْ أشْدَاقَهْ
ولْيَغْتَسِلْ بالسِّدرِ مُنقِي البَشَرَهْ ثمّ يسرِّحْ رأسَهُ وشَعَرَهْ
ولُبْسُ ثَوْبَيْنِ: إزارٌ وردَا، وإنْ يكونا أبيضَيْنِ جُدَدا
أفضلُ فيه، أو مغَسَّلَيْنِ والدّهْنُ والطِّيبُ بِغَيْرِ عَيْنِ
ثمّ يصلِّي سُنّةَ الإحرامِ، ثمّ ليَدْعُ عَقِبَ السّلامِ

بابُ مكروهاتِ الحجّ

وكُرِهَ التّقديمُ للإحرامِ عَنْ أشهرِ الحجِّ بذاك العامِ
كذلك الإحرامُ فاعرِف أمْرَهْ لقارنٍ بالحجِّ مَعْهُ عُمْرَهْ
والعقدُ للرِّداءِ والإزارِ بحبلٍ اوْ خلالٍ اوْ أزْرَارِ
وعصبُ شيءٍ مِنه أي مِن نفسِهِ كَيَدِهِ، لا وجهِهِ ورأسِهِ

كـــذا انـــتـــفـــاعٌ مـــنـــه بـــالـــمـــنـــوعِ ... فـيـه بـمـا لـيـسَ مِـــنَ الـمـــشْـــرُوعِ
وتـــرْكُ مـا كـان مِـن الـصُّـعـودِ ... عـلـى الـصّـفَـا والـمـروةِ المـعـهـودِ
كـذلـكَ المـبـيـتُ فـي غـيـرِ مِـنَـى ... لـيـلـةَ تِـسـعٍ؛ فـاحْـفَـظَـنَّ الـسُّـنَـنَـا

بابُ أحكامِ العمْرةِ

وعـنـدنـا الـعـمْـرَةُ - صـاحِ - سُـنَّـهْ ... مِـن الـمـؤكّـدات؛ فـاحْـفَـظَـنُّـهْ
فـاعـلـم بـأنّ ركـنَـهـا شـيْـئَـانِ، ... كـذلـك الـواجـبُ فـيـهـا اثـنـانِ
فـرُكْـنُـهـا: الإحـرامُ، والـطَّـواف، ... سـعـيٌ وحـلْـقٌ واجـبٌ مـضـافُ
وحـكـمُـهـا كـالـحـجّ فـي الإحـرام، ... وسـائـرِ الأمـورِ بـالـتّـمَـام
ميـقـاتُـهـا الـتّـنـعـيـمُ لـلـمـكّـيّ، ... والـغـيـرُ مِـن ميـقـاتِـهِ المَحْـكِـيّ
وصِـفَـةُ الأداءِ حـيـثُ دَخَـلا ... مـكـةَ لـلـمـسـجـدِ جـاءَ أوّلا
فـطـافَ لـلـعـمـرةِ مـثـلَ الحـجّ، ... وقَـطْـعِ (لـبّـيـكَ) بـهِ، والـعـجّ
ثـمّ لْـيُـصَـلّ ركـعـتَـيـن تـلـوَهْ، ... ولْـيَـسْـعَ مـا بـيـن الـصّـفَـا والمـروَهْ
ثـمّ لِـيَـحْـلِـقْ أو يـقـصّ شَـعَـرَهْ، ... والحـلْـقُ خـيـرٌ قـد روَيْـنَـا خَـبَـرَهْ

بابُ مفسداتِ الحجّ والعمرةِ

ويـفـسُـدُ الحـجُّ عـلـى الإجـمـاعِ ... قـبـلَ الوقوفِ- صـاحِ- بـالجـمـاعِ
كـذاكَ قـبْـلَ أكـثـرِ الـطّـوافِ ... لـعـمـرةٍ، وذاك غـيـرُ خَـافِ
والحـكـمُ فـي كـلٍّ يـكـونُ واحِـدا ... إن مُـكْـرَهًـا أو نـاسـيًـا أو عـامِـدا
ويـلـزم المـضـيُّ فـي الأفـعـالِ ... مـثـل الـصّـحـيـحِ مـنـهـمـا فـي الحـالِ
ثـمّ الـقـضـاءُ واجـبٌ مِـن قـابـلِ ... عـلـيـه، ثـمّ الـدَّمُ حـالَ عـاجـلِ

كتابُ الجنايات

واعـلـمْ بـأنّ حـاصـلَ الجـنـايـهْ ... مِـن مُـحْـرِمٍ عـنـد ذَوِي الـدِّرَايـه
عـبـارةٌ فـيـهِ عـن ارْتـكـابِ ... مـا كـان مـحـظـورًا بـهـذا الـبـابِ
إن كـان فـي الإحـرمِ أو فـي الحَـرَمِ ... كـالـطِّـيـبِ أو لُـبْـسِ المـخـيـطِ؛ فـافْـهَـمِ

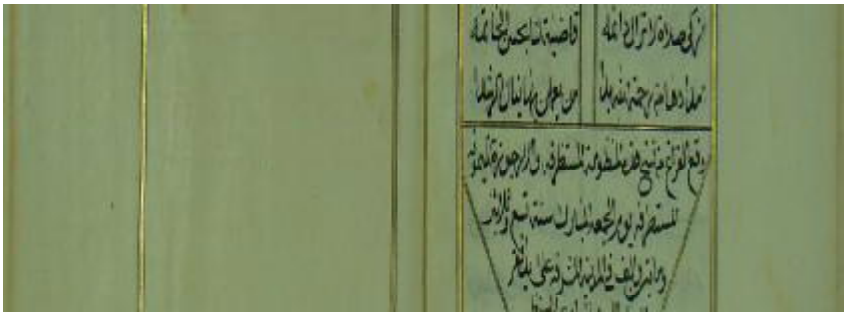

ومثلُهُ تغطيةٌ للرّاسِ، كذلك الوجهُ بلا الْتِبَاسِ
وكالجماعِ، وإزلةِ الشَّعَرْ والظُّفْرِ، أو تعرُّضٍ لصَيْدِ برّ
وتركِ واجبٍ، وقطعِ الشَّجَرِ مِن حَرَمٍ، وقَلْعِ عُشْبٍ أخْضَرِ

بابُ الهدْيِ

الهديُ ما يهدونَهُ إلى الحَرَمْ مِن إبلٍ، وبَقَرٍ، ومِن غَنَمْ
أقلُّه شاةٌ، ويُجْزِي فِيهِ ما كان في أُضْحِيةٍ يجزِيهِ
والشّاةُ تجْزي تَرْكَ ما قد وَجَبَا إلَّا اذا طافَ لفرْضٍ جُنُبَا
أو جامع المحرِم بعد ما وَقَفْ من قبل حلْقٍ، نحْرُ بدنٍ لا أخَفّ
ويأكلُ المهدي إذا تطوّعا أهدى مِن الهدْيِ، وإنْ تَمَتّعَا
كَذَا مِن القِرانِ، لا من غيرِهِ، وخُصّ ذبحٌ فيهِ وقتَ نحْرِهِ
وكلُّ ما مرّ عليكَ مِن دَمِ فَذَبْحُهُ مخصَّصٌ بالحَرَمِ

خاتمة

وَمَن نّوى الرّحلةَ للرُّجوعِ فليقصِدِ المسجدَ للتّوْديعِ
ثمّ لْيُصَلِّ ركعتَيْنِ فيهِ ويسألِ اللهَ الذي يبْغِيهِ
ثمّ لْيُوَدّعْ باكيًا خيرَ البَشَرْ ثمّ أبا بكرٍ وبعدَهُ عُمَرْ
مصلّيًا مسلّمًا وباكيَا ملتمسَ العَوْدِ إليهِ ثانيَا
هذا؛ ونرجُو الواجبَ العِبادَه كيما يُمِيتَنا على الشّهَادَه
والنُّطْقِ بالتّوحيدِ والإقرارِ للمصطفى رسولِهِ المختارِ
صلّى عليه اللهُ ما نامٍ نَمَا وآلِهِ وصحبِهِ وسلّمَا
أزْكى صلاةٍ لا تزالُ دائمَهْ قاضيةً لنا بحُسْنِ الخاتمَهْ
إمدادُها مِن رحمةِ اللهِ بَدَا مَن يعمَلَنْ بِها يَنَالُ الرّشَدَا

تمّت

(١) راجع ترجمته في: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي (٢/ ٢٤٨)، و«الأعلام» للزركلي(٨/ ٢٣٩)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٣/ ٣١١) وغيرها.

العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣ هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢ م

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٣)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

أفضل ما أوطئ به الحديث في هذه الحلقة اللغوية الثالثة، التأكيد أن الذي أنهضني لتحبير هذه السطور، تصحيح نظرتنا إلى اللغة العربية الفصحى، لأنها هي أمُّنا الرؤوم التي أرضعتنا بلبانها، وهي أثمن ما تبَقّى لنا في بحر العولمة الجارف؛ من أجل ذلك لابد من المحافظة عليها كما نحافظ على أعيننا، ومن الدفاع عنها وصيانتها كما نصون أشهى مرغوب لدينا؛ من أن يُزَوّره العابثون الذين يعيثون في الأرض الفساد. ولقد أمدّتني التجربة أن الفساد في اللغة العربية الفصحى بدأ قليلا مثل جرثومة متناهية الصّغَر، ثم شرعت نُطفتُه في التحول من حال إلى حال، حتى توسعت مناحي القصور في ثوبها القشيب، وكاد الخَرْقُ أنْ يتّسع على الراقع، وما ذلك إلا من تداني الهمَم، واحتقار الذات، وما تَدُل عليه الكَلمات من مقومات الإنْسيّة العربية. فنحن حين نستعمل كلمة، لا نوظفها إلا مع ما تزخر به من عبقرية موحية بكل الأحاسيس والمشاعر التي أنتجتْها البيئَة العربية المترامية الأطراف. من أجَل ذلك لابُدّ من تجنب السقوط في حبائل أنصاف الحلول التي تنظر إلى اللغة باعتبارها مجرد وسيلة للتعبير. فاللغات في عصر العولمة دخلت في تزاحم وتصارع واقتتال لا يَفْتُر؛ حتى تزْوي اللغة المغلوبة في حدود ضيّقة.

وهي حقيقة لسنا في حاجة إلى أن نقيم البرهان الساطع عليها، حيث بدأ كثير من أبناء العروبة يَزْوَرُّون عن الفصحى، مُوَلِّين أوجههم شطر اللغات الأجنبية، التي اقتعدت الصدارة في مجتمع المعرفة الذي فغر فاه لابْتلاع ما تبقّى لديها من جاذبية تتمتع بها خطوطها التي استمدت أصالتها من القرآن الكريم، حتى قال المستشرق «ريتر»: «إن الكتابة العربية أسهل كتابات الدنيا وأوضحها، فمنَ العبَث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح»(١) الأمر الذي دفع الفرس والصين والهند إلى الاحتفاظ في قصورهم بالخطوط العربية لما لها من جمال آسر خلاب. ذلك هو حال الخط العربي، فماذا نحن فاعلون أمام هذا السّيْل الجُراف القُحاف من الرسائل الإلكترونية القصيرة التي حرّفت قواعد الإملاء العربي، مختزلة الكلمات، مستبدلة الأرقام ببعض الأصوات غير المتيسرة في الإنجليزية والفرنسية مثل: «العين والغين والحاء والخاء والصاد...».

ولقد استبان لي في أثناء التأمل والسياحة بين ما يُنْشر ويُنْطقُ من كلام عربي بَزَل فيه الفساد حتى كاد أن يترك العربية الفصحى على مثل مقْرف الصّمْغة، أن المحافظة على قواعد الإملاء، وعلى الفصاحة لا يمكن أن تفرض على الأيدي والأفواه، فرضًا قسريًّا، وإنما سبيلها اللاحبَة الناهجة التي لا قُحَم فيها، هي هذه الورقة اللغوية في هذه المجلة الغرّاء، وفي غيرها، عسى أن تألف الأيدي والألسنة معرفة الفصيح الصحيح، وأن تستعمله حتى تُرَسِّخَه العادة التي تُعدُّ طبْعًا ثانيا. وإذا كان هناك من يستصغر هذا المجهود، فإن الأعمال العظيمة لا تتولد إلا من الأعمال الصغيرة صادقة النّية، كما النهر العظيم الهادر، لا يكون إلا من صغار الفوالج والجعافِر والأسَريّة.

هذه هي السبيل التي تُبْقي على عربيتنا الفصحى سليمة معافاة، ناهيك عن الحصانة الربانية التي ظلت تتمتّع بها من فوق سبع سموات، رغم الكسل اللغوي الذي انتاب مجتمعاتنا اللغوية من خلال التضحية والتفريط في بعض الألفاظ القرآنية، التي غُيِّرتْ دلالاتها الراقية باتجاه دلالة انحطاطية على هذه الشاكلة: «لقد دمر الاستعمار الفرنسي والبريطاني العالم العربي» حين نبحث عن تاريخ لفظة «الاستعمار» نتبيّن أنها لفظة قرآنية وظفها القرآن والفصحاء راقية الدلالة تفيد البناء والتعمير والتشييد؛ قال تعالى من سورة هود آية رقم ٦٠: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي وجعلكم عُمّارها. وفي سبب تأليف أبي منصور الثعالبي لكتابه «فقه اللغة وأسرار العربية» أورد في مقدمة الكتاب ما يأتي: «فاستأذنتُه في الخروج إلى ضيعة لي متناهية الاختلال بعيدة المزار؛ فأجمعُ فيها بين الخلوة بالتأليف وبين الاستعمار، فأذِنَ لي... وأمر، أعلى الله أمْرَهُ، بتزويدي من ثمار خزائن كتُبه...»(٢) وفي مقدمة ابن خلدون نصادف لفظة الاستعمار بنفس الدلالة حيث يقول: «الحمد لله الذي له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت، العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى أو يخفيه السكوت. القادر فلا يعجزه شيء في السموات والأرض ولا يفوت، أنشأنا من الأرض نَسَمًا واستعمرنا فيها أجيالا وأُمما». (٣) و«أعمره المكان واستعمره فيه، جعله يعمره. وفي التنزيل ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. أي آذنَ لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها. وفي الأساس واستعمر الله عباده في الأرض، طلب منهم العمارة فيها».(٤) هذا ما تقول به أمّاتُ المصادر، أما ما يتفوّه به المعاصرون، ومَنْ لفّ لفّهم من الألفاف الذين لا يُوزَن لهم رأي، فإن لفظة «الاستعمار» انتقلت دلالتها من الرقي إلى الانحطاط، وبذلك يصح لديهم نعت «الاستدمار» أو «الاستضمار» و«الاحتلال» بهذه اللفظة القرآنية، التي لا ينبغي لنا ولا لغيرنا أن نُحْدث فيها تغييرا إلا إذا كنا مستعدّين أن نتنازل عن مقومات وجودنا وعبقريتنا. تأسيسا على هذه النصوص التي تقطع دابر أي متردد مُرتاب، فإن العبارة الآنفة يجب أن نطردها من حظيرة الفصحى، وأن نستبدل بها العبارات الآتية التي تعكس نهب الخيرات وتدمير العمران:

– لقد دمّر الاحتلال الفرنسي والبريطاني العالم العربي. أو:

– لقد دمر الاستضمار الفرنسي والبريطاني العالم العربي. أو:

– لقد دمر الاستدمار الفرنسي والبريطاني العالم العربي.

الهوامش

■ الخط العربي ورحلته مع الفن الحديث، د.إيناس حسني. مجلة دبي الثقافية. السنة السابعة، العدد رقم ٦٦. ص ٧٢. نونبر ٢٠١٠. الإمارات العربية المتحدة.

■ فقه اللغة وأسرار العربية – أبومنصور الثعالبي. شرح وتقديم د.ياسين الأيوبي. ص ٣٧. ط ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت.

■ مقدمة ابن خلدون. تحقيق د.علي عبدالواحد وافي. الجزء١ص ٢٨١. الطبعة ٣ – دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة.

■ شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس. محب الدين أبوفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي. مادة عمر. باب الراء فصل العين. المجلد ٣– ص ٤٢٢. دار الفكر.

وعاد محمد!

مياسة النخلاني - قاصة يمنية

كان الطريق مظلما حالكا يحاكي الظلمة التي تموج في أعماقه، ففي مثل هذه الساعة من الليل قلما يسير أحدهم في هذا الشارع سوى القطط والكلاب الضالة، ولكن هيهات أن يبالي فما عادت تفرق معه وما عاد الظلام يخيفه أو يرعبه وما عادت الوحدة تؤثر فيه.

أحيانا وفي غمرة ذلك الهدوء المشحون بعتمة الليل تجد كثير من الأفكار والتساؤلات طريقها إلى مخيلته.. فإلى متى هذا الضياع والتيهان إلى متى ستظل أقدامه تجره في هذا الطريق المظلم دونما هدف أو رغبة في التوقف والعودة إلى الوراء.. وإلى متى يظل حبيس نفسه التي تحمل الكره للجميع دونما تمييز أو سبب واضح؛ معاقبا إياهم بجر نفسه إلى مزيد من الهلاك وعدم الإدراك، ولكن ما إن تتشعب التساؤلات التي يعجز عن إيجاد إجاباتها حتى يسارع بطردها قاذفا إياها بين حنايا الظلام الذي يلفه لترتد عليه مجددا وبقوة أكثر من ذي قبل..

«الله يهديك ويصلح حالك» دعوة أمه له كل صباح ومساء من كثرة ما ترددها على مسامعه صارت تطن في أذنيه في كل حين، كم يود لو أنه يصرخ في وجهها ويقول لها: كفاك عبثا، فلا جدوى مني غير أن رقة صوتها وهي تنطق بهذه الكلمات تمنعه من البوح بتلك الرغبة، وعوضا عن ذلك يقبل يديها ثم يمضي إلى حال سبيله.

والده المسكين عبثا يحاول اصطحابه إلى مسجد الحي للصلاة، وفي نفسه أمنية هي أن تكون تلك الصلاة فاتحة خير على قلبه التائه في سراديب الظلام، لكن كلمة المسجد بحد ذاتها تصيبه بالجنون، بل تجعله ينتفض كمن قرصته أفعى شديدة السمية، يتذكر جيدا تلك الليلة عندما أصر عليه والده الذهاب معه لأداء صلاة العشاء، حين حاول التملص منه برفق مخفيا في أعماقه موجات من الغضب والنفور لكن إصرار والده أعجزه عن إخفائها أكثر فلم يشعر بنفسه إلا وقد حطم كل ما كان أمامه ليترك البيت غاضبا وسط دهشة والده ودموع أمه، هو نفسه لا يعرف لماذا ينتابه هذا الشعور كلما ذكرت أمامه كلمة مسجد هل يعقل أن يكون الشيطان قد استبد به إلى هذا الحد وتملكه حتى جعله يرى بيت الله كسجن يخاف أن تطبق عليه قضبانه.

«أووف مالي ولهذه الأفكار اليوم» ركل قارورة فارغة كانت ملقاه أمامه بقوة ثم أكمل سيره فهو لا يحب أن تجره أفكاره إلى هذه النقطة التي تصيبه بالضيق والضجر أعطى لقدميه كامل الحرية لتأخذه حيث تشاء فما عاد يهتم بالوجهة التي سيذهب إليها، المهم أن يمضي بعيدا عن هذا الجو المشحون بالأفكار المتضاربة، فإذا بهما تأخذانه للسير من أمام مسجد الحي الذي طالما تجنب المرور بالقرب منه على مدى سنوات طويلة، وقف محتارا فليست أفكاره فقط من تتآمر عليه بل حتى قدماه، فهو لا يحب المرور من هنا في أي ظرف كان، بل حتى عندما كان يحتاج المرور من هنا للوصول إلى مدرسته كان يضطر للسير مسافة مضاعفة، المهم عنده ألا يمر من هنا، فلماذا يجد نفسه اليوم واقفا هنا؟!

حاول عبثا الابتعاد؛ فهذا المكان لا يشعره بالارتياح ولكن قدماه خانتاه وتشوش أفكاره أوهن من قواه فأسند ظهره إلى أقرب جدار ملقيا برأسه إلى الوراء.. مازال السكون يلف المكان، سوى من حركة صدره يعلو ويهبط بحركات متسارعة ومضطربة..

كان حينها في العاشرة من عمره حين أحضره والده إلى هنا ليحفظ القرآن على يد الأستاذ عبدالله، كم كان فخورا حينها كونه سيكون أحد طلاب الأستاذ عبدالله الذي كان يعتبر زينة شباب الحارة وأكثرهم علما وأدبا والتزاما.. كانت بدايته مع الأستاذ عبدالله أكثر من رائعة وكان تأثره به يفوق الوصف حتى إنه صار يقلده في كل شيء.. لبسه ومشيته وحديثه.. وكل ما يقوله الأستاذ عبدالله لا مجال لمراجعته أو التعدي عليه، لم يكن وحده الذي يحب الأستاذ عبدالله بل كل زملائه في المسجد ينتابهم نفس الإحساس حتى إنهم كانوا يتنافسون من سيكون الأكثر قربا من معلمهم المحبوب الذي لم يكن يعيبه شيء سوى أنه كان شديدا جدا، وإن لم يكن ذلك حينها يؤثر فيهم كثيرا.

في ذلك اليوم وعندما كان يستعد لأخذ مكانه ككل يوم استعدادا للمدرس ناداه أستاذه طالبا منه أن ينتظره في الخارج، ترك مكانه ترتسم على محياه علامات الاستفهام وخرج وهو لا يعلم ما القصة، وبعد قرابة الساعة ناداه أستاذه وأمام الجميع أخذ يهينه ليعرف حينها أن أحد الزملاء كان قد وشى به عنده، وبذنب هو لم يقترفه.. حاول الدفاع عن نفسه، لكن صوت الأستاذ عبدالله كان أكبر وبعصا غليظة، وأمام الجميع تلقى أعنف ضرب في حياته، لم ينبس ببنت كلمة ولم يذرف أي دمعة رغم أن الإحساس بالألم والمهانة قد أطبق عليه.

لملم شتات نفسه وكتبه وعاد للبيت حيث أغلق على نفسه غرفته.. تأمل طويلا يديه.. كانتا تهتزان أمام نظره، لكن ليس من الألم بل يحركها ذلك البركان الذي يغلي في أعماقه، وما هي إلا لحظات حتى غطت عيونه سحابة من الدموع.. دموع حارة أخذت تنهمر من عينيه مصحوبة بصرخات مكتومة حتى إن والدته سمعت بكاءه.. لكن عبثا حاولت إقناعه بفتح الباب أو معرفة ما الذي حدث له.

فقد إحساسه بكل ما حوله ومن حوله وبات ليلتها متخما بمشاعر المرارة والقهر وعشرات الأسئلة تغزو تفكيره دون أن يحصل على إجابة شافية.. فلماذا لم يكلف أستاذه نفسه العناء ليستفسر منه عن مصداقية الوشاية التي وصلته؟ لماذا لم يسمح له بإكمال الدرس مع الزملاء ليعنفه فيما بعد، عوضا عن طرده من الدرس بذلك الأسلوب المهين؟ ولماذا لم يعاقبه بعيدا عن عيون الجميع بين نظرات تشف وشفقة؟ وبأي حق يعامله تلك المعاملة؟!

نام ليلتها ودموعه على خديه وفي الصباح وفي طريقه إلى المدرسة تجنب عمدا المرور من أمام المسجد، ومن حينها وهو يتجنب المرور من هناك ورغم محاولات أمه وتساؤلات والده فإنه رفض بشكل قاطع الذهاب مجددا إلى دروس المجسد، وعبثا حاولا إقناعه بالعودة، بل من حينها لم يصل ولم يقرأ آية من القرآن، بل كان يتعمد التباهي بذلك أمام أصدقائه ليبلغوا الأستاذ عبدالله بذلك..

انطلقت تسبيحات من مأذنة الجامع الذي يستند على جداره.. فتح عينيه واعتدل في جلسته ماسحا دموعه التي لم يكن يدرك أنها قد غسلت خديه كما حدث في تلك الليلة قبل سنوات طويلة.. فرغم اعتقاده أن السنوات قد محت ما حدث من ذاكرته فإنها ماتزال راسخة في أعماقه.. لكن يا ترى هل نجح في معاقبة أستاذه على فعلته تلك؟ ألم تكن خمسة عشر عاما من الضياع واتباع الهوى كفيلة برد الإهانة التي تسبب له بها؟

على من يضحك؟! فلا أحد يعاقب سواه ولا أحد يدفع فاتورة أفعاله سواه.. هو الوحيد الذي يسددها يوما بعد يوم، وعاما بعد عام، ولا يدري إلى متى سيظل يسددها من عمره الذي ينطوي أمام ناظريه دون الحصول على عائد مجد سوى مزيد من الضياع.. أطلق تنهيدة عميقة ونفض عنه ما علق من تراب، وهم بالرحيل، فإذا بوالده يناديه: «محمد ألن تدخل لتصلي الفجر معي»

حاول البحث في أعماقه عن تلك المشاعر الغاضبة التي عادة ما يواجه بها والده كلما دعاه إلى الصلاة، فلم يجدها وعوضا عنها أحس برغبة جارفة للانصياع وراء رغبة والده الذي لم يمل ولم ييأس منه يوما مما، مسح ما تبقى من دموع بكمه ولحق به تاركا وراء ظهره أعواما طويلة من العناد والتيهان والندم.

الأحرف والقراءات القرآنية في ضوء الدرس اللغوي

محمود الهايشة - باحث في التراث

صدر في منتصف شهر جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ - مايو ٢٠١٢م عن سلسلة دراسات إسلامية التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - وزارة الأوقاف المصرية، العدد (٢٠٣) كتاب «الأحرف والقراءات القرآنية في ضوء الدرس اللغوي»، للأستاذ الدكتور، محمد المختار المهدي، الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية، ويقع الكتاب في ٩٥ صفحة من القطع الصغير.

وقد تناول هذا البحث نشأة اللغة الإنسانية، وتعرض لما قيل: إنها توقيفية استنادًا إلى تعليم الله لآدم الأسماء كلها، وما قيل: إنها مواضعة أو محاكاة قياسًا على مراحل الطفولة، واستنبط البحث من القرآن الكريم تصورًا جديدًا يجمع بين الرأيين؛ إذ كان منهما جزء وراثي مما علمه آدم لأولاده وجزء بمحاكاة لأصوات البيئة وجزء بالمواضعة.

وتعرض لكيفية انقسام اللغة إلى لهجات، وإلى الاصطلاح على تقسيمها إلى سامية وحامية ويافثية ثم دلف إلى اللغات السامية، ومنها اللغة العربية الشمالية والجنوبية، وانقسامها إلى لهجات، وفضل الكعبة في شيوع لهجة قريش في أسواق مكة، ونزول القرآن أولا بها، وبدء نزول الأحرف في المدينة عند أضاة بني غفار تيسيرًا لقراءته حتى وصلت إلى «سبعة أحرف كلها شاف كاف».

وشرح معنى الحرف اعتمادًا على ما ورد بالمعاجم وانتهى إلى أنه يشمل اختلاف الأداء الصوتي كما يشمل اختلاف الكلمات في المعنى مع اتحاد اللفظ، أو في اللفظ مع اتحاد المعنى، أو في الشكل مع اتحاد المعنى وضرب لذلك عدة أمثلة.

وفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع فالأولى منسوبة لرب العزة، والثانية منسوبة للقرّاء الذين انتشروا في البلاد المفتوحة يعلمون الناس بما سمعوه من رسول الله ﷺ وعرج على ضوابط اختيار هؤلاء السبعة وفكرة عن سيرتهم، وضرب لذلك كثيرًا من الأمثلة، وبخاصة ما ورد من الشواذ.

وأثبت البحث أن تعدّد القراءات لم يكن بسبب ترك الشكل والنقط، ولكن التلقي كان هو العمدة في ذلك وأقام الدليل الواضح على ذلك وردّ على شبهة المستشرقين، وفي البحث أمثلة لاختلاف القراءات باختلاف اللهجات العربية.

يَا غَزْوَةَ الْأَحْزَاب.. إِنِّي رَاجِعٌ لِلْقُدْسْ

محسن عبدالمعطي - شاعر مصري

جَمَعَ الْيَهُودُ قُوَاهُمُ وَتَرَصَّدُوا
مِنْ عَهْدِ(أُسْوَتِنَا الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى)
الْبَغْيُ جَاءَ لَهَدْمِ صَرْحِ شَامِخِ
يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ هُبُّوا وَاسْمَعُوا
فَإِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ أَفْلَحْتُمُ
سَتُحَارِبُونَ الْبَغْيَ يَا أَهْلَ الْهُدَى
قَامَ (ابْنُ أَخْطَبَ) يَبْتَغِي (أُمَّ الْقُرَى)
لِقِتَالِ مَنْ أَهْدَاهُ رَبِّي رَحْمَةً
وَتَشَكَّلَتْ فِرَقُ الضَّلَالِ كَثِيفَةً
لإِبَادَةِ الإِسْلَامِ كَانَ حِسَابُهُمْ
جَاءَتْ (يَهُودُ) وَ(أَشْجَعٌ) بِغَزَارَةٍ
وَ(بَنُو قُرَيْظَةَ) فِي (الْمَدِينَةِ) جَيْشُهَا
وَ(كِنَانَةُ) احْتَشَدَتْ بِجُنْدٍ طَامِعٍ
وَالْمُشْرِكُونَ تَعَجَّبُوا مِنْ أَمْرِهِمْ
قَدْ مَالَ قَائِلُهُمْ وَقَامَ مُسَائِلاً
يَدْعُو إِلَى الإِحْسَانِ فِي تَشْرِيعِهِ
قَالَ الْيَهُودُ لأَهْلِ (مَكَّةَ) فَجْأَةً
بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ هُمْ قَدْ آمَنُوا
أَيْنَ النَّصِيرُ لِغَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ
وَدَعَى الْيَهُودُ شُيُوخَ (غَطْفَانَ) الَّتِي
وَ(بَنُو النَّضِيرِ) وَ(قَيْنُقَاعُ) تَكَاتَفُوا
وَتَشَاوَرَ(الْمُخْتَارُ): كَيْفَ خَلَاصُنَا ؟!!
(سَلْمَانُ) يَا بْنَ الْفُرْسِ هَذَا مَوْقِفٌ
هَذَا هُوَ الرَّحْمَنُ أَلْهَمَكَ الْهُدَى
لِلْخَنْدَقِ الْمَيْمُونِ سَارَعَ عَقْلُهُ
قَامَ (ابْنُ وُدٍّ) بِاقْتِحَامٍ سَاجِرٍ
هُوَ فَارِسُ الشَّرْكِ الْعَنِيدُ بِطَبْعِهِ
هَتَفَ (ابْنُ وُدٍّ) لِلنِّزَالِ مُنَادِيَا
زَأَرَ (ابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ) فِي وَجْهِهِ
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا (عَلِيُّ) تَقُولُهَا
أَذِنَ الإِلَهُ بِنُورِ فَجْرٍ بَاثِقٍ
هَذَا ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُومُ بِدَوْرِهِ
وَيَشَاءُ رَبُّكَ أَنْ تَهِيجَ عَوَاصِفٌ
رَحَلَ الْبُغَاةُ بِمَكْرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ
يَا غَزْوَةَ الأَحْزَابِ..إِنَّكِ آيَةٌ

لَقِتَالِنَا دَوْمًا وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا
وَصَّوْا بِحَرْبِ رِجَالِنَا لَمْ يَهْمَدُوا
لِلْحَقِّ إِنَّ الْبَغْيَ دَوْماً يَحْقِدُ
لِرَسُولِنَا فَهُوَ الأَمِينُ الْمُرْشِدُ
إِنْ تَنْفِرُوا فِي دَرْبِ رَبِّي تَسْعَدُوا
وَسَتَظْفَرُونَ عَلَيْهِ إِنْ تَتَوَحَّدُوا
وَيُنَاشِدُ الأَحْزَابَ أَنْ يَتَلَبَّدُوا
لِلْعَالَمِينَ وَنُورُهُ لاَ يَنْفَدُ
مَا أَبْشَعَ السُّفَهَاءَ حِينَ تَجَنَّدُوا!
خَطَأً لأَنَّ الْحَقَّ دَوْماً يَخْلُدُ
وَ(بَنُو فَزَارَةَ) وَ(الأَسْوَدُ) تَحَشَّدُوا
مَنْ بِالْخِيَانَةِ طَيْفُهُ يَتَجَسَّدُ
وَالْكُلُّ فِي دَرْبِ الضَّلَالِ مُقَيَّدُ
(فَيَهُودُ) تَدْعُوهُمْ لِكَيْ يَتَوَعَّدُوا
عَنْ دِينِ (أَحْمَدَ) فَهْوَ نُورٌ يُرْشِدُ
يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ فَهْوَ الْمُنْجِدُ
أَصْنَامُكُمْ خَيْرٌ كَبِيرٌ فَاعْبُدُوا
حَقَّتْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةٌ فَتَبَدَّدُوا
وَبُنُورِ رَبِّ النَّاسِ لَمَّا يَهْتَدُوا ؟!!
خَرَجَتْ بِجُنْدٍ لَيْسَ يَعْنِيهَا حَدُ
وَتَسَابَقَتْ أَشْبَاحُهُمْ وَتَجَسَّدُوا
الأَمْرُ شُورَى بَيْنَكُمْ وَمُمَهَّدُ
يَحْتَاجُ رَأْيَكَ إِنَّ رَأْيَكَ يُرْشِدُ
لَقَدِ اهْتَدَيْتَ بِهَدْيِهِ سَتُسَدَّدُ
حَفَرُوهُ فِي صَبْرٍ وَرَبُّكَ يَسْنِدُ
(عَمْرُو بْنُ وُدٍّ) بَاطِشٌ مُتَشَدِّدُ
تَحْدُوهُ نَفْسٌ فِي الْوَغَى لاَ تَبْلُدُ
خَشِيَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ فَتَرَدَّدُوا
وَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ جَلْمَدُ
أَهْوَى ابْنَ (ابْنَ وُدٍّ) فِي الدِّمَاءِ مُهَنَّدُ
لِلْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ دَوْماً يَصْعَدُ
وَلِنُصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ يُمَهِّدُ
خَلَعَتْ خِيَامَ الأَشْقِيَاءِ فَأُجْهِدُوا
وَالْمُؤْمِنُونَ بِجُنْدِ رَبِّكَ أَيِّدُوا
لِلسَّائِلِينَ وَإِنَّ مَجْدَكَ يُقْصَدُ

موريتانيا.. مواطن الشعر والفصاحة

جاك صبري شماس - ناقد أدبي

لقد دفعني حب هذا الشعب إلى الكتابة عنه وعن أرضه الخيرة، التي حملني ثراها فترة من الزمن، اعتبرتها فترة من أعز فترات حياتي.. إذ حافظ الشعب على قيمه وتقاليده العربية الإسلامية رغم قساوة الظروف التي مر بها.

يقف الإنسان مبهورًا أمام عظمة الأمة العربية التي حملت الأمانة فكانت أقوى من الجبال، واستطاعت أن تؤدي واجبها بالشكل الذي أرادته السماء عندما خاطب رب العزة رسوله الكريم بقوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾، لقد حمل قوم الرسول ﷺ الذكر العظيم وانتقلوا به من جزيرتهم إلى أبعد نقطة في هذا العالم، وكانت تزخر بالمساجد كما وصفها أحد الكتاب.

والموريتاني بشكل عام- قديمًا وحديثًا- قد طرق أغراض الشعر، من مدح ورثاء ووصف وغزل، ولم يتأثر حتى وقت قريب بالأساليب الشعرية الحديثة التي تأثر بها الشعراء الشباب بعد الستينيات، يقول الشاعر عبدالسلام العلوي:

فلما تحادثنا تبينت أنها
فتاة من الفتيات غير بتول
فقلت لها بالله هل لك هاهنا
خليل؟ فقالت لا تكن بسؤول
فقالت جهول ذو جفاء وغلظة
ولكنه غر كثير ذهول

ولم تخل أشعارهم من مخاطبة الرسم والطلل على غرار الجاهليين.. ومن روائع هذه المخاطبة ما يقوله الشاعر شويعر البوحسني، وهو لقب غلب عليه، كما هو من قبيلة أبناء أبي فال:

أمن ذكر سلمى أن عرفت لها رسما
كما رجعت حسناء في المعصم الوشما
فرجت دموعًا بالدماء صبابة
وأغرى بك الذكار أزمانها الهما
بلاد بها أسماء كانت مقيمة
وكانت نواحيها مجالسنا فهما
فما زلت أبكي في الديار وأنثني
كئيبًا وما لاقيت قد أوهن العظما

وكانت العواطف والأفكار والأخيلة التي

زخرت بها قصائد الشعراء تعبيرًا عن ثقافة عربية رصينة، مدعمة بالشعور بالانتماء إلى أمة استطاعت أن تصنع تاريخًا أدبيًا في الكم والنوع، قصرت عنه أمم كثيرة، ويمتد إلى أكثر من ألفي عام من الزمان، متمثلًا في حملها رسالات السماء ونشر العدالة والدعوة إلى التوحيد وإعمال الفكر، والنظر إلى ظواهر الكون والتأمل فيها؛ من أجل إثراء العقل وتحريك الوعي الذاتي.. ويتضح ذلك في دعوة القرآن العظيم للإنسان والبشرية جمعاء للتأمل والتفكير: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾.

ويظهر تأثير الكتاب والسنة على قصائد غالبية الشعراء، ويصف الشاعر المصطفى بن عبدالله الأمة العربية وحملها الإسلام بأجمل وأعذب الألفاظ:

الناس تفخر بالأحساب والنسب
والدهر يأبى سوى التنويه بالعرب
يا أمة للعلى هبت وما قصرت
عن درك قمته في أشرف الرتب
العدل والحلم كانا في شمائلها
لذلك اختارها المولى لذا السبب

ويدعو الشاعر محمد الحنشي إلى التمسك باللغة العربية والحفاظ عليها لأنها لغة القرآن والوحدة:

حار البليغ وهانت الأقلام
لغة الهدى تنبو بها الأيام
من بعد ما كان الرسول دعا بها
وتنزل القرآن والأحكام
لغة العروبة عزها وقوامها
مهما يكن للآخرين قوام
الوحدة الكبرى طموح نفوسنا
والمقصد المنشود والإلهام

لقد زخرت موريتانيا بالأقلام الشعرية، وكفاها فخرًا أنها بلد المليون شاعر وموطن الفصاحة، والاعتداد بالتراث العربي والإسلامي، وتسطر هذه المآثر في بطون الكتب لتكون زادًا لأبناء الأمة.. فالشاعر الخليل بن محمد بن النحوي كاتب يتميز بالهدوء والحياء، ومتبحر في علوم الدين، احتل مناصب عديدة في بلده، وهو أحد المؤسسين لرابطة الآداب والفنون الموريتانية.

إنه يقف صامدًا في وجه الأعداء الذين يريدون النيل من وطنه، وتأتي قصيدته الوطنية شامخة لتسكن في ذرى القمم بقوله:

تفتقي بالجبال السود خضراء
وامرعي فالرياض السمر غناء
اليوم يعرفني من كان يجهلني
لا العين عميا ولا الآذان صماء
تقدمي يا حشود المجد والتحمي
فالفجر في أفقنا المخضر وضاء

والشاعر محمدي بن القاضي من الشعراء الشباب الذين يتمسكون بصناعة الشعر القديمة، وهو مشبع بالروح الوطنية، وصحفي ناجح في عمله، وكان يدعو إلى الألفة والمحبة والإخاء بين أفراد الشعب، والدعوة بأعلى صوته مطالبًا بالوحدة ونبذ التفرق وتحرير ما اغتصب من أرض العرب يقول:

عرفت وجهك حاشى لست أنساك
بغداد ما أنا إلا من ضحاياك
فيك انتشقت عبيرًا من أصالتنا
هنا قرأت كتابًا من سجاياك
أهواك في القدس في أحضان قرطبة
ألقى الحضارة شمًا في ثناياك

أما الشاعر أحمد ولد عبدالقادر فهو شاعر ثائر، وصوت عال ينادي بالحرية، وهو الأمين العام لرابطة الأدباء الموريتانيين، اطلع على علوم الدين، وأبحر في كثير من أمهات الكتب العريقة، وله قصيدة «بذور الحياة» صورة جميلة للفرح:

موكب النور هل ترى من بعيد
وجهه مشتاقك الحزين العنيد
أنا طيف وهاجس عربي
لم يصافحك بعد موت الجدود
أنا شنقيط هل سمعت بوحي
من رمالي أو درة من عقودي
جئتك اليوم زائرًا وشعوري
باقة الفخر والوفا للعهود
موكبي خافقي وعزمي شراعي
ودليلي أصالتي وصمودي

والشاعر الشاب المتنور محمد محمود، له ملحمة شعرية تحمل عنوان «غضب الطلائع»، وتتضمن دعوة صريحة إلى وحدة كلمة العرب، وهو يذكّر المستمعين بمآثر الأجداد، ومواقفهم السامية النبيلة نحو بناء الوطن الكبير.

مأساة يعرب أم طغاة أو عباء
جعلوا كرامة يعرب كبش الفداء
كم حرض الشعرا ونادوا يعربًا
يا للكرامة ثم لا يجدي النداء
أيام كان العرب في رهج الوغى
مثل الأسود بواسلًا يوم اللقاء
يا معشر الأحرار إن شبابنا
يرنو إليكم آملًا كل العطاء

الشاعر محمد المصطفى بن جدّ من الأرباء النابهين، وقد تلقى علومه على يد المشايخ وحفظ القرآن، وقرأ المعلقات وكثيرًا من الكتب، وتأثر بالشعر الأندلسي يقول:

وزهور نورها تحت النسيم
راقصات عرفها مسك صميم
نيرات الزهر كالطرف النخيل
تنثني تتباهى قد تميل
والبساتين تروى والهديل
من شفاه الورق أحلى سلسبيل

وله قصائد عدة يركب فيها الصعب، ويدعو إلى كلمة تلم شمل العرب، وهو متأكد أن أية أمة لا يمكن أن تخلد وتحقق أهدافها السامية إلا بالبذل والعطاء والتضحيات يقول:

أيها الشيب والشباب هلموا
لبناء الحياة هيا لتسموا
ثم نعلو على الصعاب جميعًا
فواريها في التراب هلموا
إن صعب الحياة در ثمين
دونه موج كالجبال خضم

ونذكر الشاعر إسماعيل ولد محمد، وهو شاب طموح بارز، على تلقيه العلم وحصوله على الشهادة التحق بالشركة الوطنية للصحافة وعمل فيها موظفًا، كما عمل مذيعًا في الإذاعة الموريتانية، ثم التحق فيما بعد بمدرسة الشرطة الوطنية، تأثر بالبوصيري وله قصائد في مدح الرسول ﷺ.

سلسلة الإعلام (٣-٤)

سلاح ذو حدين.. الاستثمار في الصحافة المطبوعة

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

تناولنا في الحلقة الأولى من هذه السلسلة واقع الإعلام العربي المطبوع في الألفية الثالثة وتحدياته، بينما رصدت الحلقة الثانية الدور الذي تمارسه الصحافة العربية في الوقت الحالي الذي صار الاعتماد فيه أكثر على «الميديا» الحديثة في الوصول إلى المعلومة والتفاعل معها، وأثر ذلك في الصحافة المطبوعة..

وهانحن في الحلقة الثالثة نتعرّض لوجه آخر وهو الاستثمار في الصحافة المطبوعة، وصناعة إعلام مختلف يعيد الصحيفة أو المجلة المطبوعة إلى يد القارئ.. فإلى التفاصيل..

«كثيرون لجأوا إلى الاستثمار في الإعلام المطبوع، بعد أن سادت لفترة طويلة تصورات بأن الإعلام الحكومي المطبوع يمثل وحده وجهات نظر الدولة وحكامها»..

بهذه الكلمات بدأ مدير مركز «أصوات» للدراسات الإعلامية، الإعلامي محمد ناصر، حديثه، موضحًا أن هذا الاعتقاد دفع إلى ظهور حاجة ملحة إلى وجود إعلام مستقل، فظهرت صحافة قالت على نفسها إنها «مستقلة»، لكنها ليست كذلك، إنما أصبحت صحافة خاصة لها تصورات معينة للواقع السياسي والاجتماعي من خلال المواقف والعلاقات مع مؤسسات الدولة، والمؤسسات الأخرى، ظهرت كتيار مضاد للصحافة الرسمية التي كانت تعبّر بشكل كامل عن الأنظمة الحكومية السائدة، فقبل ظهور ما يسمى بالصحافة الخاصة كانت الصحف القومية تؤيد الحكومات في كل قراراتها.

صحافة المواطن

وتابع ناصر: ظهور صحف رجال الأعمال، الذين لهم مصالح اقتصادية خاصة أسهم في تأثير نمط الملكية في السياسة التحريرية والمضمون المقدم، والدليل على ذلك أنه كان للصحف خطوط حمراء، فلا يمكن لأي صحيفة اختراق الحياة الشخصية، لكن الأمر اليوم أصبح عاديًا، فالمهم ألا تمس الصحيفة مصالح رجال الأعمال، وعلى سبيل المثال عندما حدثت أزمات بسبب الخصخصة وبيع شركات القطاع العام بمصر تحدّثت الصحف عن هذه الأزمات؛ لأن رجال الأعمال جزء أصيل من الاقتصاد الحر، وكانت الحكومة لها توجه رأسمالي.

وأعرب ناصر عن عدم إنكاره أن الصحافة الخاصة أسهمت في ظهور بعض الكتاب الجدد المثقفين، أصحاب الفكر والرؤية، وأسهمت أيضاً بدرجة كبيرة في توعية

الإعلامي محمد ناصر: صحافة رجال الأعمال استفادت من سلبيات الصحف الرسمية

الناس، حتى لو لم تكن هذه هي أحد أهدافها المعلنة، في ظل الصحف القومية التي لم تتحرر من قيودها القديمة.

وأكد ناصر أن غالبية الصحف الرسمية فقدت مصداقيتها لدى القارئ، وأنه على الرغم من انتشار الصحف الخاصة فإن الصحف الرسمية لم تتغير تغيرًا جذريًا حقيقيًا يلمسه الجمهور بين سطور صفحاتها، وسياساتها كما هي، وكل سلبيات الصحف الرسمية تصب في صالح الصحف الخاصة التي لابد أن تلقب بالمستقلة، لكن سياساتها فرضت عليها مصطلح «خاصة».

ثلاثة عناصر

بينما أوضح الناشر هشام قاسم، مؤسس جريدة «المصري اليوم»، التي تعد أول تجربة تأسيس لصحيفة مستقلة في مصر، أن بدايات الصحف الخاصة متواضعة نسبيًا، بظهور صحيفة مستقلة يومية، فوجود صحيفة مستقلة- بمعنى الكلمة يكون لها تصوّر تحريري جيد، وتكون قادرة على الوجود وسط الصحف العالمية- يتطلب ثلاثة عناصر رئيسية، أولها زيادة حجم الاستثمارات: بمعنى وجود شركات مساهمة حقيقية هي التي تصدر هذه الصحف، وليس مجرد أشخاص يديرون بفكرهم مؤسسات صحافية، ولا يجب أن يكون الصوت الأعلى هو صوت فرد يتحكم في كل كبيرة وصغيرة وفقًا لمصالحه الخاصة واعتبارات معينة، فهذا يتنافى مع حرية الصحافة ومبادئها وأخلاقياتها التي لابد أن تقوم عليها، فالمضمون المقدم لابد أن يكون خاليًا من أي اعتبارات ومصالح.

وتابع قاسم: العنصر الثاني هو وجود مزيد من التجارب لكثير من الصحف المستقلة؛ لأن المنافسة هي العامل الوحيد الذي يؤثر في المنتج ويبرز جودته، وهذا لا يعني المنافسة على مستوى الصحف القومية والحزبية فقط، بل على مستوى الصحف المستقلة ذاتها، فهذا من شأنه أن يزيد من حدة المنافسة، ويجعلها أكثر شراسة، وذلك لمصلحة الوطن وإرضاء شرائح كبيرة من الجمهور.

وعن العنصر الثالث قال: ويبقى التدريب هو أهم عنصر، وذلك يعني تدريب كوادر بشرية على قيم عديدة ومهارات كثيرة، فلابد أن ننمي لديهم قيم الولاء التام للصحيفة ولخدمة الشعب، ولا تؤثر فيهم أي مدخلات مهنية على محتوى ومضمون الرسالة المقدمة للجمهور، أيضًا تنمية المهارات لديهم بما يتوافق مع مستحدثات العصر.

سلاح ذو حدين

ورأى مؤسس صحيفة «المنتدى العربي» المستقلة، عادل دسوقي، أن الاستثمار في الصحف سلاح ذو حدين، أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، ففكرة وجود استثمار صحافي في البيئة الإعلامية يثريها، ويخلق روحًا تنافسية بين شتى أنماط التقسيمات الصحافية الموجودة سواء حزبية أو قومية، وهذا برز على سبيل المثال حينما ظهرت جريدة «المصري اليوم»، حيث تراجعت أرقام توزيع الأهرام وهي الصحيفة الرسمية الأولى في مصر، مما دفع الصحف القومية والحزبية وحتى الخاصة التي خلقت هذه الروح إلى بذل مجهود، وكسر الحاجز السلطوي إلى حد ما، حتى تضاهي متطلبات العصر مع وجود الجرائد الأخرى، معتبرًا ذلك الميزة أو «الحسنة» الوحيدة التي خلقها الاستثمار الصحافي.

واقترح أن تكون أولى خطوات الإصلاح الإعلامي الصحافي المطبوع الخاص هي الفصل التام بين التحرير والإدارة، حتى لا تتضارب المصالح، وأن تكون هناك رقابة عليها من قبل مؤسسات إعلامية من انتخاب أشخاص عاديين، فيكون هناك إشراف خارجي، يقيم الرسالة من منظور أخلاقي هادف، وأن يمارس الصحافيون عملهم وفقًا لمعايير احترافية ومهنية، ويقوموا بتقديم معلومة والقارئ يحكم، مطالبًا بألّا يكون المالك شخصًا واحدًا، بل أشخاصًا كثيرين، فلا يتحكم فرد في جريدة

مناصرة أم معارضة؟

في سلسلة «المئويات» وتحت عنوان «الصحافة وحريتها.. الفنون ووحدتها»، يوضح المفكر محمد مندور، في محاضرة ألقاها في فترة الخمسينيات بمعهد الصحافة تحت عنوان «الصحافة المؤيدة والمعارضة» أن الصحف في البلاد الديموقراطية ذات الأنظمة النقابية تنقسم عادة إلى مؤيدة ومعارضة؛ أي مناصرة للحكومة أو معارضة لها، والأخيرة هي ما تسمى بالصحف الخاصة أو الشعبية التي كثيرًا ما تلقى رواجًا لدى الجمهور، وإقبالًا أكثر من الصحف المؤيدة أو القومية، وذلك يرجع- من وجهة نظره- إلى خمسة أسباب سياسية ونفسية:

أولها أن الحكم يضيق برأي الأحزاب ويضعفها..

أما السبب الثاني فهو أن المعارضة تتحدث دائمًا عن مُثل عليا وأهداف خارقة، حتى إذا تحمّلت مسؤولية اصطدمت الآمال بالحقائق وقهرت القدرة على بلوغ مدى الأمل، وتستغل المعارضة هذه الحقيقة البديهية؛ لكي تكسب الشعب الذي يتغذى بالآمال.

ويأتي السبب الثالث بشكل نفسي، حيث إن القراء أحيانًا عن وعي أو عن غير وعي، عادة لا ترتاح نفوسهم إلى كثرة المديح في الغير، وذلك لأن المديح كثيرًا ما يجرح الكبرياء الشخصي، وربما كانت هذه الحقائق النفسية ما يفسر تعذر الناس من الصحف المؤيدة، خاصة إذا ذكرنا أن هذه الصحف تلعب دور الصديق الجاهل عندما يسرف في المديح والمبالغات، فيغير هذا الزبد التافه جوهر الفعل الخيّر الصالح- على حد قوله.

وعن السبب الرابع يقول: إن الناس تُقبل على صحف المعارضة والنقد بوعي منهم أو بغير وعي؛ لأنها تشبع غريزة متأصلة في النفوس، وهي غريزة التسامي، غير أن المعارضة قد تعترف للآخر بفضل، ولعل هذا الاعتراف يزيد من معارضتها قوة وتأثيرًا، وذلك لأن بمثل هذا المنهج النزيه تكسب ثقة القراء وخاصة القراء الذين لا ينتمون إلى حزبها.

وأخيرًا: إن القراء يعتقدون عادة أن الصحف المعارضة هي التي تنشر كل الحقائق والأخبار ولا تخاف شيئًا بينما يظنون أن الصحف المؤيدة كثيرًا ما تقتصر على نشر ما يشرف الحكومة أو يعزّز من مكانتها عند الجمهور، ويغفل أشياء أخرى.

مدرب التعليم والتفكير الإبداعي في جامعة الملك عبدالعزيز

د. عبدالله الحسني لـ «الوعي الإسلامي»:

أطمح في تدريب معلمي القرآن بالعالم الإسلامي

للحلقة القرآنية قواعد وأسس يجب أن تتبع

حوار: حسنى السيد

الدكتور عبدالله بن سعيد الحسني من أبرز المدربين السعوديين المحترفين في برامج التفكير وحل المشكلات بطرق إبداعية.. في زيارته إلى الكويت بدعوة كريمة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التقته مجلة «الوعي الإسلامي» وحاورته أثناء لقائه مع رئيس التحرير، ظهر الأربعاء ٢٧ يونيو الماضي.. تناول الحوار عددًا من القضايا التي تهم كل حافظ أو ساع لحفظ القرآن الكريم، من كيفية نقل المحفوظ من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة، والأسس التي ينبغي أن تقام عليها الحلقات القرآنية، مرورًا بالمشروعات التربوية الخاصة بأبنائنا في الإجازة الصيفية، وإن كان الدكتور الحسني قد قدم إجابات مختصرة إلا إنها دقيقة وشافية وتكشف للقارئ المسلم عن عالَم طالما احتجنا لمن يحدثنا عن خصائصه.. وإلى تفاصيل الحوار:

• لك باع طويل في مجال تدريب العاملين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، كيف تشكلت لك هذه الخبرة؟

– بفضل من الله تعالى تشكلت هذه الخبرة من خلال عملي في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالطائف مدة تزيد على ٢٢ سنة في متابعة وإدارة الحلقات القرآنية.

• ماذا أضاف لك جمعك بين التدريب في مجال الحلقات القرآنية والتدريب في تعليم التفكير؟

– أضاف لي الكثير من خلال توظيف بعض إستراتيجيات التفكير، فمثلا من خلال تركيزي في هذه الدورة على أهمية مراجعة حفظ القرآن باعتباره أهم عمل يجب التركيز عليه، أبين كيفية نقل المحفوظ من الذاكرة المؤقتة إلى الذاكرة الدائمة بالتكرار لأن حفظ آيات ما في الحقيقة يبدأ بعد تسميع الطالب الحفظ الجديد بامتياز.

• من خلال حضوري للدورة رأيت إبداعكم في التدريب الموجه لمعلمي ومعلمات التحفيظ، فما أهمية هذه الدورة لمن يعمل في التحفيظ من غير المعلمين والمعلمات؟

– هذه الدورة موجهة للمعلمين والمعلمات وكذلك المشرف التعليمي أو الفني بالدرجة الأولى، وفي رأيي حضور كل من له اهتمام بهذا المجال ضروري من حيث معرفة كيف تدار هذه الحلقات وكيف يمكن حل المشكلات عند وجود ضعف في جانب منها.

• كيف ترى مستوى حلقات تحفيظ القرآن في الكويت؟

– لا أستطيع أن أعطي رأيي في هذا الموضوع بحكم أنني لم أقم بزيارتها، وليس لي علم بالمستوى العام فيها.

• الجيل الحالي جيل لم يعد كالسابق يتلقى معلوماته من المعلم والوالدين فقط، برأيك كيف يمكن توجيه النشء توجيهًا تربويًا وفق المنهج القويم؟

– نحن لا نقلل من أهمية قيام المعلمين أو الوالدين بدورهم الفاعل في غرس القيم الجيدة لدى الأبناء أو بناء وتعديل السلوك، فكلاهما له دور فاعل ومهم

الإجازات فرصة لمشروعات تربوية في المدارس والجامعات

في هذا الأمر.

ولابد أن يصاحب ذلك مشاريع تربوية جيدة في المدارس والجامعات بما يتوافق مع ديننا الحنيف وقيمنا الإسلامية، خاصة في أوقات فراغ الشباب كالإجازات الصيفية أو غيرها وبما يعود عليهم بالنفع والفائدة.

وقد أثلج صدري ما رأيته في الكويت من وجود مؤسسات واعية تعمل برقي ورؤية إسلامية سليمة تقوم بدور فاعل تجاه الشباب.

• بناء على زيارتك لبعض الدول العربية، برأيك ما مدى الاهتمام بحلقات التحفيظ في الآونة الأخيرة؟

– الحمد لله، الوضع العام جيد وهناك اهتمام واجتهاد واضحان في كل الدول العربية في مجال تعليم القرآن الكريم وهناك رغبة متزايدة من الناس في تعلم القرآن الكريم وحفظه، وهذا أمر يبشر بخير.

• هل كل هذه المؤسسات لديها الخبرة الكافية في إدارة هذه الحلقات؟

– لدى الكثير منها ولله الحمد الخبرة الجيدة في إدارة الحلقات وشؤونها، وتبادل الخبرات بين هذه المؤسسات واجب للتطوير والتجديد وإصلاح الخلل.

• ذكرت في الدورة أن الحلقة القرآنية تعتبر منظومة متكاملة، هل يمكن اختصار هذا الموضوع بما يفيد القارئ الكريم؟

– الحلقة القرآنية مثلها مثل أي عمل متكامل، لها قواعد وأسس يجب أن تقوم عليها، منها:

١– اختيار الإدارة والإشراف الجيدين.

٢– اختيار المكان المناسب.

٣– اختيار المعلم الكفء.

٤– إجادة المعلم للمهارات والمقومات الصحيحة في الأداء والحفظ والمراجعة والتجويد.

٥– وجود نظام اختبارات حازم يقوم ويعزز الحفظ والمراجعة.

• ما طموح الدكتور عبدالله الحسني؟

– طموحي بالنسبة لهذه الدورة هو أن أدرب بها جميع المعلمين والمعلمات والمشرفين والمشرفات في العالم الإسلامي لتقوم هذه الحلقات على أسس صحيحة وقوية.

الدكتور الحسني في سطور:

– دكتوراه في علم النفس.

– مدرب معتمد من مركز ديبونو لتعليم التفكير في الطائف وجنوب المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية، مفوض بمنح شهادة المدرب المعتمد وإعداد المدربين في برامج التفكير «تريز لتنمية الإبداع وحل المشكلات بطرق إبداعية، وبرنامج الكورت لتعليم التفكير، والقبعات الست، والذكاءات المتعددة، وبرنامج اسكامبر لتنمية الإبداع، وبناء وتعديل القيم والسلوك، والتفكير الناقد، والتفكير العلمي، والمستشار الأسري».

– مدرب أول ومدرب مدربين من الأكاديمية الدولية للتدريب والاستشارات.

– مدرب محترف معتمد من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

– مدرب محترف معتمد من البورد العربي للتدريب والتنمية والاستشارات.

– مدرب محترف معتمد من المركز العالمي الكندي PCT.

– مدرب محترف معتمد في إستراتيجيات التفكير الإبداعي TRIZ من فلري سوخوف مؤسس جمعية تريز في أوروبا.

– مدرب محترف معتمد من مركز LIL في الولايات المتحدة الأميركية.

– مدرب ممارس للكورت من بيتر ديبونو المشرف على مركز ديبونو في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

– ممارس في التعلم السريع من مركز التعلم السريع بأميركا.

كيف نربي أبناءنا على البحث العلمي والابتكار؟

محمد مسعد ياقوت - عضو الإتحاد العالمي للعلماء المسلمين

من الآن ينبغي على الأسرة أن تهتم بتنشئة أبنائها على حب البحث العلمي والابتكار؛ وذلك لأن التطورات التقنية المتلاحقة باتت لا تسع إلا كل ذي فكر وبحث وإبداع، إضافة إلى الفجوة المتزايدة بين مستوى خريجي الجامعات ومتطلبات سوق العمل.. فالخريج في واد وسوق العمل في واد آخر، وتنشئة الأبناء على البحثَ العلمي والابتكار سيستفيدُ منها الطالب بشكل أو بآخر إذا أردناه أن يكون مواطنًا نافعًا لنفسه ودينه ووطنه.

لكن الأسرة العربية لا تهتم بهذه التنشئة في واقع الأمر، وذلك لأسباب كثيرة أهمها:

١- غياب الثقافة التربوية والنفسية لدى الآباء والأمهات، وعدم وجود برامج كافية من الحكومات ومنظمات المجتمع المدني تستهدف تثقيف الأسر تربويًا ونفسيًا.

٢- الظروف الاقتصادية المتردية للأسر في أغلب الدول العربية، والانشغال بالكَدّ، وجمع المال الذي يُشبع البطون بالكاد، الأمر الذي يجعل الأسرة في حياة كالموت الرتيب.

والمجتمع العربي عمومًا- مع الأسف الشديد- لا يهتم بنشر ثقافة البحث العلمي والابتكار، سواء على مستوى الحكومات أو الشعوب، لاسيما في وسائل الإعلام التي تبالغ في نشر المواد الترفيهية غير الهادفة، إضافة إلى الكم الهائل الذي تنشره من الترهات والفن الرخيص والسينما القائمة على نشر الرذيلة!

والمجتمعات العربية إذا اهتمت بشيء من البحث فإنها تُقدم العلوم الإنسانية على البحث التقني العملي، فالعلوم الإنسانية مادة خصبة للأفكار والمذاهب والفلسفات العتيقة التي لا ينبني عليها كثير عمل، بينما العلوم التقنية والتقدم الصناعي والزراعي أمرٌ يُزعج أعداء الأمة، ومطلوب من الأمة أن تركع في هذه الميادين، وأن تكون تابعة مقلدة مستهلكة.. وهذا- دون شكّ- بسبب الفساد السياسي والإداري الذي تعاني منه الأنظمة العربية في مجملها، وغياب الرؤية الإصلاحية لدى صانعي القرار.

وإذا أردنا أن نقف على أهمية تنشئة الأبناء على البحث العلمي والابتكار.. فعلينا أن نراجع النماذج التاريخية من أكابر العلماء والأعلام الذين نهضوا بأممهم، وننظر كيف نشأوا، فالأئمة الأربعة مثلًا جميعهم نشأ في أسرة مشجعة على العلم، ومجتمع تسوده روح التنافسية في تحصيل المعارف، وقد رأينا كيف كان الإمام الشافعي في طفولته يروح ويغدو على الإمام مالك، وكيف كان يشجعه في طفولته، وقد تنبه الإمام مالك إلى نبوغ الشافعي منذ طفولته. وابن سينا- وهو طبيب مسلم من بخارى- مذ أن كان طفلاً وهو يحضر مجالس أبيه العلمية، وغير ذلك نماذج كثيرة تؤكد حقيقة النشأة العلمية التي تخرّج فيها العلماء الأفذاذ، مما لا يدع مجالاً للشك في أهمية دور الأسرة في هذا الصدد.

ويجب على الأسر والمدارس أن تُعنى بالطلاب الموهوبين، وأن تقدم لهم الدعم الكافي معنويًا وماديًا، بحيث ينشأ الطفل الموهوب في بيئة معززة لقدراته، داعمة لمهاراته، مشجّعة لمواهبه، ومن ثم يتم توجيه هذه المواهب منذ الطفولة التوجيه السليم السديد.

ومن ضمن العلامات التي تظهر على هؤلاء الطلاب، ونستطيع على أثرها التنبه لهم كمشاريع جيدة لعلماء ومبدعين:

١. حب الاستطلاع والاكتشاف.
٢. عدم رضائه بالإجابة البسيطة.
٣. قوة ملاحظاته وقدرته على التمييز بين الأشياء والقرائن.
٤. إنتاج الأفكار المتدفقة.
٥. طرح الحلول غير التقليدية.
٦. خيال خصب واسع.

وحتى ينشأ أولادنا نشأة علمية، ينبغي أن نغرس في وجدانهم «الأمانة العلمية»، وأن يتعلموا منذ نعومة أظفارهم أمانة النقل، ودقة التوثيق، وعزو المقولة لقائلها، وأن يستكتب الوالدُ ولده في موضوع يسير، كموضوعات التعبير، فيجرّبه ويدربه، ويناقشه.. من أين أتى بهذه العبارة؟ ومَن قائلُ هذه الجملة؟ وكيف تنقل من كتاب؟ وكيف توثّق في الهامش؟ وهكذا، وتلك المهارات العلمية البسيطة تسع جميع طلاب المراحل التعليمية.

وينبغي على الآباء والمعلمين أن يمارسوا أساليب تعليمية كافية في غرس قيم البحث العلمي والابتكار في نفوس الأبناء والطلاب، وذلك من خلال تفعيل الأنشطة المصاحبة للعملية التعليمية، وأقرب مثال نضربه على ذلك، حينما يخرج الوالد أو المعلم في رحلة خارجية مع الطلاب لزيارة بعض المعالم الأثرية، يستطيع أن يكتشف في هذه الزيارة الميدانية بعض الجوانب الإبداعية عند طلابه من خلال أسئلتهم، وحينما تنقضي الرحلةُ حبذا لو كُلف الطلاب بكتابة تقرير عما رأوه من معالم، وأن يسطّروا بأناملهم انطباعاتهم عن هذه الرحلة بكل حرية، ويسألوا عما عاينوه من سلبيات، وما لمسوه من إيجابيات، وما يرونه من مقترحات.

انظر كيف صارت الرحلةُ الميدانية بابًا من أبواب تنمية الابتكارية، وغرس قيم البحث العلمي عند الطلاب، إضافة إلى اكتشاف الطالب الموهوب.

وهكذا تكون سياسة الوالد والمعلم في التعامل مع الطلبة، فهو بين الفينة والأخرى يدفعهم نحو زيارة ميدانية، أو رحلة استكشافية، أو مباراة رياضية، أو نشاط من أنشطة الجوالة، أو عقد ورشة نقاشية، أو يشرف على مؤتمر يُقيمونه بأنفسهم، ويكتشف في ثنايا هذه الفعاليات الباحث والرسّام والأديب، ويعرف من يميل إلى الطب، ومن يميل إلى الهندسة، ومن يميل إلى الأدب.. كل هذا في جو من الشورى والنقاش الحُر الذي يعزز القدرات الذهنية لدى الأبناء.

ثم يأتي اليوم الذي يصطحب فيه الوالد ولده، والمعلم تلميذه إلى مركز من مراكز البحوث، ويتعلم الطالب عمليًا كيف يبحث عن كتاب، وكيف يفحص عينة، وكيف يتّبع مرجعًا حتى يصل إلى منشأه، وكيف يُعد استطلاعا، وكيف يزور عالمًا أو متخصصًا زيارة علمية مفيدة.

أمي تعاملني بقسوة!

خالد الحارثي - باحث سعودي

القسوة تبدأ بتخلي الأم عن دورها الطبيعي في العطاء والرعاية والرحمة لأبنائها وبناتها، كأن تكون مفرطة الأنانية أو مفرطة القسوة أو تتنكر لواجبها وتهتم فقط بشؤونها الشخصية، ويمكن أن تكون هناك أسباب أخرى تحطم العلاقة الأمومية السليمة بالأبناء والبنات، كما أن بعض الأمراض العقلية قد تكون سببًا في سوء العلاقات الحميمة، بسبب اضطراب التفكير وظهور الهذيانات المتعددة والشكوك، ما لم تعالج مثل هذه الحالات بشكل صحيح.

أما من جهة البنت فإن الأسباب التي تجعلها تعتبر أمها عدوة لها يمكن أن تكون أسبابًا مشابهة لاضطراب الأم من حيث اضطراب شخصية البنت وضعف الالتزام الخلقي والديني والتربوي وأيضًا الاضطرابات العقلية والشك المرضي وغير ذلك.

والعلاقات الحميمة بين أقرب المقربين ليست حبًا خاصًا.. وينطبق ذلك على العلاقة بين الأبناء وأمهاتهم وآبائهم، وأيضًا بين الأبناء والبنات أنفسهم، وذلك لأن أي علاقة إنسانية طبيعية تكمن فيها جوانب من الإحباط إضافة إلى الإشباع، والإحباط يولد المشاعر السلبية والكره، وتتدرج هذه المشاعر السلبية في شدتها ونوعيتها، فمنها الانزعاج العادي والغضب والسباب، وتصل في شدتها إلى العداوة الواضحة والبغضاء وإلى الإيذاء والقتل في أحيان أخرى نادرة.

وهذه المشاعر السلبية لا يمكن التعبير عنها بشكل واضح وصريح في كثير من الأحيان بسبب الشعور بالذنب والخوف، ويؤدي كتمان هذه المشاعر والخوف منها وعدم تقبلها- على أنها جزء طبيعي من حياة البشر- يؤدي إلى التعبيرات الملتوية والمتعددة المظاهر عن هذه المشاعر، كما يؤدي إلى القلق الغامض أو الرغبة الشديدة في التنافس والحسد، أو إلى أعراض مرضية جسدية، وتؤدي أيضًا إلى إزعاج الأبوين بشكل غير مباشر كأن تؤجل تنفيذ طلباتهم أو تنسى أو غير ذلك من مظاهر كبت المشاعر السلبية العدوانية.

ولابد للأبناء من تقبل هذه المشاعر دون الشعور المبالغ فيه بالذنب كي لا تنفلت هذه المشاعر المزعجة أو تتضخم دون ضبط أو فهم أو تقبل، وبعض الأشخاص تظهر في أحلامهم المزعجة أو في الكوابيس المتكررة صور ورموز تعبر عن غضبهم وانزعاجهم من الأم أو الأب أو الإخوة المنافسين لهم، وهم يتألمون من ذلك ويتنصلون من مشاعرهم ويعزونها إلى الجن أو الشياطين أو إلى اقتراب الجنون، ولا يمكنهم أن يتقبلوا أنفسهم وأن يتفهموا مشاعرهم الداخلية السلبية وإحباطاتهم من أقرب الناس إليهم وما ينتج عنها من مشاعر سلبية مؤلمة.

وتنتشر حالة البنت التي تحس بمشاعر سلبية تجاه أمها ولاسيما في مرحلة المراهقة، وتبدأ بوادر ذلك منذ الطفولة، وتزداد مع التقدم في العمر وممارسة البنت لأدوارها الزوجية والأمومية.

وترجع هذه المشاعر السلبية إلى تنافس البنت مع أمها، فهي تقلدها وتأخذ أدوارها في أعمال المنزل والمظهر والثياب منذ الطفولة، ومن المعروف أن الأم أيضًا تنافس ابنتها وتحاول السيطرة عليها بشكل أو بآخر، وكل ذلك من الأمور العادية التي يمكن تفهمها وتقبلها مع الانتباه إلى عدم التطرف والمبالغة في عملية التنافس هذه، وفي بعض الحالات تتغير الصورة عادة بأن تطغى المشاعر الإيجابية وتخف تدريجيًا حدة المشاعر السلبية ومظاهرها المتعددة.

وتتدخل الظروف أو الحاجات الشخصية غير المشبعة فتزداد المشاعر السلبية العدائية والتنافسية إلى درجة تسبب المشكلات ولاسيما في مرحلة المراهقة، ولابد من تخفيف هذه المشاعر من خلال تفهمها وتعديلها بجرعات من الحب والعطاء والرعاية من قبل الأم، فالمراهقة تتميز بالتمرد والتقلبات الفكرية والعاطفية والتجارب المتعددة في مختلف المجالات، وربما يكون قليل من التمرد لا بأس به، ما لم يكن تطرفًا أو تصرفات شاذة وغريبة.

وعادة يتغلب الجانب الإيجابي في العلاقة بين الآباء والأبناء والبنات والأمهات، ويتمثل الجيل الجديد القيم والصفات الإيجابية التي يحملها الأهل، وإلا فإن عددًا من العقد النفسية والاضطرابات السلوكية والشخصية والصراعات تنتج عن ذلك، وربما يحتاج الأمر إلى المساعدة النفسية والتربوية للتخفيف من حدة تلك المشكلات عند ظهورها.

أي علاقة إنسانية طبيعية تكمن فيها جوانب من الإحباط إضافة إلى الإشباع

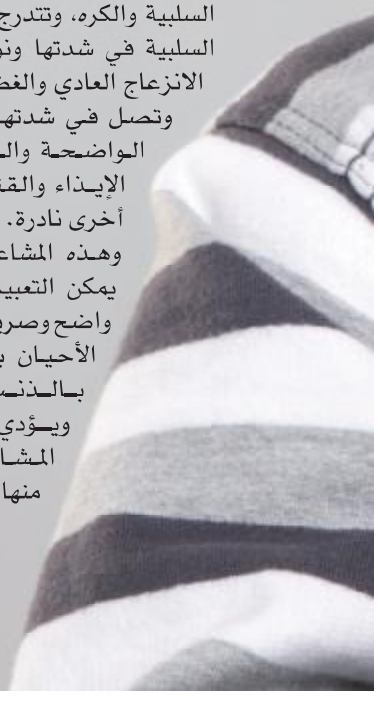

أهمية سرد القصة للأطفال

د.آندي حجازي - أستاذة جامعيّة أردنيّة

القصة هي حكاية تقوم على الأحداث والصراع والعقدة والحل والشخوص والزمان والمكان بهدف الإمتاع والتسلية والتعليم وتوسيع المدارك، وتعتبر القصة وسيلةً مهمةً من وسائل التعلم والتعليم وإيصال المعلومات والسلوكيات والقيم المرغوب بها، فهي عبارة عن منظومة مركبة من شخصيات وأحداث وحبكة وحلول تجذب انتباه المستمعين، ولذلك تتطلب القصة مهارةً في سردها فهي عمل فنيّ واتصاليّ ومهاريّ وتعلميّ يحتاج إلى جهد وفن.. ولقد كانت القصة وعلى مرّ الزمن محط اهتمام الأطفال والبالغين على حدٍّ سواء، ووسيلةً لتناقل المعلومات والأحداث التاريخية؛ فمثلًا برزت في أزمان كثيرة شخصية الحكواتي الذي كان يجتمع أهل الحي أو القرية من حوله للاستماع إلى قصصه وحكاياته ذات الحبكات المتقنة، والحلول الوفيرة، والنهايات المتعددة.. فقد كانت الحكايات والقصص آنذاك وسيلة لنقل أخبار البطولات والفتوحات والعلماء والشعراء والمبدعين السابقين.. بالإضافة إلى القصص الخيالية، ولذلك كان الحكواتي

يمتهنها كمهنة أحيانًا لما تحتاجه من جهد في التأليف، ومن أسلوب يستطيع نقلَ المستمع إلى العالم الذي يريد، بحيث يُعْمِل المستمع في خياله وفكره وإبداعه الخاص لتصور الأحداث والشخصيات.

ولكن هذه الشخصية (الحكواتي) اختفت او انقرضت كظاهرة في عصرنا الحديث، لأنه استعيض عنها بالوسائل الحديثة كالتلفزيون والراديو والانترنت والصحف والمجلات، فما الأفلام والمسلسلات التي تعرض في التلفاز إلا قصص تتوافر بها الأحداث والشخصيات والعُقَد والحلول، وبميزة أنها مصوّرة وترتكز على حاستيّ السمع والبصر معًا، ولكن مع تقليل توظيف الخيال للمستمع كما كان في السابق.

وتبقى القصة.. وعلى مَرّ الزمن عنصر جذب واهتمام كبير للصغار والكبار على حدّ سواءً، ومادةً قيّمة لنقل الأفكار والقيم، وتسليةً للنفوس مع تحقيق الأهداف المبتغاة، ولذلك نجد أن الله تعالى وهو العالمُ بطبيعة النفس البشرية من انجذابها للأسلوب القصصي في التعليم، ومن شغفها لكشف الأحداث والغموض، ولحبها للاستماع والتعلم: قد استخدم الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وبطرقٍ شتّى، وقد قال تعالى:﴿نحن نقصُّ عليك أحسنَ القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ (يوسف:٣)، وأرى أن أسلوب القصة قد جاء في القرآن الكريم بثلاث طرق رئيسة وهي:

سرد القصة كاملة، وكأنها عرض لسيرة ذاتية منذ الصغر وحتى الكبر في سورة واحدة بتفاصيل مهمة موضحة للأمور مما يجعل القارئ يعيش أحداث القصة كما في قصة يوسف عليه السلام، فقد أوردها الله تعالى مفصلةً بطريقة مشوقة جدًا لدرجة أنك لا تمل منها مهما قرأتها مرارًا وتكرارًا، فتنجذب إليها لما تجد بها من عناصر القصة المحكمة، وتستخلص منها العبر والحكم والفوائد

العظيمة؛ كالصبر والتسامح وتحمل الألم والمرفعة، وفضل الله وكرمه، وأخذ الحذر لتجنب الحسد والغيرة، وشكر الله على نعمه.

سرد عدة قصص مكتملة في سورة واحدة وبشكل غير تفصيلي ولكن مؤدٍّ للهدف، بتضمنها الشخصيات والأحداث والحبكة والنهاية كما في سورة الكهف، والتي بدأها الله تعالى بقصة أهل الكهف، ثم قصة أصحاب الجنتين، فقصة الخضر مع موسى عليه السلام، وانتهاءً بقصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج، مع اتضاح العبرة والحكمة في كل قصة.

عرض قصص متفرقة في أكثر من سورة للشخصية ذاتها، كما في قصص الأنبياء موسى وإبراهيم وصالح ونوح عليهم السلام.. بحيث يتضح في كل مرة جانب من جوانب القصة الرئيسية والسيرة الذاتية للنبي والهدف من رواية القصة.

فسرد القصص من الأساليب المشوقة والهامة لتعليم الأطفال والكبار، سواء أكانت القصص من تأليف من يرويها، أو ممّا ورد عبر الزمن لأخذ العبرة والفائدة، فالقصة لها أهمية كبيرة في حياة الطفل وتعلمه وتنمية شخصيته؛ لما يمكن أن يتعلم من خلالها عن العالم الحالي والسابق والتاريخ وما حدث به، ولذا نرى أن هناك جهتين عليهما الاهتمام بسرد القصص للأطفال وهما:

أولاً: المعلمون والمربون في المدرسة

تعتبر القصة وسيلةً رائعةً لجذب الانتباه لما يريد المعلم قوله أو إيصاله للأطفال وحتى المراهقين، وذلك في جميع المواد الدراسية، وأذكر أنني عندما كنت أمارس مهنة التعليم في المدرسة عندما أبدأ بسرد قصة سواءً للأطفال أو المراهقين فإنّ الطلبة ينجذبون بحواسهم وأعينهم، وتصبح آذانهم صاغية، ويتركون ما هم منشغلين به بأيديهم، وتتفتح عقولهم طلبًا لسماع القصة، والعقدة التي بها وصولًا إلى نهايتها، فكنت أجد القصة وسيلةً رائعةً لتحقيق أهداف الدرس وقيمه التربوية المراد التأكيد عليها كالصدق والأمانة، ومساعدة الآخرين، ورضا الله تعالى، ورضا الوالدين، والشجاعة، واستغلال الوقت..

ولكن على المعلم أو المعلمة مراعاة العمر أو المرحلة العمرية للطلبة، واختيار القصة المناسبة لهم والأسلوب المناسب لسرد القصة، فمثلاً يمكن مع طلبة رياض الأطفال استخدام العرائس والدمى لعرض القصص.. والأطفال الصغار يحبون قصص الحيوانات والطيور والطبيعة والأطفال لارتباطهم بالمحسوس أكثر من المجرد، أما في مرحلة المراهقة فإنهم يفضلون قصص المغامرات والبطولات والغموض، ويحبون استخدام أسلوب التمثيل والمسرح في التعليم؛ فما المسرح المدرسي وتمثيل المسرحيات إلا نوع من أنواع القصص التي تكون مثيرةً جدًا لانتباه الطلبة، ويشعرون من خلالها أنهم عنصر فاعل في التعلم والتذكر، كما يمكن أحيانا توفير الفرص للطلبة بتأليف القصص وسرد بعضها على زملائهم بأسلوبهم فهي أيضا مهمة لتعليم الطلبة.

وعلينا إدراك أنّ القصص لا تُنمي فقط الجانب المعرفي واللغوي للطالب

من خلال تنمية معلوماته ومعارفه ومفرداته وتراكيبه اللغوية وقدراته الكتابية والتأليفية، بل وتنمي الجانب الاجتماعي والانفعالي، والجانب الأخلاقي والحس الوطني والديني من خلال غرس المفاهيم الأخلاقية والتربوية والمفاهيم الإيجابية، مما يُسهم في بناء شخصية متكاملة متوازنة للطفل، فلا يجب إغفال هذا الأسلوب في التعليم لأنه جدّ مشوق ومثمر، خاصةً وأنّ القصة لاتُنسى وتَترك أثرًا طويل المدى في النفس، فمن منّا لا يذكر قصةً سمعها من أحد معلميه في السابق؟ فالقصة أسلوب ينطبع في الذاكرة.

ثانيًا: الأمهات والآباء في البيت

لا يجدر بالوالدين الغفلة عن أهمية سرد القصص للأطفال وخاصة الصغار منهم، بل ويجب تعويدهم على سردها لهم يوميًا قبل النوم، لما لها من متعة وسعادة وأثر في نفس الطفل بل ويتخيل نفسه بطلاً فيها أحيانًا، ويمكن للأم أو الأب تقديم الكثير من القيم والسلوكات المرغوب بها أو المراد التخلي عنها وتعديلها؛ من خلال عرض قصص لأطفال كانوا يمارسون تلك السلوكاتٍ وماذا حل بهم أو كيف غيّروها.. فالقصة أسلوب غير مباشر لتغيير السلوك وتشجيع الطفل على نبذ السلوك السيء وإتيان السلوك الحسن؛ كنبذ الكذب والغش والسرقة، والتشجيع على الصدق والإخلاص... فالقصة مهمة لشخصية الطفل العقلية والروحية والسلوكية والأخلاقية والانفعالية، فهي تُعرفه الصحيح من الخطأ، وإذا كان الطفل يعاني من مشكلة سلوكية معينة، فالقصة أسلوب مثالي لتقويمها، بالإضافة إلى أن القصة تستثير اهتمامات الطفل بالمعلومات التي تحويها كالجبال والأنهار والينابيع والغابات والصحابة.. وهي تنمي حصيلته اللغوية، ومفرداته، وتزيد من قدرته في السيطرة على اللغة والنطق للكلمات، وتنمي معرفته بالماضي والحاضر، وتوسع من مخيّلة الطفل ومداركه.

وقصص الوالدين يمكن أن تكون خياليةً أو واقعيةً، من تأليفهم أو مكتوبة أو مصورة، باللغة العربية أو الإنجليزية، ويجب أن تكون هادفة وبمستوى الطفل العقلي والزمني، وبلغة سهلة وواضحة، وجذابة ومرحة مع مُراعاةً التنغيم فَي الصوتَ ورفعهً وخفضه بحسب الموقف وشخصيات القصة، وأن تراعي القصة ميول الطفل واهتماماته، ومن أجمل أساليب سرد القصة، جعل الطفل ذاته الذي تُسرد له القصة هو بطل القصة نفسها فهذا الأسلوب له أثر كبير جدًا في نفس الطفل وتعلمه وتحسّن سلوكاته وأفعاله، بالإضافة إلى تحسين قدرته على حل المشكلات.

وقد يسأل الوالدين متى أبدأ سرد القصص لأبنائي أي في أي عمر؟ وماذا أسرد لأطفالي فأنا لا أتقن تأليف القصص؟ بإمكان الوالدين سرد القصص للأبناء من عمر الثلاث سنوات أو أربع مع تبسيط الكلمات واستخدام بعض الصور ويمكن الاستمرار في سرد القصص لعمر ١٥ عامًا على الأقل، فحتى الكبار يحبّون سماع القصص إن كانت بأسلوب مشوّق ويناسب عمرهم الزمني وقدراتهم العقلية، وبالحقيقة توجد الكثير من القصص لسردها، فمن الجميل سرد قصص الأنبياء وقصص القرآن الكريم، وقصص من سيرة رسول الله محمد ﷺ للتعلم من حياته وبطولاته وأخلاقه، وأيضًا سرد قصص الفتوحات أو أبطال وفرسان الإسلام، وقصص العظماء والمخترعين والعلماء وخاصةً من تاريخنا الإسلامي العظيم، وهناك القصص الشعبية، وقصص المغامرة، وقصص الفكاهة، والقصص العالمية.. وجاء في بعض الإحصاءات إن ٧٥٪ من الأمهات كنّ في الماضي يسردن القصص لأولادهن، وأما اليوم فتصل النسبة إلى ١٥٪ فقط لانشغالهن داخل البيت وخارجه، ومهما تعددت الأسباب وتنوعت لابد من الانتباه والالتفات للأطفال وإعطائهم مساحةً وقتية كافية من الاهتمام وبناء الشخصية وتعديل السلوكات، فعليك أيتها الأم وأيها الأب تخصيص جزء من وقتك ولو خمس أو عشر دقائقً من أجل سرد القصص لأبنائك وسترى أثرها ومفعولها السحري في النفوس، فالقصة فكرة وعبرة وتعلم وإبداع وتغيير في الأفكار والسلوكات.

الشيخ عمر سليمان الأشقر في ذمة الله

التحرير

فقدت الأمة الإسلامية أحد علمائها البارزين الشيخ د.عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر (١٩٤٠م- ١٠ أغسطس ٢٠١٢)، وهو أحد علماء الدين السنة شغل سابقًا منصب أستاذ في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في عَمان الأردن.

مولده

ولد عام ١٩٤٠م بقرية برقة التابعة لمحافظة نابلس بفلسطين، وهو من بيت علم إذ إن أخاه هو د.محمد سليمان الأشقر أحد علماء أصول الفقه.

الدراسة

خرج الأشقر من فلسطين وهو ابن ثلاث عشرة سنة إلى المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية وأكمل دراسته الثانوية هناك، ثمّ أكمل الدراسة في جامعة الإمام في الرياض، وحصل على البكالوريوس من كليّة الشريعة، ثم عمل أمين مكتبة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومكث فيها فترة من الزمن ثم غادر إلى الكويت عام ١٩٦٥م، واستكمل الأشقر- رحمه الله- رحلته العلمية بدراسة الماجستير في جامعة الأزهر ثم حصل على الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر عام ١٩٨٠م وكانت رسالته في «النيات ومقاصد المكلفين» في الفقه المقارن، وعمل مدرسًا في كلية الشريعة بجامعة

الكويت، وخطيبًا في مساجد وزارة الأوقاف الكويتية.

بقي الشيخ بالكويت حتى عام ١٩٩٠م ثم خرج منها إلى المملكة الأردنية فعين أستاذًا في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية وبعدها عميد كلية الشريعة بجامعة الزرقاء، ثم تفرغ للبحث والكتابة، وأصدر عددًا من الكتب والأبحاث.

مشايخه

- الشيخ د.محمد بن سليمان الأشقر وهو أخوه الكبير وشيخه الأول.
- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
- والشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
- والشيخ عبدالجليل القرقشاوي من مشايخ الأزهر.

مؤلفاته

للدكتور عمر الأشقر مؤلَّفات كثيرة نذكر منها:

- مقاصد المكلفين فيما يتعبد به رب العالمين.
- مجموعة كتب العقيدة.
- القياس بين مؤيِّديه ومعارضيه.
- الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية.
- الصيام في ضوء الكتاب والسنة.
- حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية.
- المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم.
- معالم الشخصية الإسلامية.
- نحو ثقافة إسلامية أصيلة.
- جولةٌ فيَّ رياضَ العلماء وأحداث الحياة.
- مواقف ذات عِبَر.
- وليُتَبِّروا ما علَوا تتبيرًا.

إضافةً إلى العديد من الأبحاث والدراسات الأخرى.

وفاته

توفي رحمه الله في العاصمة الأردنية عمّان يوم الجمعة ١٠ أغسطس ٢٠١٢م الموافق ٢٢ رمضان في العشر الأواخر لعام ١٤٣٣هـ بعد معاناة مع المرض عن عمر يناهز ٧٢ عامًا.

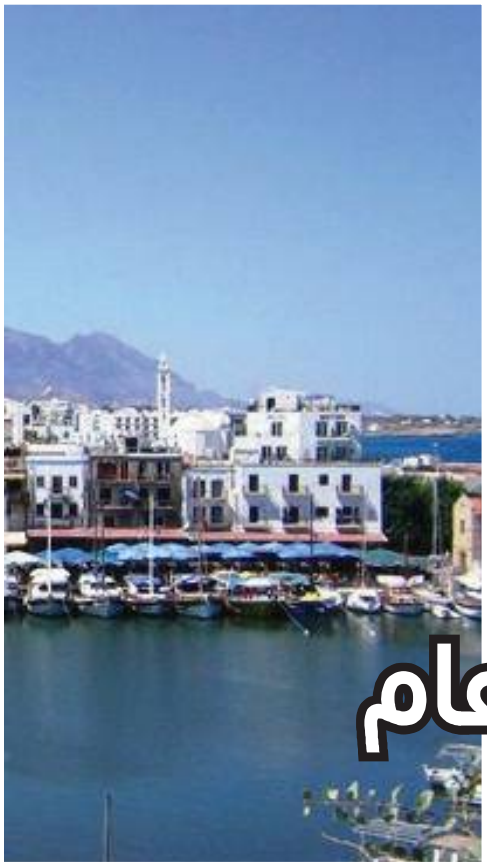

محاصرة بقانون دولي متعنت.. وصمت عربي غير مبرر!

قبرص التركية.. جنة بعبق ألف عام

التحرير

تستطيع أن تشتم رائحة التاريخ في كل بقعة من بقاع قبرص التركية، بل تشهده في ملامح أهلها الطيبين المسالمين الذين مزجوا بين القديم والحديث، والأصيل والمعاصر.

في شمال قبرص مدينة ساحلية صغيرة تسمى «كارينيا» «Girne» ، بها مساجد صغيرة عدة، منها مسجد أغا جعفر باشا Aga Cafer Pasa (1589) القائم قريبًا من المرفأ الساحر، تصعد إلى ساحته عبر سلم قليل الدرجات، وتدخله لترى المسابح معلقة بمسامير على الواجهة، أما المؤذن ومقيم الصلاة فيقف داخل إطار خشبي منخفض، لا يرتفع عن الأرض سوى نصف متر تقريبًا، ويظل في مكانه يصلي خلف المصلين وبجانبه آخر.

الأتراك والسوريون هما الجنسيتان الغالبتان هناك، ومع أهل البلاد من القبارصة اليونانيين والزائرين المسلمين يملأون المساجد وقت الصلوات الخمس.. كنا في رمضان الماضي هناك، ولمسنا شوق كل أولئك إلى الدروس الدينية والمواعظ الحسنة، كما لمسنا غياب الحجاب عن معظم العابرات في الشوارع اللهم إلا واحدة فقط بدت مع بناتها ممتثلة لأمر دينها.

في نيقوسيا المسلمة

وهنا في ليفكوشة أو نيقوسيا حيث المنطقة الخضراء- التي تقسم العاصمة بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك- يقع مسجد لالا مصطفى باشا بعمارته القوطية الغائرة في التفاصيل، واتساعه المميز المستوعب لكل هذه الجنسيات التي أتت منبهرة بالمكان، متلمسة عبق التاريخ في الزمان.

تدخله «الوعي الإسلامي» وتتحدث مع أحد عماله، رفعت السوري، الذي يحكي لنا كيف يحتاج المسلمون هنا إلى كل دعم توعوي؟ وكيف تحتاج قبرص إلى وقفة عربية مساندة تقاوم الجحود العالمي لهذا الكيان الوليد الذي ظهر للنور عام ١٩٨٣ بعد مجازر شهدتها الجزيرة، وراح ضحيتها القبارصة المسلمون الأتراك، ولم تتوقف إلا بعد إنزال تركيا لقوات مسلحة أمنت الناس على حياتهم، وفصلت بين الشمال ذي الأغلبية المسلمة والأصول التركية والجنوب ذي الأغلبية المسيحية والأصول اليونانية.. يقول: أستغرب تجاهل الناس لنا وكأننا أجرمنا حين طالبنا باستقلالنا.

نلمح في المسجد صفحات من القرآن الكريم، محفوظة من القرن السادس عشر داخل صندوق زجاجي بجوار المنصة التي يقف خلفها رفعت وزملاؤه، وفوقها عدة ساعات منضبطة على توقيت الصلوات الخمس والإمساك عن الصيام.

نخرج من المسجد لنصعد درج قلعة بحرية تطل على ميناء تجاري سفنه محرومة من الإقلاع إلا إلى مرافئ تركيا فقط لا غير! بينما ميناء الشق الجنوبي من الجزيرة معترف به دوليًا، وتبحر سفنه إلى أي مكان في العالم، بعد أن نالت قبرص الجنوبية (اليونانية) اعتراف الأمم المتحدة بها كدولة، والاتحاد الأوروبي كعضو مستقل.

احتفال السلام

نتأمل المدينة التي بدأت تزدحم بالمحتفلين ومعلقي الزينات.. كانوا يحتفلون بمرور ٣٨ عامًا على يوم السلام، ويشرح لنا مرافقنا «حسن

الرئيس القبرصي التركي درويش «أروغلوا» Dervis Eroglu، وعلى يمينه مرافقه

كاميل مريتش Kamil Meric وكتابه «عالمي المظلم»

تونا» «Hasan Tuna» كيف نزلت القوات التركية إلى مرفأ بقبرص لحمايتهم من هجمة عرقية تعرضوا لها، باعتبارهم قبارصة مسلمين ذوي أصول تركية، من إخوانهم وجيرانهم القبارصة ذوي الأصول اليونانية.

يلتقي الإعلاميون بالرئيس القبرصي التركي درويش «أروغلوا» «Dervis Eroglu» الذي يشرح باختصار الموقف الدولي الحالي من بلاده آملًا في تقدم المباحثات مع الجار الجنوبي وكسر الحصار قريبًا عن شعبه.

نتجه إلى الجنوب الغربي للوقوف على قبور ٨٠ ضحية كل جريمتهم أنهم مسلمون ينتمون إلى ٣ قرى قبرصية.

لقد قرر أفراد من القبارصة اليونانيين المتطرفين أنها قرى تحل لهم دمًا ونساء ومالًا فحاصروها، وقبضوا على رجالها بحجة أنهم يريدون أن يأمنوا شرهم، ثم مضوا بهم- كما حكى لنا شاهد عيان هو الناجي الوحيد من أفراد عائلته- وأعدموهم بالرصاص، ثم ألقوا بجثثهم بواسطة الجرافات في حفرة طبيعية وأحرقوها، ثم تفرغوا للنساء والأطفال فصنعوا فيهم ما صنعوا.

وقفت على الحفرة المتسعة التي أصبحت مزارًا تاريخيًا أتخيل المشهد ثم عدت مع الإخوان إلى حيث نصب تذكاري مسجل على رخامه أسماء كل من قضوا في هذه الحرب العرقية الشرسة.. كل قطعة رخام تحمل أسماء عائلة من العائلات المسلمة التي عثروا على جثثها، والأعمار المدونة تشير إلى الهمجية وانعدام الشفقة، فهي تبدأ من ٤ أشهر حتى ٩٥ عامًا.

يقول الرجل الحزين الذي ألف كتيبًا بعنوان «عالمي المظلم» كاميل مريتش Kamil Meric: كنت صبيًا عام ١٩٧٤م عندما قررت تركيا حماية القبارصة المسلمين الأتراك، فأنزلت جزءًا من قواتها في الميناء، لكن حرب الإبادة التي بدأت لم تكن لتتوقف فورًا. واستغلت بعض القوات من القبارصة اليونانيين عدم وصول القوات التركية بعد إلى الجنوب حيث نحن الآن، فهجمت علينا وفعلت ما فعلت.

سألته إن كان قد رأى بأم عينيه عملية الإبادة؟ فقال: لا، لقد هربت، لكني حين عدت بعدها بأشهر وجدت المأساة مرسومة على أطلال قريتي، لكن كثيرًا من المراسلين الأجانب غطوا الأحداث، ورأوا بأعينهم ما جرى في قرانا.

متحف الهمجية

عودة إلى نيقوسيا مرة أخرى، حيث نزور الآن متحف البربرية ٢ شارع عرفان بك منطقة كومسال، بالقرب من المنطقة الحدودية أو الخط الأخضر.. هذا هو بيت الدكتور نهاد إيلهان، كان ميجورا يخدم في الوحدة القبرصية التركية في عام ١٩٦٣.

تحكي لنا المرافقة القبرصية «أسو مختار الله» «Asu Muhtaroglu» أنه في أثناء الاضطرابات بين الطوائف من ديسمبر من نفس العام، هاجم المتطرفون من القبارصة اليونانيين منزل هذا الطبيب، ولم يرحموا أحدًا من أهله، حتى أطفاله الثلاثة أطلقوا عليهم النيران في حمام البيت فسقطوا داخل المغطس غارقين في الدماء الذكية، وسرعان ما لحقت الأم بأطفالها.

نتأمل على الجدران صور قتل وتعذيب للمسلمين القبارصة، وفي نهاية الردهة على اليسار نجد الحمام المغلق بباب زجاجي حيث يمكنك تخيل مشهد المغطس وقد ألقيت فيه جثث الأطفال وأمهم.. على الجدران كذلك نجد مقتطفات من الجرائد الأجنبية التي غطت الحدث في حينه، جاء تقرير جريدة لوفيجارو (باريس) بتحرير المراسل كلوس ماكس، في ٢٥و٢٦ يناير ١٩٦٤. كالتالي: لقد رأيت جثث الأم وأطفالها الثلاثة الصغار في حوض الاستحمام، فقط بسبب أن رب الأسرة ضابط تركي.

أما مقتطف صحيفة هيرالد (لندن)، في ١ يناير ١٩٦٤ فكان: ليلة من الرعب.. مقتل ٣٥٠ قرويًا من الرجال والنساء والأطفال، وكانوا جميعًا من الأتراك.

العدد (٥٦٧) ذو القعدة ١٤٣٣ هـ / سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٢ م

مكتبة شيخ الإسلام السيد فيض الله أفندي

استطلاع : وائل الحنبلي
تصوير : هداية الله نثار

لَقَبُ: «شيخ الإسلام»، منصبٌ أو مكانةٌ؟

لُقّب كثيرٌ من العلماء في كُتب التراجم والتاريخ بهذا اللّقب، وتكلّم العلماءُ حول معناهُ وحكمه(١)، غير أنّ لهذا اللّقب طابعٌ خاصٌّ في زمن الدّولة العثمانية، فله منصبٌ مرموق، ومكانة سامقة.

فلعلّك تَقف مُتعجّبًا إذا علمتَ أنّ شيخَ الإسلام في الدّولة العثمانيّة يَحكمُ على السّلطان ويَعزله(٢)، والسّلطان لا يَحكم عليه.

وقد يَربو عجبُك ويتفاقَم إذا علمتَ أيضًا أنّ ما يتقاضاهُ شيخُ الإسلام مُقابلَ منصبه، أكثرُ ممّا يتقاضاهُ السّلطان في تلكَ الدّولة(٣).

أيُّ دولة تلك، وأيُّ علماءَ أولئك؟!

لا ينقضي عجبي حينَ أقرأ لمتفلسف ختم الله قلبَه وهو يُحارب الدّولة العثمانيّة، تارةً بحجّة أنها دولةُ السّلطان الآمر النّاهي وحدَه، وتارةً بأنها دولةُ الجهل والظّلم والاستبداد. ولله في خلقه شؤون، وكما قيل: الجنونُ فنون. نعود لحديثنا فنقول:

علي أميري أفندي

ومن شيوخ الإسلام في زمن الدّولة العثمانيّة، بل من أشهرهم مكانةً وأثرًا: شيخ الإسلام فيض الله(٤) محمّد بن محمّد بن حبيب التّبريزي الأصل، الأرضرُومي المولد والنّشأة.

ولادته ونشأته

ولد: ٨ شوال، سنة (١٠٤٨) (٥).

تَعلّم مبادئَ العلوم على أبيه أوّلًا، ثمّ على ابن خاله إسماعيل بن مرتضى أفندي.

وقرأ الحديثَ على الشيخ محمّد ظاهر بن عبدالله المغربي.

وبعدَ ذلك تتلمَذ على العلّامة محمّد واني أفندي (ت١٠٩٦)(٦)، وتزوّج ابنتَه.

وهذا الشيخُ هو الذي وجّه المترجَم إلى استانبول سنة (١٠٧٤)، وبعدَها إلى مدينة أدِرْنة، حيث إقامةُ السّلاطين هناك.

حياتُه والنّقاطُ المهمّة فيها

بعدَ رجوع المترجَم من الحجّ سنة (١٠٨٠)، عيّنه السّلطانُ محمّد الرّابع مدرّسًا لولده السّلطان مصطفى الثاني (وكان أميرًا وقتَها).

وفي سنة (١٠٨٤) عُيّن مدرّسًا في دار الحديث، بالمدرسة السّليمانيّة، وفي سنة (١٠٨٧) قاضيًا للعسكر.

ثمّ في سنة (١٠٨٩) صار مدرّسًا للسّلطان أحمد الثالث (وكان أميرًا وقتَها).

المكتبة من الخارج

وبهذه الوظيفة ذاع صيتُه بـ«جامع الرّياستَين»، رياسة تأديب وتَعليم السُّلطان، ورياسة المشيَخة الإسلاميّة.

وفي جمادى الأولى سنة (١٠٩٧) عُزل عن مناصبه بسبب إهمالٍ وقع منه، لا يَليق بأمثالَه.

ولكنّ بعدَ خمسة أيام عُيّن قاضيًا لضاحية أيوب باستانبول(٧).

وفي سنة (١٠٩٨) صار نقيبًا للأشراف.

وعندما انتقلت الخلافةُ إلى السُّلطان سليمان الثاني، نُصّب شيخًا للإسلام، في ١١ ربيع الآخر سنة (١٠٩٩).

ولكنّ ما لبث أن عُزل عن منصبه بعدَ ١٧ يومًا، بسبب خلافاتٍ جرت في أمورٍ عسكريّة بالدّولة.

وبعدَ عزله عاد لبلده أَرْضروم، وبقيَ فيها سبعَ سنين، اعتنى بالتدريس والتأليف.

يقول رحمه الله(٨): «وعقدت مجلسًا حافلًا للحديث الشريف، اجتمعتْ فيه جماعاتٌ كثيرةٌ من العلماء والطّلبة، فأقرأتُ «صحيحَ البخاريّ» من أوّله إلى آخره، وختمتُ بجامعها الكبير، في العشر من رمضانَ، وتَرَك أهل البلد يومئذٍ أشغالَهم، وحضر هناك رجالَهم وصبيانُهم، حتى العجائزُ، وضاق منهم الجامع، وهو أكبرُ من جامع آيا صوفيا، وامتلأتْ الأزقّةَ وسطوحُ البيوت في أطرافه، وقدّ حُرّر عددُهم بخمسين ألفَ نفس، فدعونا ربّنا عندَ ختامه بالحاجات».

وفي زمن السُّلطان مصطفى الثاني، دُعي إلى مدينة أدرْنة، وأُسندتْ له المشيخةُ في ١١ شوال، سنة (١١٠٦)، وبقي في منصبه أكثرَ من ثماني سنوات.

وعندما توجّه السلطانُ بنفسه للفتوحات الإسلامية بأوروبا في بلاد النّمسا، كان شيخ الإسلام يندفع بين صفوف الجنود ويشجعهم على الجهاد، ثم يخبر السلطان عن أحوال الجند ومستلزماتهم.

وأثناءَ المعارك كان- رحمه الله- يبقى إلى جانب السُّلطان الشاب، يُشجّعه عندَ فتوره، ويُهدّئه عندَ اضطرابه.

الوقفية التي كانت تختم على الكتب الموقوفة

أثّر شيخُ الإسلام فيض الله أفندي بالسُّلطان تأثيرًا كبيرًا، وكادتْ زمامُ الأمور أن تكونَ بيده، وجَعَل شيخ الإسلام يسعى لرفع الظّلم ومساندة الضّعفاء، واستطاع أن يَرفعَ بعضَ القوانين التي فيها شدّةٌ وحرجٌ على المسلمين.

ممّا جعل الصّدرَ الأعظمَ والوزراءَ الكبار يَحملون عليه، ويحيكون ضدّه.

ونَبَغ أولادُ شيخ الإسلام، وبزّوا أقرانَهم، واستطاع بذلكَ فيضُ الله أفندي أنْ يأخذَ عهدًا من السُّلطان بأن تكونَ المشيخةُ لأحدهم، وعيّن ولدَه فتح الله نقيبًا للأشراف، وولدَه مصطفى قاضيَ العسكر.

فعكّر ذلك صفوَ حاسديه وسعَوا به إلى أنْ تمكّنوا من عزله، في ١٣ ربيع الأول سنة (١١١٥).

وبسبب ذلك تعدّى على حرمة المترجَم بعضُ الجند السُّفهاء من العسكر، وقتلوه وشانوا به، وذلكَ في ٢١ ربيع الآخر، سنة (١١١٥).

وترك تسعةَ أولاد، وعدّةَ بنات. إلا أنّ الله تعالى عوّضه بأولاده خيرًا، فاثنان من أولاده ارتقَوا منصّةَ مشيخة الإسلام، هما: مصطفى (ت١١٥٨)(٩)، ومرتضى (ت١١٧١)(١٠)، وبقيتْ أُسرتُه من الأسر العلميّة في الدّولة العثمانيّة، كما تقول المصادر والمراجع.

فنحن نرى أنّ شيخَ الإسلام فيض الله أفندي بقيَ في سُدّة المشيخة في الولايتَين ثمانيَ سنوات، وخمسة شهور، ويومَين، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيحَ جنانه.

المدارس التي درّس فيها

تولّى التّدريسَ في أهمّ المدارس الدينيّة في الدّولة العثمانيّة، فمنها:

مدرسة آيا صوفيا، ومجْرمان سلطان بمنطقة أُسْكُدار، وحيدر باشا، ودار الحديث في المدرسة السُّليمانيّة.

أخلاقه

عُرف المترجَم رَغم مناصبه الرّفيعة، بتبسّمه، وملاطفته جليسَه،

ومزاحه ومؤانسته مكسُوّين بوقارٍ وجلال.

مؤلّفاته

- أذكار الأفكار في وِرْد العَشيّ والإبكار.
- ترجم كتابَ: «روض الأخبار المنتَخب من ربيع الأبرار» إلى اللّغة العثمانيّة(١١).
- تعليقات على حاشية الخَلْخالي على شرح العقائد للدواني.
- حاشية على تفسير البيضاوي(١٢).
- حاشية على حاشية العصام الإسفرائيني على تفسير البيضاوي، (سورة النّبأ)، أجاب فيها عن اعتراضات العصام على البيضاويّ.
- حاشية على الدُّرر والغرر، رَبَط فيها الفروعَ بالأُصول، ولم يُكملها(١٣).
- رياض الرّحمة.
- لطائف نامه.
- نصائح الملوك.
- مجموعة فتاوى، المسّماة بـ: (الفتاوى الفيضيّة(١٤))، قام بجمعها شيخُ الإسلام رفيق أفندي (ت١٢٨٨)(١٥)، وطُبعت بالمطبعة العامرة باستانبول سنة (١٢٦٦).

وكنتُ أتمنّى أنْ أتوسّع في الكلام عنها لقرّاء المجلّة الأكارم، ولكنّي بعيدٌ عن وطني ومكتبتي، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعد.

آثارُه وأوقافُه الخيريّة

- أَرْضروم: جامع، مدرسة، دار القرآن، مكتبة، حمام.
- أدرْنة: سبيل ماء.
- الشام: دار الحديث.
- مكة المكرّمة: مسجد.
- المدينة المنوّرة: مدرسة الشّفا، بيت وقف على المعلّمين، مكتبة مدرسة الشّفا(١٦)، أوقفَ فيها: (٣٠٠٠) كتاب، وهي من المكاتب التي ضُمّت لمكتبة الملك عبدالعزيز، ولكنْ مع الأسف فإنّ فهارس المكتبة حاليًا تُشير إلى (٩٨٠) مخطوطًا، و(٥٤٢) مطبوعًا(١٧).
- استانبول: مسجد، بيت وقف على المعلّمين، سبيل، دار الحديث الفيضيّة.

ودارُ الحديث الفيضيّة هي مبتغانا في هذا المقال، ضمنَ هذه المجلة، بارك الله في القائمينَ عليها، ورَحِم مؤسّسيها بفضله وكرمه(١٨).

وسنفرد مقالًا عنها مستقلًّا في العدد القادم، بإذن الله تعالى.

مكانها ووصفها

تقع هذه المكتبةُ في أجمل المحالّ باستانبول، في منطقة الفاتح، غربيَّ جامع السُّلطان محمَّد الفاتح، في شارع ماجار كَرْدِشْلَر، بعدَ شارع فوزي باشا، على يمين الذّاهب إلى جامعة استانبول.

ولكنْ مع الأسف تحوَّل اسمُها في التنظيم الجديد للشارع إلى مكتبة (ملّت).

غيرَ أنَّ وقفيَّتها المنحوتَة المذهَّبةَ على جدرانها لا تزال ناطقةً باسمها الأصليِّ، معرِّفةً ببانيها، وسنةِ تأسيسها.

وأمَّا وصفُها:

فداخلُها يُغشى بالسَّكينة والأُنس، حيث يجدُ قبالتَه فوَّارةً محاطةً بسُبُل من الماء الزُّلال، وكأنَّ واقفَها شيخُ الإسلام يقول له: يا طالبَ العلم ابدأ بالحُسن والوَضاءَة قبلَ العلم والقراءَة.

ثم تنحرفُ يَسرةً لتَدخل قاعةَ الدِّراسة والقِراءَة، فإذا وَلجْتَها وقفتَ مُتحيِّرًا تَوْهًا(١٩)، أأدخُل يَمنةً أو يَسرة.

فإنك ترى يَمنةً عِلْميةً(٢٠) كُتب فوقَ بابها:

لمفتي العصر فيض الله تَبقى
مآثرُ للجنانِ غَدَتْ مثيلَه
وكلُّ النّاظرينَ يقول أرِّخْ:
أجاد وشاد مدرسةً جميلَه

وإذا نظرتَ يَسرةً وجدت عِلْيةً أُخرى كُتب عليها:

لمفتي الوقت فيض الله شادُوا
بناءً كالجنانِ لمن يَراهُ
فلما تمَّ قال السَّعدُ أرِّخْ:
لفيض الله طُوبى ما بناهُ

ولكنْ- أخي القارئَ- لا تحار! وادخل يَمنةً مُتيمِّنًا لتجد قاعةَ القراءة والبحث، والتي كُتب على بابها من الدَّاخل كلامًا لا يَستغني عنه طالبُ علم، بل إنْ غَفَل عنه خَسِر حقيقتَه، وما نَال جناه، سترى مكتوبًا:

«عن ابن سيرينَ قال: إنَّ هذا العلمَ دِينٌ، فانظروا عمَّن تأخذونَ دينَكم».

هل علمتُم ما الفرقُ بين دراستنا

صورة قديمة من أرشيف المكتبة

ودراستهم؟! هل أيقنتُم الفرقَ بينَ تعليمنا وتعليمهم؟!

أعود فأقول: هذه الغرفةُ الآنَ مزوَّدةٌ بحواسيبَ آليَّة مربوطة بشبكة واحدة، يُستطاع من خلالها الاطلاعُ وبدقَّة عالية على المخطوطات المحفوظة في هذه المكتبة.

ثمَّ ارجع القَهقرى، وادخل الغرفةَ اليُسرى، لتجدَ قاعةً جُعلت الآنَ متحفًا للوثائق واللَّوحات الفنيَّة، وبعض المخطوطات القيِّمة.

ولكن إذا أردت الخروجَ منها ارفع رأسَك لتقرأ:

لله من بيتٍ به
تَبقى العلومُ العالياتُ
نعم الثوابُ أرَّخوا:
والباقياتُ الصَّالحاتُ

إشارةً إلى أنَّ وقف المدرسة والمكتبة يَبقى ثوابُ واقفها ولا يَنقطع، استئناسًا بقوله تعالى: ﴿والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عندَ ربِّك ثوابًا وخيرٌ أملًا﴾.

والمدرسة مؤلَّفة من عشرة غُرف، وساحة سماويَّة فيها بئرٌ وميضأة.

ويُذكَر أنَّ المعماري الذي شيَّدها اسمه: محمَّد آغا القَيسري، ولا تتوافر معلوماتٌ عنه.

وبعدما وصفتُ لك، وجعلتُك كأنك تمشي فيها، ماذا يُصيبك إذا أخبرتك أنَّ الزلزالَ الذي أصاب استانبول بدايةَ القرن الماضي، هدم بعضَ جدرانها، وأوصل إليها خرابًا كبيرًا!!

الورقة الأولى من سنن ابي داود ويظهر فيها خط الحافظ المنذري

ليس هذا فحسب، ماذا سيُصيبك أيها القارئ الكريم، إنْ علمتَ أيضًا أنَّ البلديَّة بعدَ الزِّلزال أرادتْ هدمَها، وتحويلَها إلى حديقة عامَّة؟!

بل ماذا سيُصيب شَيخَ الإسلام فيض الله أفندي إن حُدِّث بهذا، أو عَلم به؟!

ولكنْ عنايةُ الله تعالى تداركتْها بلطفه، وسعى وجاهد للحفاظ عليها ولترميمها شيخُ الإسلام مصطفى خيري أفندي (ت١٣٣٩)، جزاه الله خيرًا.

فرُمِّمت المكتبة، وعادت لحياتها الأُولى.

وبعدَ الانتهاء من ترميمها سنة (١٣٣٤)، تولَّاها بوظيفةٍ رسميَّة علي أميري أفندي.

وبعدَ ذلك صارت المكتبةُ ثلاثةَ أقسام:

- القسم الأول: فيض الله، وفيه (٢٣٠٢) مخطوطة تقريبًا.
- القسم الثاني: علي أميري، وفيها: (١٦٠٠٠) كتابًا تقريبًا، ما بينَ مطبوع ومخطوط بلغات مختلفة.
- القسم الثالث: قسم الوثائق، ويضمُّ عددًا كبيرًا من الفرمانات والبراءات، والوثائق والجرائد العثمانيَّة، وبعض اللَّوحات الخطيَّة النَّادرة.

والأستاذ علي أميري بن محمَّد أفندي ولد بمدينة ديار بكر، عام (١٢٧٤).

كان أديبًا عالمًا مؤرِّخًا، عاشقًا متولِّهًا بالكتب وجمعِها، وتُروى عنه قصصٌ في ذلك.

يُتقِن اللُّغة الفارسيَّة والعربيَّة، إضافةً للغته العثمانيَّة.

ويُذكَر أنه عندَما وصل في العمر إلى السَّنة الثامنة كان يقرأ الكتابات القديمة المنحوتة على الأحجار التي يَعجز عنها الدَّكاترة اليوم.

إضافةً لذلك فإنه خطاطٌ مبدِع، تَرك لوحاتٍ فنيَّةً موجودةً إلى الآن في بعض مساجِد ديار بكر.

وقد أثْرى علي أميري المكتبةَ بكثيرٍ من الكتب المخطوطة والمطبوعة القيِّمة.

توفي رحمه الله في ١٥ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٢)، ودُفن في مقبرة الفاتح(٢١).

بعض مخطوطاتها القيِّمة

- «سنن أبي داودَ السِّجستاني»، وهي بخطِّ محمَّد بن يحيى القرشي، فرغ منها سنة (٦٥٤)، والقدرُ الموجود هو (١٦) جزءًا، إلى آخر باب التولِّي يومَ الزَّحف.

وهي منقولة من أصل الحافظ المنذريِّ، ومقروءةٌ عليه، وعليها خطُّه.

وتمتاز بجَودتها وصحَّتها، إضافةً إلى حواشٍ مهمَّة قُيِّدت عليها، فيها: فوائدُ حديثيَّةٌ ولغويَّةٌ عزيزة.

والنسخة في مكتبة فيض الله برقم (٤٤٢)، وهي في (١٨١) لوحة.

- «السِّياسة الشَّرعيَّة في إصلاح الرَّاعي والرَّعيَّة»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨).

والنُّسخة كُتبت سنة (٨٥٠)، وهي نسخةٌ خزائنيَّة مذهَّبة، قد وضعتْ في معرض الوثائق يراها الزَّائرون.

والنسخة في مكتبة فيض الله برقم (١٢٩٠)، وهي في (١٣٦) لوحة.

- «الدُّرر الزَّاهرة في شرح البحار الزَّاخرة»، للحافظ بدرالدِّين محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥)، و«البحار الزَّاخرة» منظومة فقهيَّة على المذاهب الأربعة، لأبي المحاسن حسام الدِّين الرَّهاويِّ الحنفي.

وقد ذُكر في ترجمة العينيِّ أنه سمع هذه المنظومة من ناظمها(٢٢).

وهذا الكتابُ من الأهميَّة بمكان سامق، حيث أراد العَينيُّ أنْ يُحرِّر المذاهبَ

اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح

الثلاثة: المالكيَّة والشافعيَّة والحنابلة، وذلك بالرُّجوع إلى كتبهم المعتمدَة.

فأسأل الله تعالى أن يُقيِّضَ له مَن يُظهره إلى عالم المطبوعات.

والنُّسخة بخطِّ المؤلِّف برقم (٨٢٠)، في (٤١٤) لوحة.

- «التَّعريف والإخبار بتخريج أحاديث الاختيار»، للحافظ ابن قطلوبغا (ت٨٧٩)، والنُّسخة بتمامها بخطِّ المؤلِّف، وصل فيه إلى كتاب المساقاة، والكتاب يُعتبر فتحًا عظيمًا في تخريج أحاديث كُتب المذهب الحنفي، فتراه يُسند ما لم يجده المخرِّجونَ الزَّيلعيُّ وابنُ حجر، وذلك بالرُّجوع إلى كتب الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيبانيِّ، وغير ذلك.

والنسخة في مكتبة فيض الله برقم (٢٩٢)، وهي في (١٧٨) لوحة.

- «الأمالي» للمحدِّث محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن الشِّحنة الصَّغير الحنفي (ت٨٩٠)، أملاها بالمدرسة المؤيِّديَّة بالقاهرة في سبعينَ مجلسًا.

وهي على طريقة المحدِّثين، يُسنِد الحديثَ من طريق شيوخه، ثمَّ يُخرِّج الحديثَ من الكتب المشهورة، ويتكلَّم على الأحاديث جرحًا وتعديلًا.

والنُّسخة في مكتبة فيض الله برقم (٢٦٦)، في (١٢٠) لوحة، هيَّأ الله لها مَن يَنشرها.

وهذه النُّسخة هي الوحيدةُ في العالم حسبَ «الفهرس الشَّامل للتراث العربيِّ المخطوط»(٢٣).

وأخيرًا فإني أسأل الله تعالى أنْ يَحفظَ هذه المكتبةَ، وأنْ يَنفعَ بها القارئينَ والزائرين، وأنْ يَحفظ المولى جلَّ وعلا مراكزَ العلم والنُّور في العالم.

رحم الله شيخ الإسلام فيض الله أفندي، ورحم مَن قرء بمكتبته أو زارها.

خط شيخ الإسلام

الهوامش

(١) انظر حولَ معنى هذا اللَّقب كلامًا مفيدًا عند السَّخاويّ في «الجواهر والدُّرر»: ٦٥/١، وتلخيصًا جامعًا عند العلَّامة عبدالفتاح أبوغدة في «العلماء العزاب»: ص٣٠.

(٢) وقد جرى هذا مرارًا في الدَّولة العثمانيَّة، وعَزل العلماءُ وشيخُ الإسلام السُّلطانَ إنْ ظَهَر منه ما يُخالف مصلحةَ الدَّولة والمسلمين، انظر مثلًا خلعَ السُّلطان محمَّد الرابع فيه «تاريخ الدَّولة العثمانيَّة» للدكتور الصَّلابي ص٣٠٨.

(٣) انظر مقدِّمة: «الدولة العثمانيَّة دولةٌ مفترًى عليها» لعبدالعزيز الشَّنَّاوي، ومقدِّمة: «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الاسلام في العَهد العثماني».

(٤) وجاء في «سلك الدُّرر»: (فضل الله)!

(٥) وجاءت سنةُ ولادته محرَّفةً في «سلك الدُّرر» ٦/٤: «ثمان وأربعينَ ومائة»، والصَّواب: (وألفَ).

(٦) أنظر ترجمتَه في «عثمانلي مؤلفلري»: ٥٠/٢.

وأبعد صاحبُ «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الإسلام»: ٥٧٤/١ فترْجم علمًا آخرَ مسمًّى بمحمَّد، ولكنْ وفاتُه سنةَ (١٠٠٠)، أي: قبل ولادة شيخ الإسلام بأكثرَ من أربعينَ سنة!

(٧) هي المنطقة المحيطة بمسجد أبي أيوبَ الأنصاريّ، وتُعتبر من أكبر وأجمل الضَّواحي باستانبول، بعدَ منطقة الفاتح.

(٨) ترجمة فيض الله لنفسه: ق٢٥/ب.

(٩) انظر ترجمتَه في «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الإسلام»: ٦٦٦/١، وله ذِكرٌ في «سلك الدُّرر»: ٣٢/١.

(١٠) انظر ترجمتَه في «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الإسلام»: ٣١/٢، وله ذكرٌ في «سلك الدُّرر»: ٣٩/١.

(١١) «روضَ الأخبار» لمحيي الدِّين محمَّد بن خطيب قاسم (ت٩٤٠)، و«ربيع الأبرار» للزَّمخشري، انظر «كشف الظُّنون» لمصطفى حاجي خليفة: ٨٣٢/١.

(١٢) منها نسخة في جامعة إستانبول، كما في «الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط التفسير»: ٧٤٤/٢.

(١٣) لم تُذكر في مصادر التَّرجمة، وإنما ذَكرها فيضُ الله في ترجمته لنفسه: ق١٩/أ.

(١٤) تحرَّفت هذه الكلمةُ في «هدية العارفين» إلى: (القيضية).

(١٥) انظر ترجمتَه في «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الإسلام» رقم: ٢٢٠/٢.

(١٦) وللتوسُّع في معرفة هذه المدرسة والمكتبة انظر «المكتبات العامَّة بالمدينة المنوَّرة، ماضيها وحاضرها» لحمادي علي التونسي: ص٣٨.

(١٧) الموقع الرَّسمي لمكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنوَّرة على الشَّبكة العنكبوتيَّة.

(١٨) مصادر التَّرجمة:

ترجمة فيض الله لنفسه، (مخطوط) ضمنَ السُّليمانيَّة، «تاريخ مؤسَّسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني» لأحمد صدقي شقيرات: ٥٧٣/١، «سلك الدُّرر» للمرادي: ٦/٤، «عثمانلي مؤلفلري» لمحمَّد طاهر بروسه لي: ٣٩٣/١ (باللُّغة العثمانيَّة)، «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي: ٨٢٣/١، «البروشور الرَّسمي للمكتبة» (باللُّغة التركيَّة)، الموقع الرَّسمي لمكتبة ملت على الشبكة العنكبوتيَّة (باللُّغة التركيَّة)، زيارات ميدانيَّة مُتعدِّدة للمكتبة.

(١٩) تاه تيهًا وتوهًا: ذَهَبَ في الأرض تَحيُّرًا.

(٢٠) العلِّيَّة: الغُرفة.

(٢١) ويُنظر في وصف المكتبة وترجمة علي أميري: البروشور الرَّسمي للمكتبة (باللُّغة التركيَّة)، الموقع الرَّسمي لمكتبة ملت على الشبكة العنكبوتيَّة (باللُّغة التركيَّة)، زيارات ميدانيَّة مُتعدِّدة للمكتبة.

ويُنظر: «مجلة معهد المخطوطات العربية»: العدد الرابع، ص١٤٣، ١٤٤.

(٢٢) «الضوء اللامع»: ١٣١/١٠.

(٢٣) «الفهرس الشامل للتراث العربيِّ المخطوط- الحديث الشريف»: ٢٤١/١.

من مقارنات القرآن الكريم بين المؤمنين والمنافقين

عبدالعزيز صالح العسكر
كاتب سعودي

من أصرح الآيات الكريمة التي قارنت بين المؤمنين والمنافقين آيات سورة التوبة، ومنها هاتان الآيتان:

١- قال الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

٢- وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

قال المفسرون: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، أي متشابهون في النفاق والبعد عن الإيمان، كأبعاض الشيء الواحد بالشخص، وقيل: أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين، وتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم في الآية: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (التوبة: ٥٦). (تفسير أبي السعود، ج٣ ص١٦٧).

وقال أبوالسعود: «﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالاً ومآلاً، إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلاً وآجلاً، والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى بعض بالولاية، وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية، للإيذان بأن نسبة هؤلاء (المؤمنين) بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك، ونسبة أولئك (المنافقين) بمقتضى الطبيعية والعادة». (ج ٣ ص ١٦٨).

وقال أبو السعود: «إن ذكر الإناث عند ذكر المنافقين للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر والنِّفاق». (ج ٣ ص ١٦٦-١٦٧).

وقال القرطبي: «قوله تعالى ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف، وقال في المنافقين: ﴿بعضهم من بعض﴾ لأن قلوبهم مختلفة، ولكن يضم بعضهم إلى بعض في الحكم. وقال في معنى ﴿ويقبضون أيديهم﴾ في الحديث عن المنافقين: وقبض أيديهم عبارة عن ترك الجهاد، وفيما يجب عليهم من حق». (الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٢٧ و ١٢٩).

وبقراءة لما ذكره المفسرون يتضح لنا:

أ- أن بين المنافقين ارتباطًا وتنسيقًا بمقتضى الطبيعة والعادة كما قال أبوالسعود- رحمه الله-، ولكن ارتباطهم ارتباط مصالح وشهوات، وتكون المحبة بينهم بمقدار ما يتحقق من تلك المصالح والشهوات، ومن الممكن أن تزول المحبة ويضعف الترابط إذا طرأت مصالح وشهوات أخرى!

ب- في النساء منافقات لا يقل خطرهن على الأمة عن خطر منافقي الرجال إن لم يكن أسوأ أحيانًا.

ج- أن بين المؤمنين ارتباطًا مبنيًا على العقيدة والدين، فهو ارتباط وثيق دائم، وهو ارتباط غير مرتبط بالمصالح، ولا تؤثر فيه عواصف الشهوات، ولا تضعفه وشاية الوشاة، أو مؤامرات المنافقين وأسيادهم من الكفار. إن الارتباط بين المؤمنين قوي مهما تباعدت الديار، واختلفت الألسن، وتباينت الأنساب والأعراق.. بعضهم أولياء بعض ولاية تعني: النصرة، كما تعني الرحمة، كما تعني المحبة القوية والثقة، وحسن الظن بمن يستحقه دينًا وعقيدة وصلاحًا واستقامة.

د- إذا كان المؤمنون والمؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإن المنافقين والمنافقات يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؛ عنادًا وإفسادًا وكيدًا وحقدًا وحسدًا، ولا تنفك تلك الصفات عن أهلها. فالمؤمنون يأمرون بالمعروف تعبدًا لله، وينهون عن المنكر تعبدًا لله، وإصلاحًا للمجتمع، وحبًا للناس وغيرة عليهم. والمنافقون والمنافقات يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف طاعة للشيطان، وعنادًا للمؤمنين، واتباعًا للشهوات، وحسدًا للمؤمنين: لما يرونهم فيهم من أمان وطمأنينة وسعادة في رياض الإيمان وطاعة الرحمن.

هـ - وعقاب الله تعالى عاجل وآجل، فإن المنافقين نسوا الله ونسوا أوامره ونواهيه فنسيهم، فهم ينتقلون من قلق إلى قلق، ومن همّ إلى همّ، ومن حسرة إلى حسرة، ومن أزمة إلى أزمات، ومهما دعوا وابتهلوا إلى الله- وهم على نفاقهم- فإن الله لا يستجيب لهم؛ لأن أفعالهم تكذب أقوالهم.. والله تعالى يقول: ﴿وما هم منكم﴾. أما المؤمنون فهم في رحمة الله ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾، ومَن رحمه الله غفر له.. وكفر عنه سيئاته، ونصره على من ظلمه، وجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب. ولن يضر المنافقون المؤمنين إلا أذى، وهو ما رأيناه في التاريخ، ونراه اليوم من زمر المنافقين في كل مكان، ولكنهم: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

والله تعالى يسلي المؤمنين ويبشرهم فيقول ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾.

نسأل الله العافية والسلامة من النفاق، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين الصادقين، وأن يتولانا برحمته ومغفرته.. إنه أرحم الراحمين.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

الفتوى في الصدر الأوّل

لم يكن الصحابةُ جميعُهم من أهل الفتيا، وما كان يُسألون جميعًا عن أحكام الشريعة والدِّين، وإنّما كان ذلك مختصًّا بالحاملين للقرآن منهم؛ العارفين بناسخه، ومنسوخه، ومتشابهه، ومحكمه، وسائر دلالاته؛ بما تلقّوْهُ من النّبيّ صلى الله عليه وسلم، أو ممّن سمعه منهم من علِّيّتهم.. كما يقول ابن خلدون رحمه الله في مقدِّمته. (مقدمة ابن خلدون ٤٤٦).

ومن هنا عدَّ الإمام ابن القيم رحمه الله- ممّن حُفظت عنهم الفتوى من الصحابة- مائة ونيفًا وثلاثين نفسًا فقط؛ ما بين رجلٍ وامرأة، وذَكَرَ أنّ المكثرين في الفتوى منهم سبعة هم: عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين. (إعلام الموقعين- ١٢/١).

وكان أبوبكر الصّديق، وعثمان بن عفان، وأنس بن مالك، وأبوسعيد الخدري، وأبوهريرة، وأبوموسى الأشعري رضي الله عنهم أجمعين من المتوسّطين في الفتوى، مع عظيم شأنهم وعلوِّ مكانتهم في العلم والرِّوايةَ والحفظ.

والباقي من الصّحابة الكرام مُقِلُّون في الإفتاء، مع ما أُثر عن بعضهم من غزارة العلم والحفظ والدِّراية.

× والمتأمِّل في سيرتهم المباركة يلمَس مَسْلكًا في الفتوى عجيبًا، زانه الخوف من الله أن يقولوا عليه ما لا يعلمون، وهو الذي يفسِّر كثيرًا من أقوالهم في التّحذير من الفتوى، وتهيُّبهم أمرها، ويمكن بيانه من خلال العناوين التّالية:

أولًا: خوفُهُم مِنَ الفتوَى بلا علم:

عن عبدالله بن بشر أنّ عليَّ بن أبي

فتاوى الوعي

الحج حالاً.. والدّفع بالأقساط.

(٣٢٩١/١٥٦/١١)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

تقوم بعض حملات الحجّ بعمل دعاية واسعة لدعوة الناس إلى أداء فريضة الحج بالأقساط؛ وذلك لجذب أكبر عدد من الرّاغبين في أداء هذه الفريضة. فهل هذا العمل جائز شرعًا؟ وهل الحجّ بهذه الطريقة جائز شرعًا؟ علما بأنّ الله تعالى فرض الحج على المستطيع.

فأجابت اللجنة بالتّالي:

ما تقوم به بعض حملات الحج من دعوة النّاس لأداء فريضة الحجّ بالأقساط عَمَلٌ جائزٌ شرعًا؛ إذا كانت جملة المبالغ محدّدة سلفًا، وخالية من الفوائد الربوية. والحجّ بهذه الطريقة جائزٌ شرعًا، ويسقط الفرض به، ولا شيء فيه، وإن كان الحجّ ليس واجبًا عليه في هذه الحالة لعدم امتلاك ما يستطيع به الحج.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هدي التمتّع لمن اعتمر في شوال ثمّ حجّ من العام نفسه

الفتوى رقم (١١٣١)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التّالي:

إنّي أديت مناسك العمرة في شهر شوال ١٣٩٥هـ، وبعد تأديتها رجعت إلى بلدتي، وبما أني عازم إن شاء الله على تأدية فريضة الحج هذا العام ١٣٩٥هـ، فهل يكون علي هدي أم لا؟ جزاكم الله خيرًا.

فأجابت بما يلي:

جمهور الفقهاء يرون أنّه ليس عليك هدي؛ لأنك لم تتمتع بالعمرة إلى الحج في سفرة واحدة، حيث ذكرت أنك رجعت بعد أداء العمرة في شوال عام ١٣٩٥هـ إلى بلدك، ولم تبق بمكة حتى تؤدي الحج.

ويرى بعض الفقهاء أن عليك الهدي إذا حججت من عامك، ولو رجعت إلى بلدك أو إلى أبعد منها؛ لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ (البقرة: ١٩٦) والفتوى والعمل جاريان على قول الجمهور من عدم وجوب الهدي في ذلك. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

طالب رضي الله عنه سُئل عن مسألة، فقال: «لا علم لي»، ثم قال: «وَأَبْرَدَهَا عَلَى الكَبِد: سُئِلْتُ عَمَّا لَا أَعْلَمُ، فَقُلْتُ: لَا أَعْلَمُ» (متفق عليه).

شدّة وَرَعِهم مَعَ وجودِ مَن يكفيهِم

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما فيهم رجلٌ إلّا وهو يحبُّ الكفايةَ في الفَتْوَى» (الفقيه والمتفقه-٧٠٨).

حرصُهم على عَدَم التّسرُّع في الفَتْوى

كان الصحابة رضي الله عنهم لا يكاد أحدهم يفتي إلّا فيما نَزَل؛ ثقةً منه بأنّ الله تعالى يوفّق عند نزول الحادثة من يجيب عنها، وكان كلُّ واحدٍ منهم يَوَدُّ أنّ صاحبَهُ كفاه الفَتْوى.

عن جعفر بن برقان رحمه الله أنّ عمر رضي الله عنه، كتب إلى معاوية رضي الله عنه يعاتبُهُ في التّأنّي، فكتب إليه معاوية: «أمّا بعد.. فإنّ التّفهّم في الخبر زيادةٌ ورُشْدٌ، وإنّ الرّشيد من رَشَدَ عن العجلة، وإنّ الخائب من خاب عن الأناة، وإنّ المتثبّت مصيبٌ أو كاد أن يكون مصيبًا، وإنّ العَجِلَ مخطئٌ، أو كاد أن يكونَ مخطئًا، وإنّ من لا ينفعُهُ الرِّفقُ يضيره الخرْقُ، ومن لا تنفعه التّجاربُ لا يدرك المعالي» (رواه عبدالرزاق في مصنّفه١١/١٦٥).

وممّا يدلّ دلالة واضحة على ذلك قولُ أبي حصين رحمه الله في النّازلة تنزل في عهد عمر رضي الله عنه، والصّحابةُ متوافرون، وعمر رضي الله عنه كافيهم علمًا وخوفًا من الله، ومع هذا يقول: «إنّ أحدَهم ليفتي في المسألة، ولو وَرَدَت على عمر بن الخطاب لَجَمَعَ لها أهلَ بدرٍ» (رواه البيهقي في المدخل- ح ٦٥٧).

إعراضُهم عمّا لم يقعْ مِن المسائل

عن طاوس رحمه الله قال: قال عمر رضي الله عنه: «لا يحلُّ لكم أن تسألوا عمّا لم يكن؛ فإنّه قد قَضَى فيما هو كائنٌ» (أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» رقم: ٢٩٢).

وعن مسروق رحمه الله قال: «سألْتُ أبي بن كعب رضي الله عنه عن شيءٍ فقال: أكان هذا؟ قلت: لا؛ قال: أجمّمنا- يعني: أرحْنا- حتّى يكونَ، فإذا كان اجتهدْنا لك رأيًا» (أخرجه أبوخيثمة زهير بن حرب في «كتاب العلم» رقم: ٧٦).

ماذا تفعل الحائض بالطواف إذا خشيت سفر الحملة؟

(٣٦٦٧/١٥٩/١٢)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

تعترض بعض النِّسوة فترة الحيض، فتمنعها عن طواف الإفاضة، وسعي الحج، ويحين موعد سفر الحملة قبل أن تطهر من حيضها، فكيف تتصرف؟ وماذا يلزمها لإتمام شعائر الحج؟

وقد أجابت اللجنة بالتّالي:

طواف الإفاضة ركنٌ من أركان الحجّ بإجماع الفقهاء.

والجمهور على أنّ الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر شرطٌ من شروط الطواف، وعليه فلا يجوز للمرأة الحائض أن تطوف في حيضها حتّى تطهر منه.

وذهب الحنفية إلى أنّ الطّهارة من واجبات الطواف، وليست شرطًا فيه، وعليه فإنّ الجمهور يرون أن على المرأة الحائض البقاء في مكة حتى تطهر، ثم تطوف وتسعى، والحنفية يجيزون للحائض إذا أرادت السفر قبل طهرها أن تعتصب وتطوف في حيضها، وعليها ذبح بدنة في الحرم فداء لذلك، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل يوكل على رمي الجمار ثم يسافر قبل وقت الرمي؟

الفتوى رقم (١٧٣٤)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

هناك أناس يوم العيد أو ثاني العيد، يوكلون على من يرمي عنهم الجمرات، ويسافرون إلى بلادهم، هل يعتبر حجهم كاملًا أم أنّه غير ذلك؟

فأجابت بما يلي:

أمر الله سبحانه في كتابه الكريم بإتمام الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وتمامهما لا يحصل إلا بإخلاصهما لله، والمتابعة فيهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لمسلم أحرم بحج أو عمرة أن يخلَّ بشيءٍ من أعمالهما، أو أن يرتكب من الأمور المنهي عنها ما ينقصهما.

ومن وكّل في رمي جمراته أيام التشريق أو أحد أيام التشريق، ونفر يوم النحر يعتبر مخطئًا مستهترًا بشعائر الله، ومن يوكل في رمي الجمرات اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر من أيام التشريق، ويطوف طواف الوداع ليتعجل بالسفر فقد خالف هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أمر به في أداء المناسك وترتيبها، وعليه التوبة والاستغفار من ذلك، ويلزم من فعل ذلك دم عن ترك المبيت بمنى، ودم عن تركه رمي الجمرات التي وكل فيها ونفر، ودم ثالث عن طواف الوداع، وإن كان طاف بالبيت لدى مغادرته؛ لوقوع طوافه في غير وقته؛ لأن طواف الوداع إنّما يكون بعد انتهاء رمي الجمرات.

إعداد : خالد محمد خلاوي

تطوير البحث على «تويتر»

أعلنت شركة تويتر عن تحديث وتطوير البحث على شبكتها للتواصل الاجتماعي على الإنترنت، ضمن خدمة جديدة أطلقت عليها اسم «البحث الأبسط»، وذكرت الشركة في موقعها أن البحث الجديد أصبح أذكى، حيث يقوم بعرض التغريدات ذات الصلة الأقرب إلى العبارة أو الكلمة المراد البحث عنها، بالإضافة إلى المقالات والحسابات والصور ومقاطع الفيديو المرتبطة، وقالت الشركة: إن ميزات البحث الجديدة متوفرة الآن على موقع الخدمة الرئيسي «twitter.com» وتطبيقي تويتر لهواتف «أندرويد» و«آيفون».

وبحسب موقع «عالم التقنية» فإن قائمة التحديثات الجديدة في بحث تويتر تضم:

- توفير ميزة الإكمال التلقائي عند إدخال الكلمات.
- الإكمال التلقائي يعرض نتائج متعلقة بالهاش تاق والحسابات التي تتابعها.
- يوفر بحث تويتر التصحيح الإملائي للكلمة، وهذه الميزة متوفرة للغة الإنجليزية فقط.
- إمكانية البحث عن الحسابات من خلال كتابة الاسم الحقيقي للمستخدم، أو اسم المستخدم المسجل فيه.
- إضافة خيار عرض نتائج البحث من الحسابات التي تتابعها فقط.

جوجل تدشن الإصدار الجديد من نظام التشغيل كروم

أعلنت جوجل عن إطلاق النسخة ٢٠ من متصفح الإنترنت جوجل كروم، لنظام التشغيل كروم السحابي في أجهزة كروم بوك.

ومن أبرز المزايا الجديدة لهذا الإصدار:

- دعم جوجل درايف.
- دعم مستندات جوجل دون الاتصال بالإنترنت.
- تحديث الـ Firmware للكروم بوك.
- تحديث Pepper Flash.
- إعادة تصميم واجهة المستخدم لأنظمة Cr-٤٨.
- التحويل إلى محرك الـ touchpad مفتوح المصدر على نظام Cr-٤٨.
- إصلاح عدد من حالات انهيار النظام.

مايكروسوفت تطلق النسخة التجريبية من أوفيس ٢٠١٣

أطلقت شركة مايكروسوفت النسخة التجريبية من حزمة تطبيقات أوفيس ٢٠١٣ بالإضافة إلى نسخة محسنة من تطبيقات أوفيس ٣٦٥ وذلك خلال مؤتمر صحافي أقامته في سان فرانسيسكو يوم ١٧ يوليو، ومن أبرز ما يميز الجيل الجديد من حزمة أوفيس هو التركيز الكبير على الأجهزة المحمولة، والشاشات اللمسية والتقنيات السحابية.

وذكر موقع aitnews.com المتخصص في أخبار التقنية أن أبرز ميزات التطبيق الجديد هو دعم اللمس ضمن مختلف الواجهات، وذلك لتنفيذ المهام والتحكم بحجم النص من أجل قراءة أفضل، بالإضافة إلى دعم الكتابة بشكل مباشر على الشاشات اللمسية باستخدام أقلام خاصة بالنسبة للحواسب اللوحية، بحيث يستطيع المستخدم تسجيل الملاحظات وتحويل خط اليد إلى نصوص بشكل تلقائي.

وأشار الموقع إلى أن مايكروسوفت تسعى إلى توجيه مستخدمي النسختين إلى خدمة التخزين السحابية التابعة لها SkyDrive عبر تشجيعهم على تسجيل الدخول باستخدام حسابات «مايكروسوفت لايف» الخاصة بهم. وستسمح هذه الميزة للمستخدمين بتخزين ملفاتهم في السحابة على مخدمات مايكروسوفت، حيث يمكن مزامنة الملفات وفتحها من أي منصة تمتلك اتصالاً بالإنترنت.

ثلاجة ذكية تتصفح الإنترنت وتتسوق

لأول مرة في عالم الأجهزة المنزلية تظهر ثلاجة ذكية متعددة الإمكانات قد تُحدث طفرة في عالم الأجهزة التي من نوعها، حيث تتيح الدخول على الإنترنت لإجراء عمليات التسوق وتحميل وصفات الأطعمة.

وبحسب ما ذكرته وكالات الأنباء فقد كشفت إل جي عن الثلاجة الجديدة ضمن فعاليات معرض السلع الاستهلاكية في دورته الأخيرة في لاس فيجاس، ومن المنتظر طرحها في الأسواق قريبًا مقابل نحو ٣١٠٠ دولار أميركي.

ومن أبرز خواص الثلاجة وجود كاميرا وشاشة لمس إل سي دي تتيحان عرض محتوياتها من الداخل، كما تتمتع الثلاجة أيضا بخاصية التحكم عبر الصوت لتسهيل نقل محتوياتها. أما أهم مميزاتها فهو تسجيل المحتوى الغذائي بداخلها، وإعداد قائمة بالأغذية الناقصة وإضافتها إلى حساب التسوق عبر الإنترنت، ما يعني توفير الوقت والجهد على المستخدم.

وتتكيف الثلاجة الذكية تبعًا لطبيعة أفراد الأسرة المستخدمة من حيث النوع والسن: فهي تعد قوائم بالأطعمة المفضلة لديهم من حيث النوعية والقيمة الغذائية، مع مراعاة متطلبات المستخدمين كاملة.

نصائح مهمة لحماية جهازك من الفيروسات والهاكرز

أصبح تسلل الفيروسات والهاكرز إلى الأجهزة من خلال الإنترنت أمرًا يقلق مستخدمي الشبكة العنكبوتية، ولذلك فإن حماية جهازك الشخصي أصبح من الأهمية بمكان. ونقدم لك هنا أهم نصائح خبراء التقنية في الحماية والوقاية من الفيروسات والاختراقات بأنواعها..

وأهم هذه النصائح:

تنصيب الإصدارات الجديدة من برامج الحماية من الفيروسات على جهازك، فالبعض يختار نسخة قديمة من برامج الفيروسات قد يصعب تحديثها، وهناك برامج مجانية على الإنترنت وأخرى مدفوعة متوفرة بالأسواق، ويمكن أن يؤدي برنامج مكافحة الفيروسات إلى تبطيء جهازك، لكنه يمثل أول خطوة نحو حماية الجهاز، سواء من الفيروسات أو المرفقات المصابة في رسائل البريد الإلكتروني.

تنصيب برنامج الجدار الناري ضد الاختراق (فاير وول) وأفضل هذه البرامج برنامج Zone Alarm.

استخدام برامج المحادثة الموثوق بها: حيث إن معظم عمليات الاختراق تكون من برامج المحادثة، فيجب توخي الحذر عند تنصيب برنامج محادثة أو مكالمات مجانية، واختيار برنامج من شركة موثوق بها.

تحديث جهازك وبرامج مضادات الفيروسات أولًا بأول.

عدم تحميل مرفقات رسائل البريد الإلكتروني التي تأتي من مصدر مجهول، ويفضل الكشف على مرفقات الرسائل الإلكترونية عن طريق برامج الحماية قبل فتحها.

استخدام كلمات مرور معقدة وطويلة لحساباتك على الإنترنت، ويفضل تغييرها بشكل دوري: ليصعب على الهاكر اكتشافها والسطو عليها.

عمل نسخ احتياطية على أقراص مدمجة أو وحدات تخزين خارجية من ملفاتك المهمة على الجهاز بشكل دوري.

إزالة الملفات المؤقتة بعد تصفح الإنترنت، ففي كل مرة تتصفح فيها الإنترنت يعمل جهاز الكمبيوتر على تخزين معلومات التصفح لزيادة السرعة. فعلى سبيل المثال، يتم تخزين المعلومات عندما تتقدم بطلب شراء عبر الإنترنت، أو تستخدم بعض الخدمات المصرفية على الشبكة المعلوماتية.. ولكنك قد لا تدري عندما تتعرض بياناتك لهجوم فيروسي أو اختراق من القراصنة «الهاكرز»، حينئذ قد تفقد معلومات سرية إذا لم تتخذ الإجراءات السليمة لحماية جهازك.

تشفير جهاز الراوتر حتى لا يسهل على أي قرصان من قراصنة الإنترنت الدخول إلى شبكتك، أو ربما سرقة المعلومات المخزنة على جهازك.

استخدام متصفح آمن للإنترنت يقوم بفحص مواقع الإنترنت قبل الدخول عليها، ويحتوي على أدوات مكافحة التجسس.

مواقع مفيدة

موقع «أبجد».. شبكة عربية للتواصل بين القراء والمؤلفين

يعتبر موقع أبجد أول شبكة عربية من نوعها للتواصل الاجتماعي بين القراء والمؤلفين، بغرض التواصل فيما بينهم، وتبادل الآراء والتوصيات عن الكتب، بالإضافة إلى كتابة المراجعات ومتابعة المؤلفين.

ويتيح الموقع للقراء البحث عن عناوين الكتب والمؤلفات، وإبداء الإعجاب بالكتب، ويمكن الاشتراك على الموقع مباشرة أو عمل اشتراك من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

رابط الموقع: http://www.abjjad.com/Beta

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

المرونة أساس النجاح

الطريق إلى التميز ليس مستحيلاً، فقط أنت بحاجة إلى أن تعرف كيف تصل، وأن تسير على الطريق، ومهما كانت المسافات بعيدة فعليك بالاستمرار.

عليك في البداية إدراك أساس مهم للغاية، وهو أن تعلم أن نجاحك لا يعتمد على عملك ومهاراتك العملية فحسب، بل يعتمد أيضًا على مهاراتك الشخصية وأفكارك وأخلاقك ومرونتك ومهاراتك الاتصالية وقدرتك على التخطيط لحياتك واتخاذ القرارات وتنفيذها.

ثم يجب أن يكون لديك مفهومك الذاتي عن العالم، وإدراكك أن البيئة المحيطة بك مختلفة تمامًا عنك وعن معتقداتك الشخصية وأفكارك، فتعلم المرونة، وتدرب على الاختلاف في الرأي، وتعلم أنه حين تختلف مع رأي شخص آخر فهذا لا يعني أنك تختلف معه على طول الخط أو تختلف معه كليًا، بل أنت في هذه الحالة تختلف مع فكرته فقط أو رأيه.

ولا تنس أن النجاح والتميز في العمل أو الأسرة، أو الحياة عمومًا لا يأتي دفعة واحدة، بل هو عبارة عن سلسلة من الإخفاقات والنجاحات، وعليك أن تملك الإرادة لتجاوز الفشل والارتقاء نحو النجاح.

● حسام أبو جبارة

المحرر:

الأخ الكريم حسام فتحي أبو جبارة من فلسطين شكرًا جزيلاً على مساهمتك القيمة وإن لم يتسع المقام لنشرها كاملة فإننا نؤكد على حديثك ونصائحك الغالية، كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه «المسلم هين لين سهل» وبالتالي هو مرن يتقبل الإختلاف وفي انتظار مزيد من مشاركاتكم.

لحظة توبة

إنها حقًا لحظة من أجمل وأروع لحظات العمر.. تلك اللحظة التي يتوب فيها الإنسان عن المعاصي والذنوب ويعود خاضعًا خاشعًا لله رب العالمين، والتوبة لا تكون مجرد لحظة فقط وإنما هي توبة دائمة متواصلة وعزم أكيد على عدم العودة إلى المعاصي مرة ثانية، هي أيضًا توبة مستديمة واستغفار دائم لرب العالمين تلك هي التوبة الحقيقية لا التوبة المزيفة التي يظن صاحبها أنه يخادع بها الله عز وجل (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).. فالتوبة الصادقة تطهر صاحبها من كل معاصيه وما اقترفه من آثام وذنوب ولسوف

الدين النصيحة

الدين النصيحة جملة بليغة تحمل معاني ودلالات عظيمة قالها المصطفى ﷺ وحث على النصيحة.. ذلك لما لها من دور عظيم وأثر بالغ على المسلمين، لاسيما إن كانت هذه النصيحة خالصة لوجه الله تعالى فالنصيحة وظيفة الرسل السابقين عليهم السلام الذين آمنوا بالله، ونصحوا قومهم ودعوهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك والأوثان وكان آخرهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين الذي نصح أمته، وتركها على المحجة البيضاء، ودلهم على الخير كله، وفي هذا الحديث يكرر الرسول ﷺ الدين النصيحة ثلاث مرات، وذلك تأكيدًا لأهميتها ومنزلتها.

عبدالعزيز السلام أوثال

المحرر:

حفظك الله وحفظنا وأدام علينا نعمة التناصح فمن أسباب هلاك أقوام أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر يفعلونه ولا يستمعون لنصيحة صادقة وإن كنا نركز كما قلت أخي الكريم على أسلوب التناصح وأهمية ألا تكون النصيحة منفرة أو محرجة أو مقللة من شأن المنصوح.. نفعنا الله ونفعكم بما أوردتموه.

فلسفة التغيير

لاشك أن قضية التغيير، قد أصبحت من القضايا الأساسية في عالم اليوم، عالم التطورات السريعة عالم لا تتوقف مسيرته، ويتأخر من لا يعد العدة لخصمه، وبما أننا جزء من هذه المسيرة، وبما أن الإنسان هو المخلوق الذي سخر الله له سائر المخلوقات في هذا العالم، فلابد من التأثر والإجابة لهذه التغييرات، ولكن بما يتفق مع خصوصياتنا الثقافية والتاريخية والعقائدية حتى نستطيع المحافظة على ذاتيتنا، وحتى لا نتأخر عن ركب التقدم، والعالم الذي نعيش فيه، ويجب أن يتفاعل برؤية إيجابية بين التأثير والتأثر.

يلقى جزاء التائبين الصابرين المجاهدين الذي جاهدوا النفس ولم ينصاعوا وراء أهوائهم.

● أحمد عبداللطيف النجار

المحرر:

وصلتنا مجموعتكم من القصص الهادفة وإن كانت تعكس الواقع الأليم الذي تعيشه بعض الأسر البعيدة عن القيم الاسلامية فإنها مازالت تحتاج الى تعميق أسلوبي كنوع من الفن السردي .

في الأزمات وأوقات الشدة.. تظهر معادن الرجال

في حياة الأمم تحدث أزمات قد تهدد وحدة الصف بين أبناء الأمة وتنذر بأخطار قد تدمر صروح هذه الوحدة وفي قمة هذه الشدائد تظهر معادن الرجال من خلال مواقفهم التي من أهم صفاتها نبل القصد وحسن النية في الوقوف بعزيمة قوية لا تعرف اليأس وبعزائم الرجال تتقشع أوقات الشدائد وتلتئم الصفوف وتتوارى النزاعات والخلافات والانشقاقات.

ولاشك أن في وقائع التاريخ الكثير من الأحداث، ونماذج متعددة من ذلك الماضي البعيد يمكن أن تنير الطريق لكل من يريد بناء أمة أو المساهمة في استعادة وحدة صفوف تحت لواء واحد.

● محمد السيد عامر

المحرر:

صدقت أخي الكريم وهل تنتصر الأمم وترتقي إلا بسواعد هؤلاء الصادقين المخلصين الذين لا يرجون إلا ثواب الآخرة.. لقد قرأنا رسالتك وتأملنا الأوضاع في البلدان التي تشهد أزمات طاحنة ورأينا كيف أن معادن الرجال ظهرت بالفعل في وقت الشدة لتحمي البلاد والعباد.

ولذلك يجب أن يكون التغيير، والإعداد له، شاملاً شمول الضروريات والحاجيات الإنسانية، وينبغي أن يشمل التغيير كافة مجالات الحياة بأبعادها المختلفة.

الدكتور عبدالرحمن محمد

المحرر:

الأخ الكريم د.عبدالرحمن وصلنا كتاب فلسفة التغيير لمؤلفه يحيى الزنط وناشره مكتبة مدبولي الصغير، لكن العرض لم يكن واضحًا للقراءة، نشكر مساهمتك وفي انتظار المزيد من المساهمات على أن تكون واضحة.

واقعنا والله المستعان

شأن ذا العصر ابتلاء واضطراب
واغتصاب لحقوق واستلاب
وعمىً عن واجبات شأنها الصون
والتقدير من دون ارتياب
وغدا ذو العلم كالمغمور في اليم
لا يُدرى به بين العباب
وصغير القوم أضحى عندهم
ككبير بالسوء الانقلاب
ولئام الناس فيهم شرفت
وشريف القوم أضحى لايهاب
وتساوى الناس فيما بينهم
ضاع ذو الفضل وضاع الانتساب
لا ترى فيهم غيوراً بحفظ
الحق والعدل ويهدى للصواب
غاض فيهم نبع حق وسعى
فيهم الظلم بأظفار وناب
وظنون الناس ساءت فغدوا
في اعتداء وافتراس كالذئاب
وخلت أفئدة من رحمة
فتراها في اقتتال واحتراب
يفتك الأقوى بمن هم دونه
مثل بهم عاث فيهم ليث غاب
وفشى المنكر فيما بينهم
وتمادو في نفاق وخلاب
ليس للمنكر ناه لا ولا
آمر بالعرف من بين الصحاب
يتراممون على الممنوع كالحلو
إذ تأتيه أسراب الذباب
أكلوا السحت احتيالاً وربا
ويحهم كيف نسوا يوم الحساب
حق أن نبكي على أحوالنا
بدموع ساخنات وانتحاب
أيها القوم ارعوا وانتبهوا
وارجعوا قبل معاناة العذاب
إن تخلى الناس عن أخلاقهم
فسيغدو جمعهم صرعى تباب
أدرك الكل إلهي منقذاً
وأتنا باللطف من أرحب باب
واهدنا وارحم مغيثاً حالنا
بعد أن حاقت سود الصعاب

● عدنان حقي

المحرر: أخي عدنان يسعدنا أن تتابع مواد المجلة بهذا الشغف وهذه الدقة ونتطلع ليوم نتمكن فيه من نشر كل مساهمات القراء خاصة الموهوبين أمثالكم.

تعقيب على تحقيق المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهوض

بادئ ذي بدء نتقدم بخالص الشكر والتقدير لمجلة المسلمين الغراء «الوعي الإسلامي» على اهتمامها أخيرًا بقضية التعليم الأزهري، وأسباب ترديه وعوامل نهوضه.

وقد سبقتها زميلات أخرى من المجلات والصحف المصرية تحديدًا إلى ذلك الشأن الأزهري، مثل مجلة الأزهر، وبعض الجرائد مثل الأهرام واللواء الإسلامي وآفاق عربية والأسرة العربية والأخبار والجمهورية وغيرها، وكذلك مجلة المجتمع الكويتية.. ونتمنى من «الوعي الإسلامي» مواصلة سبر أغوار هذا الملف الشائك، وتلك القضية الكبرى وتحليلها بل وتشريحها، وفتح الباب على مصراعيه للكتابات المتخصصة الحقيقية، العميقة والمخلصة في المقام الأول، والمهتمة والمهمومة فعلًا بقضايا التعليم الأزهري ومعاهده وجامعته العريقة تاريخًا وحضارة وعلمًا وتنويرًا؛ حتى نصل سويًا إلى الوقوف على أهم وأدق أسباب تردي الأزهر الشريف ومعاهده.. ونحدد معًا- وبدقة عالية- عوامل النهوض الحقيقية الفعالة للأزهر جامعًا وجامعة ومعاهد.

كما أتقدم بشكر جزيل وتحية خالصة وخاصة للأخ الفاضل الأستاذ همام عبدالمعبود، الذي تعودنا منه على الكتابات الجيدة، والتحقيقات المهمة، والحوارات الشائقة عبر مجلتنا الجميلة «الوعي الإسلامي» وغيرها من الدوريات المحترمة، مثمنًا جهده الطيب في طرح بعض مشاكل وقضايا التعليم الأزهري بقطاع المعاهد الأزهرية، التي هي قضية كل مثقف مسلم، وبحثه عن أسباب تخلفها الراهن، ووضع الحلول المناسبة والأدوية الناجعة لذلك؛ حتى تتقدم وتتطور تلك المعاهد العلمية العظيمة، وتؤدي دورها الحيوي الخطير والمهم في حمل الشأن الإسلامي عمومًا، والدعوة الإسلامية خصوصًا.. والنهوض بأمتنا الإسلامية نحو الأفضل والأجمل دائمًا بإذن الله تعالى، وذلك في تحقيقه المهم والمعنون بـ«المعاهد الأزهرية.. أسباب التردي وعوامل النهوض» والذي قامت بنشره «الوعي الإسلامي» في عددها رقم (٥٦٤)، شعبان ١٤٣٣هـ يونيو/ يوليو ٢٠١٢م.

وهو في مجمله تحقيق طيب، وإن كانت عليه بعض الملاحظات المهمة من وجوه عدة، لكنه نجح إلى حد معقول في إماطة اللثام عن بعض العيوب التي تعيق تقدم العملية العلمية والتعليمية والدعوية بالمعاهد الأزهرية، من خلال محاوراته مع بعض المقربين من التعليم الأزهري وقضاياه، وإن كان بعضهم غير متخصص في ذلك بالمعنى الدقيق.. في هذا التعقيب المبدئي المختصر سوف نتناول بعض أسباب تردي وضعف وترهل المعاهد الأزهرية علميًا وتعليميًا وإداريًا وسياسيًا، وذلك على سبيل الاستدراك فقط على هذا التحقيق الجيد، لفتح المجال أمام المهتمين والمتخصصين والمختصين بهذا الشأن، لأهميته الكبرى، وكذلك فتح طاقة أمل ومد طوق نجاة للمضارين من هذه الأسباب المعيقة لعملية التعليم في المعاهد الأزهرية، وفي مقدمتهم طلبة وتلاميذ هذه المعاهد المظلومون من وجود مثل هذه الأسباب، والتي تعد في نظرنا أسباب تخلف وفساد بكل تأكيد، ثم من بعدهم أولياء أمور هؤلاء الطلاب، ثم المعلمون بهذه المعاهد، ثم الأزهر الشريف ذاته، ثم الدولة المصرية، ثم الأمة الإسلامية.. في هذه السلسلة المرتبطة والمتقاربة من بعضها.

أما شرح وتحليل وتناول هذه الأسباب وغيرها، والتعليق عليها، وإثبات مدى ضررها وخطرها على العملية التعليمية بتلك المعاهد، وطرح سبل التخلص منها، ومعالجة آثارها السيئة على العلم والتعليم والمتعلمين والمعلمين، وعلى كل من له علاقة انتفاع منخرمة من نجاح مسار العلم بهذه المعاهد.. فسيأتي تفصيله لاحقًا بإذن الله تعالى، كما ذكرنا آنفًا إن كان هناك مجال ومساحة.

ومن بين أهم أسباب تردي عمل هذه المعاهد الأزهرية علميًا وتعليميًا، والتي عشناها شخصيًا لمدة عقد ونصف من الزمن بين جدران تلك المعاهد وفي فصولها الدراسية ومراحلها التعليمية الثلاث كتلاميذ وطلاب قبل الجامعة ثم بالتدريس فيها بعد الجامعة لفترة أخرى، في نظرنا هذه الأسباب:

١- الكم الهائل المقرر من مادة القرآن الكريم، وهذا السبب هو أخطر عيوب التعليم الأزهري على الإطلاق.

٢- العدد الكثير من المواد الدراسية.

٣- اللغة الجافة التي تقدم بها كتب التراث في المواد الشرعية والعربية.

٤- عدم وجود مجموع معين أو نسبة نجاح محددة في الشهادة الإعدادية بتلك المعاهد للالتحاق بالثانوي الأزهري.

٥- نموذج تصحيح الإجابات في الامتحانات، وسوء تعامل المصححين معه.

٦- النظام العجيب والمتخلف جدًا لنظام الدور الثاني (الملاحق) بتلك المعاهد.

٧- جدول الامتحانات ونظامه السيئ.

٨- عدم وضوح نظام المواد الدراسية بالأزهر، خاصة الشرعية منها، من حيث عددها والحد الأقصى من هذه المواد.

٩- الاختبار الشفهي (الشفوي) وويلاته ومصائبه الكارثية المدمرة.

١٠- عدم توحيد الجهة التي تقوم بوضع وتقرير المواد الدراسية على طلبة تلك المعاهد.

١١- ضعف إخراج الكتب الشرعية والعربية التي يدرسها الطلاب تربويًا، من حيث قلة الاختبارات والتقويمات والأسئلة ونماذج الإجابة بها.

١٢- سوء وتردي المنشآت والمباني التعليمية في كثير من أبنية هذه المعاهد.

١٣- عدم وجود المناطق الأزهرية (مديريات التربية والتعليم بالمحافظات في التعليم العام) بالمراكز، كما هو الشأن في الإدارات التعليمية بالتعليم العام بكل مركز وليس بالمحافظة فقط.

١٤- التقصير الشديد وضعف الوعي والضمير من معظم الأزهريين أنفسهم في حق التعليم الأزهري، وعدم انتفاضتهم على هذا الوضع المتردي والبالغ السوء، رغم وجود هذا الوضع الكئيب منذ سنوات عديدة.

١٥- اختيار المذهب الفقهي للتلاميذ الصغار مبكرًا في بداية المرحلة الإعدادية.

١٦- ضعف الاهتمام بحصة التربية الفنية ومواد الرسم، والخط العربي والتصوير والمجسمات والموسيقى والإنشاد والتمثيل وغيرها.

١٧- قلة الاهتمام بحصة أو محاضرة التربية الرياضية للطلاب، وكذلك قلة عدد المعلمين وغيرهم.

١٨- عذاب الطلاب فيما يسمى بطابور الصباح (طابور الذنب) من حيث إرهاق الطلاب وإضاعة وقت مهم لهم ولمعلميهم.

١٩- عدم المراجعة الجيدة لما يتم تحفيظه للتلاميذ من القرآن الكريم من المسؤولين عن شؤون القرآن بقطاع المعاهد الأزهرية.

٢٠- قلة وجود مكتبات كبرى ومتخصصة ليقرأ فيها الطلبة والمعلمون وجميع العاملين، على أن تعمل في الدراسة وبعدها وحتى في الإجازات وعطلة نهاية العام، وعمل مشاريع القراءة الصيفية.

محمود زويل

الحركة الطلابية المغربية

تعتبر الحركة الطلابية المغربية هي مورد لإنتاج النخب بامتياز وطالما أن هناك حركة طلابية حاملة لهم رسالة المجتمع ومؤمنة بمبادئ وقيم اجتماعية نبيلة إلا وكان للمجتمع نخبة نزيهة، وساهمت الحركة الطلابية منذ عقود من الزمن في إنتاج رموز للإصلاح ومقاومة الفساد، كما أنها ساهمت كذلك في مقاومة مد الفساد القيمي والأخلاقي من داخل الجامعات المغربية بالإضافة إلى دعم القضايا العادلة وإلى جانب ذلك كان لمنظمة التجديد الطلابي دورًا رياديًا إلى جانب أطراف الحركة الطلابية منذ تأسيسها في ٨ مارس ٢٠٠٣ كجمعية مدنية شبابية طلابية تعمل أساسًا في الوسط الطلابي وقبل ذلك من خلال عملها كقطاع طلابي لحركة التوحيد والإصلاح منذ سنة ١٩٩٦ من خلال الوحدة المباركة بين حركة التجديد والإصلاح ورابطة المستقبل الإسلامي التي وازنتهما وحدة فصائلية طلابية ما بين فصيل فعاليات طلابية التابع للرابطة وفصيل الطلبة التجديديين التابع لحركة التجديد والإصلاح وهاته الوحدة أنتجت لنا فصيلاً طلابيًا وهو فصيل الوحدة والتواصل، والجدير بالذكر أنه كان يسود خطأ شائعًا ومازال يسود إلى الآن وهو أن منظمة التجديد الطلابي جاءت بديلاً عن فصيل الوحدة والتواصل من داخل أوطم أو حتى الإتحاد الوطني لطلبة المغرب كمنظمة نقابية وحقيقة الأمر هو أن المنظمة توازي القطاع الطلابي لحركة التوحيد والإصلاح من خلال دورها، أما فصيل الوحدة والتواصل فيظل لائحة نقابية انتخابية مقترحة من داخل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بعد الحظر القانوني والعملي ومنظمة التجديد الطلابي فهي جمعية مدنية وليست منظمة نقابية.

● يوسف الفاسي- عضو منظمة التجديد الطلابي وفاعل حقوقي

.....

المحرر:

نشكرك أخي يوسف على فتح نافذة معرفية تنقل لنا شيئًا عما يجري في مضمار الحركة الطلابية المغربية ونأمل في مزيد من المساهمات التي تتفق مع الخط الرئيسي للمجلة.

ردود سريعة

● الأستاذة الكاتبة سهير أبوبكر الشاذلي من مصر: وصلتنا رسالتك التي تعكس مدى متابعتك الدقيقة لكل ما ينشر في الشأن الثقافي الإسلامي، ونشكرك على التنبيه الخاص بمقال «الموريسكيون» في إسبانيا، بتاريخ رمضان أغسطس، وسيتم لفت نظر كاتب المقال واتخاذ اللازم.. جزاكم الله خيرًا.

● الشاعر المبدع محمد أحمد جلو: قصيدتكم تدل على خبرة شعرية وطول باع في نظم القوافي، لكنها لا تناسب، بسبب غزليتها، سياسة تحرير المجلة، نشكركم وننتظر منكم مساهمات أخرى في موضوعات مختلفة.

● الأخ الكريم جبر الخالدي: مساهمتكم بشأن الخليفة أبي بكر الصديق بدت مكررة من حيث المعلومات المتاحة وأسلوب العرض، نقترح إفادة المجلة بمساهمات أخرى تصبون فيها من خبرتكم العميقة.

● الفاضل د.عمر محمود السيد محمود: يبدو أن موضوع الطب البديل مازال يثير الجدل في الأوساط الثقافية المختلفة، ولذا فإن وجهة نظركم التي تؤكد بيع الوهم للمرضى، تحترم في حد ذاتها، وإن كانت تلقى ردود فعل غاضبة من آخرين استطاعوا أن يوثقوا فائدة الأعشاب الطبية وغيرها من أساليب العلاج التكميلي.. أسعدتنا مشاركتكم، وفي انتظار مشاركات أخرى.

● الباحث أحمد مصطفى علي: مقالتك بشأن أسباب تشويه صورة الحضارة الإسلامية لدى الغرب مميزة، وسيتم بحث كيفية الاستفادة منها وفق سياسة التحرير بعيدًا عن التعرض للديانات الأخرى.

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيماناً من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوماً.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

أدوأ الداء

قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركُم بأدوأ الدَّاءِ؟ قالوا: بلى.
قال: الخُلُقُ الدَّنيُّ واللِّسَانُ البذيُّ.
وقال بعض الحكماء: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ.
وقال بعضُ البُلَغاء: الحَسَنُ الخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ في راحة، والنَّاسُ منهُ في سلاَمَة، والسَّيئُ الخَلقِ النَّاسُ منهُ في بلاءٍ، وهو مِنْ نَفْسه في عناءٍ.
وقال بعض الحُكماء: عاشِر أهلك بِأَحْسَنِ أَخلاقِكَ فإنَّ الثَّوَاءَ (الإقامة) فيهم قليلٌ.

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

من درر الشافعي

قال الإمام الشافعي رحمه الله:
ليس بأخيك مَنْ احتجت إلى مداراته.
ليس الخطأ أن يرمي الإنسانُ الهدف؛ إنما الخطأ ما تعمده.
ليس العلم ما حفظ العالم، بل ما نفع.
ليس من المروءة أن يخبرَ الرجلُ بسِنِّه، لأنه إن كان صغيرًا استحقروه، وإن كان كبيرًا استهرموه.

(مناقب الشافعي للبيهقي، وتوالي التأسيس لابن حجر)

أوَّل القضاة

أول قاضٍ في الإسلام: «عمر بن الخطاب رضي الله عنه».
أوَّل من تولى القضاء في مصر: «قيس بن أبي العاص السهمي».
أوَّل من تولى القضاء في البصرة: «إياس بن صُبيح».
أوَّل من تولى القضاء في المدينة: «عبدالله بن نوفل».
أول من تولى القضاء في دمشق: «أبو الدرداء، عويمر بن مالك بن قيس».
أول من تولى قضاء المالكية في دمشق: «عبدالسلام بن علي بن عمر بن سيد الناس».
أول من تولى قضاء الحنابلة في دمشق: «عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي».
أول من تولى قضاء القسطنطينية: «خضر بن جمال الدين بن أحمد».

(معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

عليك بالرفق

أثنى رسول الله ﷺ على الرفق، وبالغ فيه فقال: «مَنْ أُعطي حظَّهُ من الرفق فقد أُعطي حظَّهُ من الخَيْر، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير» (رواه الترمذي).
وقال ﷺ: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق» (رواه أحمد).
وقال ﷺ لعائشة: «عليك بالرفق؛ فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». (رواه احمد).

آداب المناظرة

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إذا ما كنتَ ذا فضلٍ وعلمٍ
بما اختلفَ الأوائلُ والأواخرْ
فناظِرْ مَنْ تُناظِر في سكونٍ
حليمًا لا تلجَّ ولا تكابرْ
يفيدك ما استفاد بلا امتنانٍ
منَ النُّكت اللطيفةِ والنَّوادرْ
وإيَّاك اللَّجوجَ ومَنْ يُرائي
بأني قد غلبتُ ومَنْ يُفاخرْ
فإنَّ الشَّرَّ في جَنَباتِ هذا
يُمَنِّي بالتَّقاطعِ والتَّدابرْ

(ديوان الإمام الشَّافعي)

أربع فيهن صلاح دينك

قال صالح بن كيسان: خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبدالملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلامًا أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك، قال: ما هي؟ قال: لا تَعِدنَّ أحدًا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنَّك مرتفق سهلاً إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن الأعمال آخرًا فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر.

(التماس السعد في الوفاء بالوعد لأبي الخير السخاوي)

ريح الموت

دخل جرير والفرزدق والأخطل على عبدالملك بن مروان، وبين يديه صحفة من ذهب، فقال: هي لأجودكم فخرًا بنفسه.

فقال الأخطل:

أنا القطران والشعراء جَرْبَى
وفي القطران للجربى شفاءُ

قال الفرزدق:

فإن تك زقّ زاملة فإنّي
أنا الطاعون ليس له دواءُ

قال جرير:

أنا الموت الذي آتي عليكم
فليس لهارب مني نجاء

فقال عبدالملك: «ربح الموت».

(لطائف عربية)

يا نفس ألا تستحين

قال أبوالعَبَّاس المُوصلي رحمه الله: «يَا نَفْسُ، لا فِي الدُّنيَا مَعَ أَبْنَاء المُلُوك تَتَنَعَّمِين، وَلا فِي طَلَبِ الآخِرَةِ مَعَ العُبَّاد تَجْتَهِدِين، كَأَنِّي بِك بَيْنَ الجَنَّة والنَّارِ تُحْبَسِين، يَا نَفْسُ أَلا تَسْتَحِين».

(موسوعة أقوال الحكماء)

فضائل العلم

قال ابنُ حزم رحمه الله: «لو لمْ يكن منْ فضلِ العلمِ إلا أَنَّ الجُهَّال يهابونَكَ ويُجِلُّونَكَ، وأَنَّ العلماء يحبونكَ ويكرمونكَ، لكانَ ذلكَ سبباً إلى وجوبِ طلبِه، فكيفَ بسائرِ فضائلِه في الدنيَا والآخرَة! ولو لمْ يكن منْ نقصِ الجهلِ إلا أَنَّ صاحبهُ يحسدُ العلماءَ ويغبطُ نظراءهُ منَ الجُهَّال، لكانَ ذلكَ سببًا إلى وجوبِ الفرارِ عنهُ، فكيفَ بسائرِ رذائلِه في الدنيَا والآخرَة».

(مداواة النُّفوس لابن حزم)

الأشرار يبتغون مساوئ الناس

قال أحد الحكماء لابنه: «الأشرار يبتغون مساوئ النّاس، ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الآلمة من الجسد ويترك الصحيحة».

وقال أحد الملوك لولده: ليكن أبغض رعيتك إليك أشدهم كشفًا لمعايب النّاس، فإنَّ للناس معايب وأنت أحق بسترها، وأنت إنما تحكم بما ظهر لك، والله يحكم فيما غاب عنك؛ واكره للناس ما تكره لنفسك، واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره، ولا تصغ إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاشّ، وإن قال قول نصيح.

(أخبار العرب ٦٣/٣).

كم من محتقَر احتيج إليه

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع ، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما كما يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه، لكن كم من محتقَر احتيج إليه، فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضر.

ولقد احتجت في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم.

واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا يعلم، لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربًا.

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في ألا يظاهر بالعداوة أحدًا لما بينت من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض، وإقدار بعضهم على ضرر بعض.

(صيد الخاطر)

يخاف ويرجو

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بُنَي، خَفْ منَ الله خوفًا لا تيأس فيه منْ رحمتهِ، وارْجُهُ رجاءً لا تَأْمَنَ فيه مكرهُ، ثُمَّ فسَّرهُ فقال: المؤمن كذي قلبين، يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر».

(الوعظ المطلوب للقاسمي)

الخزانة الفارغة

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: الأيام تُبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى يوم القيامة خزانة فارغة فتندم.

(حفظ العمر لابن الجوزي)

علامة صدق التائب

«منْ علامة صدق التائب في توبته أَنْ يَسْتبدِلَ بحلاوة الهوى حلاوة الطَّاعة، وبفرح ركوب الذَّنب الحزن عليه، والسرور بحسن الإنابة، وفي معناه قول بعضهم: لَا يكون العبد تائبًا حتى يُدْخِلَ مرارة مخالفة النَّفس مكان حلاوة موافقتها».

(الوعظ المطلوب للقاسمي)

فلسفة العدل في التصور الإسلامي

أ. د. أمان قحيف
مفكر إسلامي

كشف الدين الإسلامي الحنيف النقاب عن أهمية العدل في حياة الناس وأشار الى أن استمرار التوازن والاتزان في المجتمع البشري على هذا الكوكب يرتبط إلى حد كبير بتحقيق العدل- كقيمة إنسانية رفيعة- بين الإنسان وأخيه الإنسان.. ولأن حفظ الاتزان داخل المجتمعات الإنسانية على هذا الكوكب يرتبط إلى حد كبير بإقامة العدل فقد أشار الله تبارك وتعالى في قرآنه الكريم إلى أن تحقيق العدل بين الناس يعد من الأهداف السامية التي أراد السميع العليم تحقيقها عن طريق إرسال رسله الكرام معهم الكتب السماوية المنزلة، قال ربنا عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

ولقد ذكر المفسرون في معنى هذه الآية «أن الله تعالى أرسل الرسل بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة وأوحى إليهم الكتب السماوية والميزان ليلتزم الناس بالعدل في معاملاتهم».. فالمعاملات البينية بين الناس يجب أن تقوم على العدل وفقًا لمنهج الرسل والأديان.

ويعد العدل ضرورة بل حتمية لاتساق الحياة واستمرارها داخل المجتمعات الإنسانية، لذا فقد نبه القرآن الكريم المؤمنين إلى عدم الانسياق وراء عواطفهم وأهوائهم عند التعامل مع الناس كي لا يبتعدوا عن العدل وكي لا يقتربوا من الجور، فثمة ضرورة حتمية لتحقيق العدل داخل بنية المجتمع المسلم وخارجه، حتى وإن كان هناك من ظلمنا وتطاول علينا وأغضبنا وجعلنا نبغضه؛ كل ذلك لا يجب أن يكون- من الوجهة الشرعية- مدعاة أو مبررًا للجور والظلم؛ لأننا نكون أقرب للتقوى بقدر ما نكون أصحاب سلوك يتسم بالعدل بين الجميع، قال الحكيم في تشريعه العليم بطبائع خلقه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

ولأن استمرار التماسك داخل بنية المجتمع يرتبط إلى حد كبير بتحقيق العدل بين مختلف أبنائه فقد نبه الله تعالى إلى ضرورة أن يطبق العدل بين الناس أجمعين دونما نظر إلى الروابط التي تربط بين من يقوم بالفصل في المنازعات وبين أحد طرفي النزاع، بل طالب القرآن الكريم بالعدل حتى وإن كان الإنسان سيحكم على نفسه أو على والديه، وهما من أمر الله تعالى بالإحسان إليهما طوال الوقت وطالب بعدم التبرم في وجههما ولو بكلمة «أف»، قال ربنا في تأكيد واضح على ضرورة الأخذ بالعدل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (النساء: ١٣٥).

ولاشك أن في قول النبي ﷺ لأسامة بن زيد عندما جاء يتشفع في حد من حدود الله: «... إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».. لاشك أن في هذا الكلام دليل قاطع على ضرورة تطبيق العدل بين كل أفراد المجتمع، لأن غياب العدل يعني فساد الحياة الاجتماعية ويؤدي إلى تدميرها من خلال إحساس بعض الناس بالظلم، هذا الإحساس الذي لا يرفعه من النفوس إلا الرجوع السريع إلى العدل بين الجميع.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

بنك السعادة

المشروع القيمي لتعزيز العلاقات الاسرية

فلاشات بنك السعادة

سلسلة من أجمل الفلاشات القيمية
تناقش وتعالج أخطر المشاكل الأسرية
بطريقة سلسة وشيقة وإبداعية

DVD

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com

youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom

إدارة الإعلام الديني - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكويت- مجمع الوزارات - بلوك ١٦ الدور الأول تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

اقرأ في العدد الأول من

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم هدى .
- جرائم الإنترنت على مقاس الشباب .
- أجازة سعيدة بصحة أفضل .
- كيف تضع قدمك على أعتاب النجومية .
- في عطلة الصيف أتفرغ لمهاراتي .

والمزيد من الموضوعات والتحقيقات ..

الوعي الشبابي مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا

www.shabab.alwaei.com

البريد الإلكتروني

info@shabab.alwaei.com